مكتبة 1331

جوليان ساندريل

غرفة الأعاجيب

ترجمة
معن عاقل

منشورات الرمل

إهداء لـ..
رحمة
‹موقد الروح الآمن›

جوليان ساندريل

غرفة الأعاجيب

مكتبة | 1331

مكتبة
t.me/soramnqraa
2023 9 5

الكتاب: غرفة الأعاجيب (رواية)
تأليف: جوليان ساندريل
ترجمة: معن عاقل
عدد الصفحات: 208 صفحة
الترقيم الدولي: 978-614-472-188-9
الطبعة الأولى: 2021

هذه ترجمة مرخصة لرواية:
La Chambre des merveilles
by Julien Sandrel
Calmann-Lévy, 2018 ©

جميع حقوق هذه الترجمة محفوظة لدار التنوير © دار التنوير 2021

الناشر:

منشورات الرمل – مصر

دار التنوير

مصر: القاهرة 2- شارع السرايا الكبرى (فؤاد سراج الدين سابقا) - جاردن سيتي
هاتف: 002022795557 بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com
لبنان: بيروت - بئر حسن - بناية فارس قاسم (سارة بنما) - الطابق السفلي
هاتف: 009611843340 بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com

Manshoorat Alraml is an Imprint of Dar Altanweer

جوليان ساندريل

مكتبة | 1331

غرفة الرعب

ترجمة

معن عاقل

إلى ماتيلد
إلى ابنتي وإلى ابني

والآن، أخبريني يا آنسة تيلما.
كيف حدث لكِ أنك لم تنجبي أطفالاً؟
أعني أن الله خصّكِ بشيءٍ مميز،
أعتقد أن عليكِ تخطي هذا الأمر.

ريدلي سكوت
فيلم تيلما ولويز

I

مليكي

مكتبة
t.me/soramnqraa

1

الساعة 10,32

هيا، لن أكرر هذا ثانية، من فضلك انهض وارتدِ ملابسك، لويس، حان الوقت سنتأخر، الساعة الآن التاسعة وعشرون دقيقة.

هكذا بدأ تقريبًا ما سيصبح أسوأ يوم في حياتي. لم أكن أعلم ذلك بعد، لكن سيكون هنالك ما قبل يوم السبت 7 كانون الثاني 2017، الساعة 10,32، وما بعده. وستستمر دومًا هذه الماقبل، هذه الدقيقة السابقة التي تمنيت لو أنها تجمدت إلى الأبد، هذه الابتسامات، هذه السعادة الهاربة، هذه الصور المحفورة إلى الأبد في تلافيف دماغي المظلمة. ستستمر إلى الأبد هذه الما بعد، وهذه الـ«لماذا» العديدة، وهذه الـ«لو فقط» المتكررة، هذه الدموع، هذه الصرخات، هذه المسكرة باهظة الثمن على وجنتيّ، هذه الصفارات الزاعقة، هذه النظرات المتخمة بشفقة مثيرة للاشمئزاز، لو فقط تتوقف هذه التشنجات التلقائية لأحشائي الرافضة تقبّل الأمر. بالتأكيد لم يكن بمقدوري معرفة كل ذلك سلفًا، فهو سرٌّ كان يمكن للآلهة وحدها أن تعرفه. ماذا كانت هذه الآلهة تتقوَّل فيما بينها في الساعة 9,20؟ واحد زيادة، أو واحد ناقص، ما الفرق؟ هل أنت متأكد من ذلك؟ ليس بالضرورة، لكن لمَ لا؟ هذا صحيح في النهاية لمَ لا، فهذا لن يغير وجه العالم. كنت بعيدة عن كل هذا، بعيدة عن هذه الآلهة، بعيدة عن قلبي. كنت على سجيتي، في هذه اللحظة بالتحديد، القريبة جدًا من النقطة الحاسمة، نقطة الانهيار، واللاعودة. كنتُ كدأبي، أرغي وأزبد على لويس الذي لم يكن فعلًا يبذل أي جهد.

قلتُ في سرّي حينها إن هذا الصبي يدفعني إلى الجنون. أمضيت نصف ساعة وأنا أحاول جاهدة أن أنتزعه من فراشه، لكن بلا طائل. كنا على موعد مع أمي في الظهيرة لنتناول إفطارنا المتأخر - محنتي الشهرية، وخططتُ أن أعرِّج بين الفترتين على جادة هوسمان لأبتاع حذاء نسائيًا أحمر قانيًا كنت أحلم به منذ بداية التنزيلات. كنتُ أريد أن أتباهى به يوم الإثنين، أثناء الاجتماع بأهم رجل في هيجيموني، وهي مجموعة مستحضرات تجميل أعمل فيها ليل نهار، منذ نحو خمس عشرة سنة. كنتُ أدير فريقًا من عشرين شخصًا نذروا أنفسهم لغاية نبيلة هي تطوير الإعلانات وابتكار علامات تجارية لمستحضرات تنظيف الشعر التي تزيل قشرة الرأس بنسب تصل حتى 100٪ - وهذه الـ«حتى» تعني أن واحدة من الخاضعات للاختبار من بين مئتي متطوعة لاحظت أن شعرها الكثيف تخلص تمامًا من التقشّر. كان من دواعي اعتزازي تلك الفترة أنني حصلت على حق استخدام هذا الادعاء، بعد معارك ضارية مع القسم القانوني في شركة هيجيموني. هذا الادعاء كان حاسمًا في نسبة المبيعات، وفي علاوتي السنوية، وفي عطلتي الصيفية مع لويس وكندرَتي الجديدة.

بعد غمغمات غير مفهومة، قرر لويس أن يمتثل، وارتدى بنطال جينز ضيقًا جدًا وواطئ الخصر، ورشق رشقة ماء على وجهه، واستغرق خمس دقائق في تشعيث شعره بمهارة، ورفض اعتمار قلنسوته رغم البرد القارس هذا الصباح، وتمتم بشذرات كلام غير مفهومة لكنني كنت أعرف فحواها (ولماذا يجب أن آتي معكِ...)، ووضع نظارته الشمسية، واحتضن لوح تزلّجه - لوح خشبي متسخ، تملأ سطحه الخربشات، وكنت مضطرة أن أشتري له دواليب توازن كل أربعة أيام -، واتشح بسترة يونيكلو حمراء خفيفة، والتقط علبة بسكويت محشو بالشوكولا وهو يوافق على التهام مربّى القرع كما كان يفعل في سن الخامسة من

عمره، وطلب أخيرًا المصعد. ألقيت نظرة خاطفة إلى ساعتي. 10,21. ممتاز، لم يزل لدينا متسع من الوقت لتنفيذ برنامجنا المرسوم بدقة. كنتُ قد تحسّبتُ مسبقًا لطقوس نهوض نيافة لويس العظيم التي لا يمكن التكهّن بمدتها تمامًا.

كان طقسًا رائعًا، سماؤه زرقاء شتوية صافية. أحببتُ دومًا الأضواء الباردة. لم أرَ قط سماءً أكثر زرقة وصفاء منها إلا حين كنتُ في رحلة عمل إلى موسكو. العاصمة الروسية بالنسبة لي هي ملكة السماء الشتوية. كانت باريس قد اتشحت بأجواء موسكو وراحت ترمقنا بنظرات مبهرة. وفور خروجنا من شقتنا في الدائرة العاشرة، بدأنا أنا ولويس نغذّ السير على امتداد قناة سان مارتان نحو محطة دو لِست، متعرجين بين عائلات تتنزّه وسياح مذهولين بمنظر زورق يعبر هويس جسر أوجين فارلان. وطفقتُ أراقب لويس، الذي يندفع إلى الأمام على لوح تزلجه. كنت فخورة بهذا الرجل الصغير الذي يوشك أن يصيره. كان يجب أن أخبره بذلك – فهذه الأفكار لا تخطر بالبال حتى نعبِّر عنها، وإلا لا فائدة ترجى منها –، لكنني لم أفعل. في الآونة الأخيرة، تغير لويس كثيرًا. نقلَته طفرة نمو مناسبة لعمره من جسد صبي صغير هش إلى جسد مراهق ذي قامة معتبرة، وراحت ظلال لحية ترتسم على خدَّيه اللذين لا يزالان متوردين، وخاليين أيضًا من البثور. هيئة جميلة قيد التكوّن.

جرى كل هذا بسرعة فائقة. تراءى لي أنني أتجول على امتداد رصيف فالمي، أقود بيدي اليمنى عربة طفل زرقاء بترولية، وأحمل باليسرى هاتفي. أنا متأكدة أن هذه الرؤيا جعلتني أبتسم. أم أنني اختلقتُ ذلك لاحقًا؟ تخذلني ذاكرتي، ويشقّ عليَّ أن أتذكر أفكاري خلال تلك اللحظات رغم أهميتها الفائقة. لو كنتُ أستطيع العودة إلى الوراء بضع دقائق فقط، لكنت أكثر انتباهًا. لو كنت أستطيع العودة إلى الوراء بضعة أشهر فقط، أو بضع سنوات، لغيرتُ الكثير من الأمور.

سمعت صوت آخر رنين ذاويكيند - الذي وضعه لويس كرنّة على هاتفي الذكي. كان المتصل جي بي. تبًا، لماذا كان رئيسي المباشر يتصل بي صباح يوم سبت؟ بالتأكيد، سبق أن حصل ذلك، لا يمكن للمرء أن يعمل في شركة مثل هيجيموني دون أن يضطر للتعامل مع بعض الحالات الطارئة. حين أفكر في هذا الأمر اليوم، وحين أسمع شخصًا يلفظ كلمة «طارئ»، يكون لهذا دلالة أخرى مختلفة تمامًا. لن أستخدم ثانية أبدًا هكذا مصطلح في الحديث عن عرض يجب إنهاؤه، عن اختبار مستهلكين يجب إطلاقه، عن عبوة يجب التحقق من تصميمها. عن أي طارئ نتحدث بالضبط؟ من يتعرض لخطر الموت؟ هذا ما لم أكن أعرفه في هذه اللحظة بالتحديد. طفقتُ أتساءل فقط ما الطارئ الذي يمكن أن يترتب على جي بي إخباري به، وخمّنتُ أن الأمر له علاقة باجتماع يوم الاثنين. إذًا، طارئ مطلق. حيوي. أجبتُ على الهاتف بلا تردد وأنا لا أكاد ألاحظ لويس، الذي تباطأ وتوقف بجانبي، راغبًا بشكل واضح أن يتحدث إليّ. أشرت له أن لديَّ مكالمة هاتفية، ألم يكن يرى ذلك؟ تحدث بكلمات غامضة، مغمغمًا أن الأمر هام، على ما أعتقد. وهو يشير إلى أهمية الموضوع. لن أعرف أبدًا عما كان يريد أن يحدثني. أنا متأكدة أن أفكاري الأخيرة عن ابني كانت أفكارًا سلبية. شيء يتعلق بحاجته الدائمة للاهتمام، يتعلق بعدم قدرتي على الحصول على دقيقة واحدة لنفسي، يتعلق بأنانيته كمراهق، بحاجتي إلى التنفس قليلًا، تبًا. أعتقد أن آخر كلمة علقت في رأسي بشأن هذا الكائن الصغير، فلذة كبدي، الذي هدهدته آلاف الساعات، وغنيت معه آلاف الساعات، والذي حباني بالكثير من الضحك والفخر والفرح، آخر كلمة نطقتها ذهنيًا في دماغي الصدِئ، هي فعلًا هذه الكلمة الفاجرة للجنرال كامبرون. يا للعار. يا للذكرى الظالمة.

نفخ لويس صافرًا، وأمسك السماعات الحمراء التي ظلت راقدة حتى

تلك اللحظة حول عنقه، ووضعها على رأسه بحركة ضاغطة، وتجشّأ بأن هذا ما تفعلينه معي دومًا بطبيعة الحال، وأنه لا هَمَّ لي سوى عملي، ثم أسرع دافعًا بقدمه اليمنى وألقى لوح التزلج على الرصيف المنحدر. لو لم أكن أجري مكالمة مع جي بي - كان الطارئ هو فعلًا مشكلة في برنامج العرض التقديمي للصور والشرائح يجب إصلاحه - لكنتُ أبديتُ ردة فعل أمٍّ، ردة فعل تجعلنا نصرخ «تمهّل، أنت تنطلق بسرعة زائدة»، وتضايق أي طفل تجاوز مرحلة روضة الأطفال، ردة فعل لا تفيد شيئًا نظريًا، لكن من شأنها دومًا عمليًا أن تنجح في إيقاظ وعي شبه غافٍ. بقيت الصرخة في رأسي. ليس مستحسنًا لدى شركة هيجيموني أن يكون عندنا أولاد، مع أن السياسة الرسمية واضحة: هيجيموني تؤيد المساواة بين الرجال والنساء، هيجيموني تستثمر في نجاح النساء في المجتمع. هناك دومًا فجوة بين النظرية، السياسة المعلنة، وبين التطبيق العملي، الوجه الآخر للمنظمة ذاتها، هذا المسكوت عنه الذي يفضي إلى انخفاض نسبة النساء في اللجان التنفيذية للمجموعات الكبيرة انخفاضًا مثيرًا للسخرية. كافحتُ دومًا للوصول إلى هذه المناصب المرموقة، لذلك لم يكن واردًا أن أتطرق إلى أي شيء عن غريزة الأمومة في خضَمّ حديث عن العمل، حتى في يوم سبت، وحتى في الساعة 10,31.

وبينما راح جي بي يصف لي بهدوء التعديلات التي يجب إنجازها نهار الأحد، أبقيتُ عينًا شاردة على لويس، الذي انطلق فعلًا بسرعة زائدة. لاحظتُ سماعتيه المثبتتين على أذنيه، وأتذكر بوضوح أنني تمنّيت ألّا يكون قد رفع الصوت فوق الحد، وأن يكون واعيًا لسرعته. هززتُ رأسي وأنا أقول في سري أنه أصبح كبيرًا الآن، وأنه يجب أن أتوقف عن القلق بشأنه طوال الوقت، بسبب، وبلا سبب، ولاسيما بلا سبب. إنها مدهشة كل هذه الأفكار التي تنبثق في غضون ثوانٍ قليلة. وإنه لأمر مدهش أن تتمكن تلك الثواني القليلة بعد ذلك أن تترسّخ بألم في الدماغ.

آخر نظرة على شاشة هاتفي الذكي، كانت الساعة 10,32. أقول في سري إنه يجب أن أغلق المكالمة مع جي بي في غضون ثلاث دقائق كحد أقصى لأننا اقتربنا من محطة المترو.

أسمع ضجة صمّاء، تذكّرني بصفّارة إنذار سفينة في خطر. إنها شاحنة. أرفع رأسي ويتخثر الزمن. أبعد نحو مائة متر فقط لكن ضوضاء المارة الصاخبة جعلتني أشعر أنني موجودة فعلًا في موقع الحدث. يتحطم هاتفي على الأرض. أصرخ. تلتوي ساقي، أسقط، أنهض من جديد، أخلع حذائي ذي الكعب العالي وأركض كما لم أركض من قبل. توقفت الشاحنة الآن. لست وحدي من يصرخ. نحو عشرة أشخاص، كانوا قد تحلقوا حول مائدة تحت الشمس - في صباح شتائي صاحٍ - نهضوا. أبٌ يغطي عينيّ ابنه. كم عمره؟ أربع، أو خمس سنوات على الأرجح. منظر من هذا النوع لا يلائمه. حتى في الأفلام، لا يُعْرَضُ إطلاقًا هذا النوع من المَشاهد. ولا على أي شخص كان. وأقصى ما يمكننا هو الإيحاء بها. قليلٌ من الحياء في هذا العالم المتوحش من فضلكم. أقترب، أصرخ من جديد، أرتمي على الأرض، أشعر أنني كشطتُ جلد ركبتي، لكنني لا أحسّ بالألم. ليس هذا الألم على كل حال. لويس. لويس. لويس. لويس. حبيبي. حياتي. كيف أصف ما لا يوصف؟ شاهد على الحادث استخدم فيما بعد مصطلح «ذئبة». عواء ذئبة يبقرون بطنها. أقاتل، أنشب أظافري في الأرض، جسدي يرتعش، أحتضن رأس لويس بيديّ. أعرف أنه يجب ألّا ألمسه، وأنه يجب ألّا نحرّكه قيد أنملة، لكنني لا أستطيع. هنالك دومًا هذه الفجوة ذاتها بين النظرية والواقع. لا أستطيع أن أتركه على الأرض دون أن أفعل شيئًا. مع ذلك، أحتضن رأسه ولا أفعل شيئًا سوى الانتظار وأنا أبكي وأتفقد تنفسه بلا انقطاع. هل يتنفس؟ يتنفس. لم يعد يتنفس. يتنفس من جديد. تصل سيارة الإسعاف في زمن قياسي. رجل اطفاء يتولى أمري، أو بالأحرى يحاول انتزاعي عن جسد لويس.

أصفعه. أعتذر. يبتسم لي. أتذكر كلِ شيء. حركاته الحازمة واللطيفة في آن معًا، أنفه القبيح، وصوته المسكن للروع، كلماته الشائعة، سيارة الإسعاف التي تبتعد. ألتقط شذرات. طوارئ طب الأطفال. مستشفى روبيرت دوبريه. العناية المشددة. سيكون بخير، يا سيدتي. لا، لن يكون بخير. سأرافقكم. أنهار. يمسك بي. عضلاتي، المتشنجة إلى أقصى حد منذ الحادث، ترتخي الآن. يجلسونني على كرسي في مقهى مشمس. لم يعد جسدي يستجيب. تتقلص أحشائي، وأتقيأ فطوري على طاولة هذا البار البوهيمي الذي خلا في بضع لحظات. أمسح فمي، وأشرب كأس ماء وأرفع رأسي.

لم يتغير شيء من حولي، لم تزل السماء زرقاء، وصافية أيضًا. أنظر إلى ساعتي. هي أيضًا محطمة. ميناؤها متصدِّع، وعقاربها متخثرة. شاهدٌ جامدٌ. لم تزل تشير إلى 10,32.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ذات صباح

اسمي لويس، أعيش في باريس، عمري اثنا عشر عامًا ونصف، وقريبًا سأبلغ الثالثة عشر عامًا. أحب كرة القدم، الرسوم المتحركة اليابانية، ميتر غيمس، أقنية اليوتيوب المكرسة للبوكيمون، عجينة الشوكولاتة بزيت النخيل أكثر من زيت النخيل بالشوكولاتة (أحب هذه المزحة)، أفلام السينما سنوات التسعينات من القرن الماضي وبداية الألفية الثالثة (لا، هذا ليس مبتذلًا وغير عصري)، رائحة عوادم السيارات، ألواح التزحلق المبهرجة، نهدَيّ حضرة إرنست معلمة الرياضيات، الرياضيات بلا نهدَي حضرة إرنِست، جدتي الرائعة أوديت، وأمي (معظم الأيام).

وما عدا ذلك، أعتقد أنني ميت.

عادة، لا أحب أن أروي حياتي، لكن نظرًا للظروف، ونظرًا لأنكم هنا، سأشرح لكم قليلًا مع من تتعاملون، وما الذي حدث.

أعيش وحدي مع أمي. تُدعى تيلما. معها عشت صباحي الأخير. كنتُ أود أن أخبركم أنه كان صباحًا استثنائيًا، وأننا تقاسمنا لحظات رائعة، وأننا تعانقنا بحنان وتبادلنا كلمات رقيقة. في الحقيقة، كان صباحًا تافهًا حزينًا تمامًا، وفي نهاية المطاف عاديًا جدًا. نحن لا نعيش كل ساعة من كل يوم كأنها الساعة الأخيرة، وإلا لكان الأمر مرهقًا. نحن نعيش، وهذا كل شيء. وحياتي مع أمي، بدت على هذا النحو بالضبط.

لذلك حين أعيد التفكير في الأمر، كان ذاك الصباح مثاليًا في حد ذاته. أعرف حق المعرفة أن لأمي رأيًا آخر في المسألة، أعرف حق المعرفة أنها ستستعرض في رأسها مرارًا وتكرارًا كل صورة من هذه الدقائق وهي

تتساءل ماذا كان يجب عليها أن تفعل، وماذا كان يمكنها أن تغير. أنا، لديَّ الإجابة، ولا أتفق بالتأكيد مع أمي: لا شيء.

هذه إجابة غريبة حين نعرف أن ذاك الصباح برمَّته اقتصر على محاولة أمي إخراجي من سريري، بينما أنا أتذمّر، وأجرجر قدميّ وأنا لم أزل أتذمّر. هذا ما يمكن رؤيته من الخارج. وهو أيضًا ما كنتُ أراه منه. الآن وقد تباعدتُ عنه قليلًا (كثيرًا)، أدرك مشاعري. هذا الاحساس المنتشر، وهذه الوخزات الدماغية التي لا يمكن إدراكها إلّا حين لا يعود يوجد شيء غيرها. ثقل العادة. سعادة العادات. المتعة الثابتة للطقوس العائلية. هذه الأشياء الصغيرة اليومية التي تشكلنا وتغيِّر كل شيء.

كان ذاك الصباح مترَعًا بهذه الطقوس الطيبة. مقبض باب غرفتي الذي يصر، فيوقظ واحدًا بالمئة من وعيي، ويعلن قدوم اليوم التالي. ماما التي تجتاز عتبة بابي، تقترب وتمرّر يدها في شعري، تمسح على رأسي من الجبهة حتى القذال - والعكس ليس واردًا أبدًا. ماما التي تهمس «صباح الخير يا عزيزي، حان موعد النهوض، يا قلبي الصغير»، كأنني لم أزل في عمر السنتين أو الثلاث. هذه اللحظة المعلقة بين النوم واليقظة، هذه الحالة السباتية التي يمتزج فيها الحلم والواقع. ثم صرير مصراع الغرفة الآلي الذي يُرفع، أشعة الشمس المتسللة لتضرب وجهي، أتذمر، أستدير وأدفن رأسي تحت الوسادة. نهاية المرور الأول لماما. تتحرك ذراعا مورفيوس، فأستأنف مجرى حلم لن أتذكر منه شيئًا فيما بعد. المرور الثاني، يبدو صوت أمي أكثر إلحاحًا، وأقل رقّة، وأشد حزمًا. مثل كل يوم. هي أيضًا تعرف هذا الطقس حق المعرفة. إنه هو ذاته منذ نحو ثلاثة عشر عامًا. ورغم أن كل ذلك أصبح بحكم العادة، فإنها مثلي، كلانا نحدد من نغمة مقطع صوتي ملفوظ، من مدة صوت حلقي منبعث من الدب المراهق شبه النائم ما هو مزاج اليوم. مزاج اليوم فرح. نعرف أننا في يوم السبت. لدينا كل الوقت، حتى لو ادَّعت ماما العكس. أعرف

برنامج النهار، وأعرف أمي، وأعلم أنها توقظني معها قبل الأوان لتفسح المجال لي.

أتوقف قليلًا لأنني أعرف ما تقولونه في سركم: إنه لأمر غريب، هذا الصبي ذو الاثنتي عشر عامًا والنصف الذي يستعمل كل هذه الكلمات المعقدة، أليس كذلك؟ على أية حال، بالنسبة لرفاقي في الصف الثالث في إعدادية بول إيلوار، يمكنني أن أقول لكم إن هذا غريب (غامض، بالنسبة لمن تجاوزوا الأربعين عامًا). غريب على أي حال أن أكون في الصف الثالث الإعدادي وأنا في سن الثانية عشرة والنصف. أنا لن أجعل من هذا الأمر قضية، ولكن هذه هي طريقتي في الكلام وليس لي يد فيها، وفي المدرسة يسخرون من أشكال جُملي وينعتونني بالذكي القذر، لذلك شكرًا جزيلًا لأنكم لن تبدأوا...

ماذا كنتُ أقول؟ آه أجل، كنتُ أروي لكم. منذ بضعة أيام كنت أرغب - كنت أحتاج - أن أتحدث إلى ماما عن تلك الفتاة التي التقيتها في *لعبة* كرة القدم - أجل هناك فتيات يلعبن كرة القدم، وأجل قد يكن جميلات، يجب أن نوقف الأفكار النمطية. كنت أنتظر اللحظة المناسبة. إننا خجولان، أنا وماما. لسنا من النوع الذي يسترسل في مشاعره. بل من النوع الذي يختزن ويستوعب. اللحظة المناسبة لأتحدث إلى أمي، ليست في أيام الأسبوع. تعود منهكة من أيام عملها، ويصعب عليها أن تترك هاتفها الذكي، وتدير دومًا ما تسميه «طوارئ». أتساءل أي نوع من الطوارئ يستدعي فعلًا أن تديره حين تهتم بشامبو ضد القشرة...

حسنًا. قلتُ في سري إن هذا الصباح العادي لعطلة نهاية الأسبوع العادية هو اللحظة المناسبة. لم أكن أريد أن تثور ثائرة ماما أكثر وتخاف وهي تتخيلني متزوجًا فعلًا، وبالتالي لم أرد الاستعراض. حديث غير رسمي، بشكل عادي، سيفي بالغرض. لذلك حين اقتربتُ ودفعتني أمي وكأنني عشبة ضارة على طريقها، أصبحتُ مستاءً وغاضبًا. ماما

تقول إن شخصيتي دموية بعض الشيء. لا أعرف ماذا يعني هذا، ربما يعني أنني مزعج. أو سريع الغضب. أو الاثنان معًا. لديَّ عذري، كما تقول جدتي أوديت، فالكلاب لا تُنجب قططًا وماما بشكل خاص سريعة الغضب. لم أقل مزعجة، أنتم من صغتم هذه العبارة في رأسكم، هيا اعترفوا.

لذلك نفختُ مثل ثور وانطلقتُ مثل سعلاء. كنت أريد أن أزعجها في مكالمة عملها الهاتفية. كنا في صبيحة يوم السبت، وكان يجب أن أُفهمها بشكل أو بآخر أن هذا اليوم ليس يوم عمل. أعرف حق المعرفة أن أمي لم تزل حتى اليوم تتوتر وتضطرب حين تراني أتوارى في ركنٍ من الشارع. تحثّ خُطاها بوعي أو بغير وعي حتى تتحاشى أن أغيب عن نظرها. لذا أسرعتُ، كنتُ أريد أن أجتاز زاوية شارع ريكولييه قبلها، ثم أختفي في مدخل حديقة فيلمان، لأخيفها وأجبرها على إنهاء مكالمتها.

بعد ذلك، لستُ متأكدًا مما حدث. أخيرًا بلى، أظن أنني فهمت، لستُ غبيًا. كنتُ أنطلق بسرعة زائدة، هذا واضح. انزلقتُ. خطأ أحمق. لم أنزلق قط بهذا الشكل، فأنا أجيد التزحلق على اللوح. حين رفعتُ رأسي، رأيت الشاحنة قادمة، وسمعت صوت بوقها، وأصبح كل شيء أسود.

تعتيم كلي.

لاحظوا أنه، خلافًا للأفكار السائدة، لم أرَ حياتي تتوالى في جزء من الثانية، رأيت فقط مصابيح الشاحنة اللعينة الأمامية وقلت في سري عجبًا إنه أمر غريب هذه مصابيح مضاءة في عز النهار.

إنها غبية على نحو مضحك، آخر فكرة.

2

ت د ك

لم يخطر ببالي للحظة أنه مات. لا بد أن الأمهات مبرمَجات على هذا النحو. ينظرن في احتمال موت ولدهن، حين يدفنّه فعلًا. ودفن طفل، أمر مستحيل، بكل بساطة. لويس لم يمت. ولا يمكن أن يكون قد مات.

كنتُ مصدومة. لا أدري هل هذا هو المصطلح الرسمي، الطبي، لكن يبدو لي أنني سمعت أحدهم ينطق هذه الكلمات. عشتُ بقية هذا السبت القطبي طافية في القطن واللباد، كأن الأصوات والأحاسيس تخامدت في شرنقة واقية متخيّلة دثّرتني من رأسي حتى أخمص قدميّ. بدا لي أنني مخدَّرة. ربما بتأثير المهدِّئات التي أعطيت لي بسرعة، وربما بتأثير القنابل التي تساقطت واحدة تلو الأخرى حولي.

قنابل انفعالية، حين شرح لي الأطباء أنهم أشبعوا ابني بالأدوية حتى لا يتألم، وأن الأولوية هي لوقف الإلتهابات التي قد يسببها النزيف الداخلي. وأنه بين الحياة والموت، وأنه يستحيل الآن تقييم حالة وعيه الحقيقية بسبب العلاجات، وأنه يجب انتظار إيقاف الأدوية لتكوين فكرة أدق، نحن آسفون، يا سيدتي.

قنابل مسيّلة للدموع حين وصلت أمي إلى المستشفى، هزتني وهي تصرخ، مشيرةً إلى أنني لا أتحرّك، ولا مسؤوليتي، وشرودي، ما اضطر الأطباء إلى إبعادها عني، أمي أنا - كل واحد يعيش هذا النوع من المواقف بشكل مختلف، يا سيدتي، عليكِ أن تراعي ردة فعل ابنتك كما نراعي ردة فعلك. ولا، نحن لسنا بُلَهاء متغطرسين.

وأخيرًا، قنابل معجمية. جحافل من الكلمات الجديدة، الاختصارات، العلامات غير المفهومة، جيوش من الصفات، وجنود طبيون صغار لا معنى لهم إلا حين نريد سماعهم. وسط هذا الضباب، الكلمات البارزة التي أتذكرها هي الكلمات المفتاحية، هذه المعالم التي نراها تلعب دورًا حاسمًا، وأنها أهم من غيرها.

متعدّد الرضوض.

تورّمات دموية.

دماغي داخلي.

رئوي.

غيبوبة.

عميق.

جهاز تنفس اصطناعي.

ت د ك.

تخطيط دماغ كهربائي.

انتظار.

كم؟

لا نعرف.

لا يمكن توقعه.

إطلاقًا؟

لا نعرف.

سابق لأوانه.

أمل.

تشجعي.

على سريره في المستشفى، كان لويس وسيمًا. ساكنًا. هادئًا. وموضع رعاية مدهشة. ولولا وجود كل هذه الأنابيب، لبدا وجهه وبقية جسده

معافيَيْن أو شبه سليمين. ضلعان مشروخان وساق مكسورة - الكسر مغلق، سيكفي التثبيت، كما أوضحوا لي. وهو ما رددت عليه بالتساؤل عن جدوى وفائدة هذا التثبيت ما دام لن يقفز الآن. حدجتني الممرضة بنظرة معبِّرة، ترى أن هذه الدعابة الصادرة من فم أم منكوبة غير مناسبة. كنت أمًا فقدت صوابها. منكوبة، لا أدري. كان الأمر برمته يبدو غير حقيقي. إنه كابوس، يا تيلما. لا أكثر. ستستيقظين، وسيكون لويس بجانبك، وغرة المتزحلق المشعثة منسدلة على عينيه السوداويْن اللتين ستأخذان بالضحك بكل رموشهما. ماذا دهاكِ، ماما؟ ألم تعودي تحبين دعاباتي؟ حسنًا، هذه الدعابة مريبة، لكنني بخير، لا تقلقي. بالمناسبة هل اشتريتِ لي بطاقة مسلسل بوكيمون إكس التي وجدتها على موقع أمازون؟ ماذا سنأكل هذا المساء؟ هل يمكنني مشاهدة حفلة موسيقية على محطة إم تي في؟ هيا، من فضلك ماما، أنتِ لستِ مسلية. أنتِ الأفضل، أنا أحبك.

أنا لستُ الأفضل. بيني وبين الأفضل مسافة سنوات ضوئية. إنها تستهزئ بي، من مجرَّتها البعيدة. ابنها يقف بقربها، يبتسم. إنه على قيد الحياة. ابني؟

على قيد الحياة.

أيضًا.

أمل.

انتظار.

كم؟

لا ندري.

3

بعدها مباشرة

سمحوا لي بمغادرة المستشفى مساء الأحد. لم يشأ الطاقم الطبي أن يدعني أخرج يوم السبت، كانوا بحاجة إلى إبقائي تحت المراقبة - بشكل رسمي. لكنني أعتقد أنهم كانوا يخافون بصورة خاصة أن أرتكب حماقة. إنهم لا يعرفونني حق المعرفة. إذا كان هنالك شيء حسن لدي، فهو أنني لستُ انتحارية. لدي غريزة بقاء متشبثة في جسدي. حتى في أحلك اللحظات العصيبة، أجد القوة للنهوض من جديد. هذا ما رحتُ أردده في سرّي مرارًا وتكرارًا منذ حادث لويس. سيترتب عليّ أن أتخذ وضعية قتالية. وهذا، ما كنتُ أجيد القيام به. إنني محاربة. مقاتلة. هذا ممتاز، يا سيدتي، سيحتاج لويس إلى دعمك. المحيط له دور كبير في تطور حالة الغيبوبة. هذا لا يضمن شيئًا، بالطبع، لكن لويس صغير في السن. في مثل سنّه لديه أكثر من فرصة للخروج من غيبوبته. حالات التقدم الإيجابي هي غالبًا ثمرة عناية طبية مركّزة، لمريض شاب لا يستسلم، ومحيط ودود يقاتل إلى جانبه.

لذلك، خرجتُ يوم الأحد، وقلبي مفعم بالأمل، لكن الموت ينخر روحي. ظاهريًا، كنتُ أريد أن أكافح معه، وساندتني الممرضات. خاصةً تلك الشقراء القصيرة المحبوبة التي كانت تذكّرني بصوفي دافان والتي كان بمقدوري أن أسرَّ لها بمخاوفي الأكثر حميمية أمام الكاميرات. لكن في قرارة نفسي، ثمة صوتٌ ناشزٌ خافتٌ - تُعِيْنُه ليلة بحثٍ عن الغيبوبة، وشبكة إنترنت هدامة بشكل خاص في مثل هذا النوع من الحالات -

راحٍ يهمس لي «ما الفائدة»، «المرحلة الثالثة من الغيبوبة، قضي الأمر»، «فكري في مايكل شوماخر، لقد مضى عليه سنوات»، و«إذا استفاق مصابًا بمتلازمة المنحبس»، و«إذا لم يستفق أبدًا» لذلك كنتُ أنتقلُ خلال بضع لحظات من اليأس المطبق إلى التفاؤل الصرف، وهو ما دفع الكادر الطبي إلى الخشية من أن تكون صحتي العقلية تأثرت. أردتُ أن أخبرهم ألّا يقلقوا، وأن هذا هو حالي بالعادة أيضًا، وأنني اليوم بالتحديد اندفعتُ إلى أقصى حد، لكنني لم أكن واثقة أن هذا سيطمئنهم وكان يجب أن أخرج من هنا، وإلا سأصبح مجنونة فعلًا.

استطعت الذهاب لرؤية لويس. أمضيتُ النهار مع لويس. ولدي الصغير النائم. كنتُ أتوقع رؤيته يستيقظ، ويلتفت، ويتذمَّر من أن الوقت لم يزل مبكرًا بالنسبة ليوم أحد. كنتُ سأهب كل ما أملك لأسمع تذمّرًا واحدًا من التذمرات التي تغضبني عادة. لكن لم يحدث شيء من كل هذا. لم يحدث شيء. كانت الآلة تجعل تنفسه منتظمًا، لكن جذعه هو الجزء الوحيد من جسده الذي بدا نشطًا. أمسكتُ يده لفترة مديدة من النهار. مسّدتُ راحتيه، وأصابعه. القدمين أيضًا، لوقت طويل، وببطء. كان إحساسي بدفء جسده يطمئنني. ومن وجهه، كان لي الحق بمداعبة وجنتيه فقط. كنتُ أغمض عينيَّ فتتراءى لي غمّازة الخد الصغيرة التي تنحفر حين يبتسم. بكيتُ، بغزارة. على يديه، وبين يديّ. يبدو هذا طبيعيًا. غنيتُ له بعض التهويدات. دندنتُ عشرات المرات تهويدته المفضَّلة، تلك التي ظل يطلبها مني حتى سن الثانية عشرة من عمره. تلك التي ألّفتها، بكلماتي أنا. بلا شك الأكثر نشازًا في اللحن، وبلا ريب أقل التهويدات جمالًا. لكنها بالتأكيد الأكثر عذوبة في نظره وفي نظري.

غابت الشمس. خفتُ. أكثر ما كنت أخشاه هو أن أعود إلى منزلنا، وحيدةً. يجب أن أواجهه من دونه. أن أفتح الباب، وأشمّ الرائحة العنيدة لعطر مراهق يرشّه على نفسه كل صباح، وألتقط الأشياء الوسخة التي

ألقاها في الممر المفضي إلى غرفة الغسيل، كما هي عادته. أن آكل. أن أنام. ألّا أنام. بالأمس أعطوني أقراصًا منوِّمة، وبمساعدة الإرهاق، نجحتُ في الخلود إلى نوم بلا أحلام. لكن هذه الليلة الأولى من دونه ستكون مختلفة. كنت أراها تأتي وأعاندها بكل ما أوتيت من قوة، وأنا أتظاهر أنني لم أسمع الممرضات اللواتي بدأن منذ بضع دقائق يرشدنني بلطف أنه يجب أن أغادر، وأنه لا يمكنني البقاء. وأن هذا الوضع قد يستمر. وأنه يجب أن أكون قوية، لأجله. قبّلته طويلًا، وهمست له بأشياء وحدنا، أنا وهو، نعرفها، ونهضتُ وخرجتُ من غرفته، مخلفة ورائي طفلي ووجودي السابق. ورحتُ أتأهّب لمواجهة الحياة اللاحقة.

قررتُ أن أمشي حتى منزلي، معتقدةً أن استنشاق شيء آخر غير هواء المستشفى المحصور سيريحني. بعد بضع مئات من الأمتار في زحمة حركة المرور الكثيفة مساء يوم أحد باريسي، أخذتُ أفكر في سائق الشاحنة الذي قلب حياتي رأسًا على عقب. وبرجال الشرطة الذين مرّوا لرؤيتي، لكنني كنتُ في حالة جعلت الأطباء ينصحونهم بعدم أخذ إفادتي. أجابوا أنه يجب عليهم أن يسمعوني رغم ذلك. عادوا فيما بعد وتحدثنا نحو عشر دقائق. اضطررتُ أن أصف ما رأيته من الحادث، أي لا شيء يُذكر. لكنني تمنيتُ أن تأخذ العدالة مجراها وبدأتُ أوجِّه تعطشي للثأر نحو سائق الشاحنة. تفهَّم رجال الشرطة الأمر جيدًا، وهدَّأوا حماستي المتعلقة باحتمال الحبس مدى الحياة وأكدوا لي أن التحقيق جار، وأن العديد من الشهود استطاعوا وصف المشهد بدقّة، وأنه يمكن استخدام تسجيلات كاميرا المراقبة في الشارع، وأن العدالة ستأخذ مجراها بالتأكيد. ومع ذلك همس لي أحدهم أنه مجرد حادث، ويجب أن أعرف أن سائق الشاحنة امرأة، وهي أم لطفلين صغيرين، وأن حياتها أيضًا انقلبت رأسًا على عقب، بتأثير الصدمة، وأن نتائج التحقيق قد لا تعجبني. الشهادات متطابقة، ويبدو واضحًا بما فيه الكفاية أن

لويس فقد السيطرة على لوح تزلجه، وأنه رغم كل نوايا العالم الحسنة كان صعبًا للغاية تفادي التصادم. ستكون مسؤولية السائقة على الأرجح محدودة جدًا. أخذتُ عندها أشتم عدم أهلية الشرطة، وأنا أصرخ أن الأمر لا يمكن أن يمرّ بهذا الشكل، وأن ابني لا ذنب له في كل ذلك، وأن هذه الفاجرة حرباء بارعة نجحتْ في جعلهم يعتقدون بعدم مسؤوليتها، وأنهم هم بالذات، هؤلاء الشرطة التافهون، هم أوغاد، وصفات قبيحة أخرى يصعب عليّ حصرها لاحقًا. حين وقفتُ، ولوَّحتُ بقبضتي الغاضبة في وجوههم، دخلت صوفي دافان وزميلها الممرض المساعد إلى الغرفة وأمسكاني، ثم انهرتُ بين ذراعي المقدمة التلفزيونية على الأرضية المشمّعة الباردة الخضراء، وأنا أرتعش بنحيب يقطع نياط القلب. أخبرني رجال الشرطة بهدوء أنهم سيتجاهلون هذه الكلمات والحركات التي خرجت بلا شك دون تفكير مني، وتمنّوا لي التوفيق في تجاوز المحنة، وخرجوا. لم أفقد مستقبل ابني وحسب، وإنما فقدتُ أيضًا كرامتي. علمتُ أن سائق الشاحنة امرأة، وهي أم أيضًا، وتمنيتُ لها الأسوأ مع أنني لم أكن أعرف شيئًا عن حياتها.

هززتُ رأسي وأنا أواصل سيري نحو ضفاف قناة سان مارتان. نحو خمس عشر دقيقة أخرى وأكون في منزلي. في منزلنا. وحيدة.

بعد كيلومتر، استعادت ردود فعلي نشاطها. ألقيت نظرة على ساعة يدي. ميناؤها لم يزل محطمًا، تشير إلى العاشرة واثنان وثلاثون دقيقة صباحًا. لا فائدة ترجى منها. ألقيتُ يدي اليمنى بحثًا عن هاتفي المحمول، الذي لم يخطر على بالي منذ ليلة أمس، وهو ما لم يحدث معي منذ... وهو ما لم يحدث معي قط. بعد بضع حركات من معصمي في بطن حقيبة يدي المحشوة، أدركتُ أن هاتفي المحمول غير موجود فيها وتذكرتُ أنني أفلتّه لحظة الحادث.

أوقفتُ مسيري. جي بي. كنتُ أتحدث مع جي بي. لم أعاود الاتصال

به، ولم أفكر فيه لمرة واحدة، ولا في العرض التقديمي المشؤوم للسيد المدير العام الذي يجب أن يُقام غدًا. كان يجب أن أعمل على العرض يوم الأحد واليوم هو الأحد. لا بد أن حالة ذعر اعترت جي بي لأنه لم يتلقَ أي خبر مني. ذعرٌ يخص العرض، بالتأكيد. لا يهمه شخصي الصغير في شيء. رحتُ أتساءل إن كان تمكّنَ من سماع الحادث. هل كان شاهدًا بالسمع على الأحداث، أم أن الهاتف تحطم قبل ذلك؟ راجعتُ مشاعري تلك اللحظة وأيقنتُ أن الهاتف تحطم على الفور. لم يسمع جي بي شيئًا. طمأنني هذا بمعنى ما، لأنني لم أرغب أن أشعر بنظرات التعاطف المنافقة لموظفي شركة هيجيموني تتركز عليّ. ستكون مهنتي طوق نجاتي. فإذا فقدتُ حياتي المهنية، فلن أعود أساوي شيئًا. كنتُ مضطرة إلى المحافظة بأي ثمن على هذه الواحة من الحياة الطبيعية. المحافظة على تيلما مديرة التسويق في قسم الشامبو الفنّي. وألّا أدعها تُدْفَن تحت تيلما أم الطفل الغارق في غيبوبة.

رغم تركيز جهودي على التفكير في جي بي وعملي، ظلت صور الحادث تتدفق، وسمعتُ صرخاتي تتصادى، وشعرتُ بموجة غثيان تعلو ولم أستطع منع نفسي من التقيؤ، هنا، وسط هذا الشارع. سعلتُ، وشهقتُ مراتٍ عديدة. سيدة عجوز بصحبة كلبها غيّرت الرصيف لتتجنبني. إنه التعاطف الباريسي الأسطوري.

جلستُ على درجات مدخل مبنى لأستعيد أنفاسي، وأهدأ، وأتباعد عن هذه الضوضاء وهذا الهلع. كم من الوقت بقيتُ على هذه الحال؟ بما يكفي لتنسى يدايَ، وأذنايَ ووجنتايَ لسع البرد.

ثم بدأت بعض الأفكار تتشكل من جديد. رسمتُ ببطء خطوطًا عريضة لأهداف جديدة في الحياة على المدى القصير. لا يمكنني أن أتقدم من دون أهداف. فأنا لم أعِش قط من دونها. ومنذ الحادث أصبحت جميع أهدافي عتيقة. لذلك أنشأتُ لائحة جديدة قصيرة للغاية

لكنها صادمة، ستبلور كل جهودي، وكل طاقتي في الأيام القادمة. وبعدها، لكل حادث حديث.

الهدف رقم واحد: إخراج لويس من الغيبوبة.

الهدف رقم اثنان: مواصلة حياتي المهنية كما في السابق.

استطعتُ أن أغفو لساعة قصيرة خلال تلك الليلة المخيفة، وعملتُ بقية الوقت على العرض التقديمي لأجل حضرة المدير العام. حين أجلس أمام حاسوبي، تصيبني حالة تدفّق: أنغمس تمامًا في عملي ولا أعود أهتمّ بشيء من حولي.

هذا بالضبط ما كنتُ أحتاجه. انغماسٌ، إرهاقُ عقلي بعملٍ شاقٍ مديدٍ حتى أتجنب التفكير في لويس.

4

أيها القبطان! يا قبطاني!

– ويحك يا تيلما ماذا كنتِ تفعلين؟ اتصلت بك خمسين مرة هذا غير مهني على الإطلاق كان يمكنك أن تتذكري على الأقل مستوى الضغط اللعين الذي عرضتني له. آمل أنكِ أجريتِ جميع التعديلات على العرض التقديمي وإلا سنكون في موقف عصيب لا نُحسد عليه ولستُ أنا من سيدعمك يا حبيبتي.

تنفستُ الصعداء. المرة الأولى.

– وأنا أحبكَ يا جي بي. صباح الخير، بالمناسبة.

– اسخري مني. ومع ذلك لا تجدين حرَجًا. من حسن حظك أنني أحبك وسأفعل كل شيء لأجلك.

هذا الشخص يقول دومًا كل شيء ونقيضه في جمل منفصلة. وهذا يثير الجنون. جميع شباب الحانة الفتيان يخرجون من مواعيدهم معه مخبولين تمامًا، لا يعرفون كيف يتعاملون مع أوامره المتناقضة. جمعتُ معلومات حول الموضوع وأعتقد أن جي بي شخصٌ نرجسي منحرف. إنه من النوع الذي يضيّع ضحاياه بطلباته المعقدة، ويهنئهم على عمل منجز مشيرًا لهم إلى أي حد هم حقراء.

– تفضل، هذه النسخة النهائية للعرض التقديمي، قلتُ له وأنا أناوله فلاشة اليو إس بي.

– لم يغمض لي جفن الليلة بسببكِ. نحن ندفع لكِ أجرًا محترمًا حتى

لا تأخذي عطلة نهاية الأسبوع حين نقابل المدير العام يوم الاثنين. هل هذا واضح؟

– واضح وضوح الشمس، يا جي بي. أعدكَ لن أعيد الكرة.

حركات غنج ودلال، ونظرات جانبية مختلسة، استراتيجية الفتاة الصغيرة التائبة والمتغطرسة في آن معًا – لا شيء أكثر فعالية مع منحرف من اصطحابه إلى لعبته الخاصة وهزيمته في مواقف التناقض التام في مضمون الجمل.

تصفَّح جي بي العرض التقديمي بسرعة، ورمقني بابتسامة عريضة. لقد أنجزتُ عملًا رائعًا، أعرف ذلك. وليس لديه أي مأخذ عليّ.

– أحسنتِ، يا آنستي. أنتِ مزعجة، لكنك جيدة. حين أقول «جيدة» أتحدث عن كفاءاتك بالتأكيد، وبيننا انتهت مدة صلاحيتك بالنسبة لي، ها ها. أنا أمزح تعرفين حق المعرفة أنني أحبكِ، فأنتِ أجمل أم جديرة بالمضاجعة أعرفها. هيا، كفى هذرًا، إنهم ينتظروننا، اخلعي سروالك الداخلي، سأنكحك بسرعة، ها ها.

لا تقلق، يا جي بي، لا أحقد عليك، ولكنني منذ عامين أسجل بانتظام على هاتفي الآيفون جميع العبارات اللطيفة التي تتفوه بها أنت وأمثالك من الرجال تجاهي أو تجاه نساء أخريات. فأنا لستُ ابنة الأمس.

استقليتُ أنا وجي بي المصعد نحو الطابق الثامن. كل شخص صادفناه أغدق علينا «تشجيعًا» يناسبه. يمثل حضرة المدير العام الرعب في الشركة، وهو أسطورة خارجها. «يد حديدية في قفاز حديدي»، بحسب زملائه المدراء التنفيذيين في سوق البورصة، «قِذر كبير»، بحسب الموظفين البولونيين في شركة هيجيموني الذين أُغلقت مصانعهم مؤخرًا، رجل أعمال كبير مجهول تمامًا من عامة الناس لكنه نصف إله في عالم المال، يُستحسن تبجيله، وعلى الأخص عدم معارضته. تحت طائلة التعرض لغضب هذا الديكتاتور من العصور الحديثة.

لم أشعر من جهتي بالخوف منه قط، وبالتأكيد يعود سبب ذلك إلى التربية التي تلقيتها من أمي. أخبرتني دومًا أنه إذا استهواني شخص، يجب أن أتخيله في حالة مثيرة للسخرية لأزيل عنه بهرج القداسة. «أي شخص، مهما بلغت غطرسته أو قوته، حين تتخيلينه يا ابنتي على كرسي مرحاضه، فإنك تضعينه في مكانه الصحيح في ذهنك: إنه إنسان مثل غيره، لديه الحاجات الحيوية ذاتها، وله أيضًا الحقوق والواجبات ذاتها كالآخرين، يجب ألّا تنسي هذا أبدًا».

بعد عشر دقائق، دخلنا قاعة الاجتماع. يوجد زهاء ثلاثين شخصًا جالسون، وعلى محيّاهم تتبدى ملامح حزينة. على كل حال هذا أمر طبيعي جدًا، فنحن نتحدث عن مستحضرات تجميل، وهو موضوع خطر للغاية. في هذا النوع من الاجتماعات، هناك عدد كبير من الحضور الكومبارس الذين يتظاهرون أنهم يصغون لكنهم يردون على رسائل بريدهم الإلكتروني أو يتسوَّقون على شبكة الإنترنت بواسطة حاسوبهم الشخصي المحمول. هؤلاء لا يتدخلون إطلاقًا، لكنهم يؤيّدون دومًا الزعيم الكبير، ويتفقون بعناد مع كل مداخلة من مداخلاته. وحين يكون المتحدث امرأة، من المستحب أن ترتدي تنورة قصيرة، وأن تنتعل كعبًا عاليًا، وأن تتبرج بكل مساحيق التجميل في المنزل: مسكرة مليار دو سيل، أحمر شفاه روجيسيم، ظلال الأجفان فانتاج شيك، طلاء أظافر فوشيا الطبعة المحدودة نيويورك فان. على الأقل.

يحب حضرة المدير العام أن يلقي نكتًا عن المستهلِكات اللواتي يدعوهن «مدام ميشو» بهيئة متعالية، وعن عارضات هيجيموني الإعلانيات اللواتي يقارنهن مسرورًا بالدواجن ويطلب منا إزاحتهن عند ظهور بوادر علامات العمر الأولى، وعن موظفي المصانع الذين لا يفعلون شيئًا، وعن ذوي الدخل المحدود الذين يسعدهم الحصول على وظيفة وأن يحلوا مكان النياكويين (فقراء الفيتناميين) الذين يعيشون برضى على

يورو واحد في اليوم (هم)، وعن مديرات التسويق اللواتي يرطنّ ببعض الكلمات الانكليزية ليملأن بنجاح الفراغ في توصياتهن. حضرة المدير العام شخص هزلي. يضاف إلى ذلك أن القاعة جذلى، وهذه إشارة بلا شك.

أبدأ عرضي التقديمي وسرعان ما ألاحظ أن حضرة المدير العام لا يستمع إليّ. ينقر على شاشة الآيفون بابتسامة شهوانية. أتخيَّل تمامًا نوع المحتوى الذي يتصفحه. أقرر أن أتوقف. فهذا العرض التقديمي اللعين الذي عملتُ عليه طوال الليل مخصَّص للسنفور الكبير وله وحده. فإذا لم يُصغِ، فلا فائدة ترجى من الاستمرار. نحنحاتٌ في الاجتماع، وأنظارٌ تشخصُ نحوي، تترقب ما أنا بصدد فعله، فالقاعدة تقتضي أنه مهما تصرَّف العاهل، يجب أن يستمر العرض - يجب أن يستمر العرض، يا عزيزي.

أصمتُ صمتًا مطبقًا، فيرفع الرئيس والمدير التنفيذي عينيه نحوي ويتفحّصني بضع لحظات. وهو حائرٌ، يقف ويضع هاتفه الذكي على الطاولة.

- حسنًا، يا صغيرتي تيلما، ماذا يحدث؟

- هذا العرض مخصص لك، وأنت لا تصغي. لذلك توقفتُ حتى أترك لك وقتًا لتسوية القضايا الملحّة.

- اللجنة التنفيذية حاضرة أمامك، وأيضًا نحو عشرين من كبار الموظفين في هذه الشركة، هذا العرض التقديمي ليس لأجلي فقط، ولا أحب لهجتك. تابعي.

أتردد. أنظر إلى قدميّ. يجب أن أحافظ على هدوئي. أن أتقبل بلا اعتراض. ولكنني لم أفعل.

- أي من هؤلاء السادة يمكنه أن يلخص بداية عرضي التقديمي؟

يتجدد الاهتمام بالمساعدة. ابتسامات ماكرة. ونظرات متوجسة.

- إلام ترمين، يا صغيرتي تيلما؟

- أنا لستُ صغيرتك تيلما. لا بأس، لنتابع.

أستأنف عرضي من حيث تركته، لكنني أشعر أن حضرة المدير العام يدبِّر أمرًا. يقاطعني في منتصف جملة.

- لا، لن نتابع. عرضكِ التقديمي غير جاهز، إنه غير متقن. عودي لرؤيتي بعد أن تعملين ولو قليلًا. كنتُ أعتقد أنني أعرف أي صنف من النساء أنتِ، يا صغيرتي تيلما، وكان ذلك يمتعني. هل لديك أولاد، يا صغيرتي تيلما؟

رؤيا. غير لائقة، غير متوقَّعة في هذا السياق المهني. لويس. الشاحنة. المستشفى. طردتُ الصور، بسرعة.

- لديَّ ابن، يا سيدي الرئيس، لكنني لا أرى لهذا علاقة بالأمر. أي نوع من النساء تظنني؟ وأكرِّر، لستُ صغيرتك تيلما.

- أنتِ من النوع الذي يضع مهنته فوق كل اعتبار، النوع المستعد لفعل أي شيء حتى ينجح، إن كنتِ تفهمين ما أعني. وهذا ممتاز، لا أحد هنا يتذمّر من ذلك.

ابتسامة شهوانية، مرة أخرى. ضحكات مكتومة في الاجتماع. يتراءى لي أنني أمشي على امتداد قناة سان مارتان. الساعة العاشرة وإحدى وثلاثين دقيقة صباحًا. لويس يحاول أن يكلمني. أنا منهمكة في اتصال هاتفي. أضع مهنتي فوق كل اعتبار. حضرة المدير العام محق. أشعر بالغثيان يتصاعد. وفي الوقت نفسه تغرورق عيناي بالدموع. يتابع حضرة المدير العام.

- أكره هؤلاء النساء اللواتي لا يفعلن شيئًا طيلة النهار، إلا إذا اشترين منتجاتي، بالتأكيد. كنتُ أعتقد أنك مختلفة، وأنك تكرسين نفسك جسدًا وروحًا لهذه الشركة. أخطأتُ بشأنكِ. ربما كان حريًا بك أن تخصصي

وقتًا أقل لدلال طفلك وفترة أطول لهذا العرض التقديمي. انتهى هذا الاجتماع، يا صغيرتي تيلما.

ينهض. أشعر بغضب جارف يزمجر في داخلي.

أدلل طفلي. يتراءى لي من جديد أنني بجانب سرير لويس ليلة أمس. أدلل مراهقي المحطم. أحاول أن أفيده بأي شكل. أسعى إلى إخفاء محنتي، ثم أتخلى عن درعي غير المجدي. يتراءى لي أنني مع لويس في اليوم الأول لذهابه إلى المدرسة. أدلل صبيَّ الصغير. وأدسّ له لوح الشوكولا المفضلة في الحقيبة، مع رسمة صغيرة لقلب أحمر حتى تطمئنه، وتخبره أنني إلى جانبه دومًا. يتراءى لي أنني مع لويس في أحضاني فترة الأمومة. أدلل رضيعي. وحيدة. أشعر أنني أم سيئة لأنني لا أفلح في إرضاعه بشكل صحيح. مع أنني أشعر بألم في الثديين، لكنني لا أنجح في ذلك. يفقد لويس من وزنه، فينصحونني بزجاجة الرضاعة، لكنني أثابر. لا أستسلم. بعد يومين، يبدأ لويس يرضع وأشرع أنا بالبكاء. ينال الدلال، أخيرًا.

هذا الساقط لا يعرف ما يقول. أتجه نحوه وأفعل ما كان يجب أن أفعله منذ زمن طويل. ما كان يجب على جميع نساء هذه الشركة أن يفعلنه منذ زمن طويل. أتسمر أمام الديكتاتور، أسدُّ عليه طريق عبوره. وأصفعه بكل ما أوتيتُ من قوة.

صفعة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى.

الصفعة المثالية.

الصفعة الرائعة.

صفعة الصفعات.

سأدفع ثمنها باهظًا. سأُطْرَد، أعرف ذلك. لكن يا للروعة! ما أروعها، هذه الصفعة. الرئيس الأحمق يحدق فيَّ، ببلاهة. يضع يده على خده، ثم يبتسم لي ويقول دون أن يخاطب شخصًا بعينه.

- أخرجوا هذه الحثالة فورًا!

أجيب في منتهى البساطة.

- بكل سرور، سيدي الرئيس.

أخرج من القاعة في حالة لم أعرف لها مثيلًا من قبل. يخطر ببالي أن أنفجر في البكاء. وبدلًا من ذلك، أنفجر بالضحك.

5

ما عافه قلبي

لقد فشلتُ. أخطأتُ هدفي الثاني تمامًا. الأمر المؤكد بعد اليوم: لن أستمر في مهنتي كما في السابق. كنت أظن أنني سأشعر باستياء كبير، لكن كتفاي أصبحتا منذ اليوم التالي أخفّ واستطعتُ أن أمضي نهاراتٍ بأكملها عند رأس لويس. رويتُ له مغامراتي، والطريقة التي وبّختُ فيها رئيسي الخنزير العجوز، قلدتُ الأشكال، ومثّلتُ المشهد إيمائيًا، فأضحكتُ الممرضات الحاضرات، خاصة صوفي دافان التي باحت لي على سبيل المسارة أن هناك الكثير مما يجب فعله في المستشفى أيضًا، وأن الأشخاص الفظين يجوبون الممرات وأن معرفة قصتي ستعطي الأمل لجميع هؤلاء النسوة المهانات يوميًا بسبب إفراط هرمون التيستُستيرون. رغبتُ أن أروي هذه الحكاية لأمي، وفكرتُ لأول مرة منذ أعوام أنها كانت ستفخر بي. لكنني سرعان ما طردتُ هذه الفكرة، لم يكن لديَّ أي رغبة في رؤيتها ترسو في حياتي، لأنها لم تكن شخصًا مرغوبًا فيه. سمحتُ لها أن تزور لويس، لكنني تحاشيتها بعناية. قررتُ أن نتناوب الرعاية.

ظل لويس ساكنًا لا يتحرك. كنتُ أريد أن أعطي انطباعًا بأنني لم أتخاذل، وأنني أحاول على قدر ما أستطيع أن أجعل البهجة تملأ نهاراته. كان الأطباء واضحين، ليس ثمة فرص تُذكر للحصول على نتيجة، لكن هنالك أملًا ضئيلًا، لذلك رحتُ أتعلق به وأردتُ أن أُظهر له أن أمه تكافح، وأن أمه لم تيأس.

حين كنت أعود إلى بيتي مساءً، تأهّبًا للتخلص من ضغط النهار، كنتُ أدخل في مرحلة إحباطٍ صرفٍ وقاسٍ، فأبكي على سجيتي، وكأس نبيذ أحمر في يدي، ثم آخر، ثم الزجاجة كلها. بعد ذلك أشعر بالتحسن. أعومُ وأسرح في أحلام يقظة. وفي حلم يتكرر، لويس يفرمل في الوقت المناسب على حافة ذاك الرصيف الملعون، يلتفت ويقهقه وهو يقوم بحركة متزحلق، تعني «سيطرة تامة، ماما». نضحك معًا وننطلق متأبطين أحدنا ذراع الآخر نحو محطة دو لِست. صباحًا، في الحياة الفعلية، أستيقظ مصابة بصداع الكحول، أبتلع غرامًا من الباراسيتامول مع قهوتي، وأتجاهل رسائل أمي الهاتفية والإلكترونية، وأغادر مجددًا إلى المستشفى.

***

بعد ثلاثة أيام على الصفعة المدوية، وصلتني رسالة تسريحي بسبب اقتراف خطأ جسيم، فذهبتُ إلى محام وشرحتُ له الموقف. تجهَّم، وأوضح لي أنني في موقف لا أُحسد عليّه... حتى كشفتُ له عن أوراقي الرابحة التي أخفيتها بعناية: خمسة عشر عامًا من الخدمات الجليلة والصادقة عند هيجيموني، تقييمات ممتازة دومًا، عشرات التسجيلات الصوتية المقرصنة توضّح التحيز الجنسي المألوف في قلب الشركة، و- يا لها من معجزة - رسالة الكترونية عفوية متعاطفة من إحدى النساء النادرات اللاتي حضرن الاجتماع المشؤوم، تقول فيها إنها مستعدة أن تشهد لصالحي، شرط عدم الكشف عن هويتها.

أشرق وجه المحامي. كان عملًا رائعًا، وصار ملفّي قويًا، وما كان لمجموعة كشركة هيجيموني - التي يعتمد عملها بالكامل على الثقة التي تمنحها لها نساء العالم قاطبة - أن تجازف قط بنشر فضيحة جنسية قد تكلّفها مقاطعة منتجاتها، وخسارة عشرات الملايين من اليوروات وأزمة إعلامية غير مسبوقة. سيبدأ على الفور مباحثات مالية ستحميني

من الحاجة لسنوات عديدة. برأيه يمكنني أن أحصل بمنتهى اليسر على مبلغ خمسمئة ألف إلى ستمئة ألف يورو، ولكن يمكننا أن نطمح إلى مبلغ أكبر من هذا بكثير عن طريق تخويف الشخصية النافذة.

لذلك أُرْسِلَ تسجيلٌ لإحدى النكات المفضّلة للقائد العام إلى محامي هيجيموني. الميكروفون مفتوح، ويبدأ المشهد. فريق التسويق يقدم إعلانًا جديدًا يصور جينيفر بريستون كونويل، الممثلة الحائزة على ثلاث جوائز أوسكار، ويتابعها نحو ثلاثين مليون معجب على شبكات التواصل الاجتماعي. حضرة المدير العام يقاطع المتحدث بفظاظة.

– تشيخ ويتشوه شكلها، صاحبتك جينيفر. معالجة الصور تكلفنا ثروة باهظة. الأجدر بها أن تجري عملية شفط دهون بسيطة، إن أردتم رأيي.

توقف. انزعاج واضح. صمت. يبدأ حضرة المدير العام في الضحك.

– وكيف لها أن تمتلك نهدين بهذه الضآلة ومؤخرة بهذه الضخامة؟ انفخوا صدرها، واسحجوا مؤخّرتها، وسيكون الأمر على ما يرام هذه المرة. لكن بعد ذلك غيِّر نموذجك الإعلاني، يا صغيري. وإلا ستهوي مبيعات منتجاتنا للعناية بالجسد إلى الحضيض، وأنتم معها.

جائزة الجاكبوت، هتف المحامي، وعيناه تلتمعان بدموع الجشع.

***

قرر الفريق الطبي إيقاف علاج لويس في اليوم التاسع. شفيت الالتهابات، وتقلصت الكدمات. كنتُ أريد أن أصدق أن لويس يسير في الاتجاه الصحيح، لكن الأطباء ظلوا يقولون إنه يجب تقييم حالة وعيه الحقيقي، الآن بعد أن كفَّت الغيبوبة أن تكون اصطناعية. صار يترتب علينا حاليًا أن نعرف هل يُظهر لويس علامات استيقاظ. كم من الوقت تحتاجون لتعرفوا؟ خلال يومين من الآن سيكون لدينا فكرة وافية عن الوضع. تحلي بالصبر. تشجّعي.

***

صمدتُ هذين اليومين من الانتظار غير المحتمل، لكنني كنتُ أبكي في كل مكان، وطوال الوقت. كان كل شيء يعيدني إلى لويس. إلى غيابه. إلى فقده. يلقي عليّ الخباز تحية الصباح فأنفجر منتحبة حين أرى الكاتو الذي اعتدتُ أن أقدمه إلى ابني. أفتح المذياع فلا أقوى أن أحتمل كل هذه الأصوات الدارجة التي يتردد على مسامعي في صداها الصمت المؤلم لشقَّتي الخالية. أمشي في الشارع فأكاد أصاب بالإغماء حين أصادف زلاجة. أضطر للجلوس على مقعد لأسترد أنفاسي حين ألمح شاحنة. تحوَّلت حياتي إلى سلسلة محَن لا أمل في تجاوزها أبدًا.

أخذ الصداع يزداد حِدّة كل يوم. رفعتُ جرعة النبيذ من زجاجة إلى اثنتين. لم ينخدع طاقم المستشفى. أرسلوا ألمع مبعوث في شخص صوفي دافان. كانوا يعرفون أنها غاليتي، ووتري الحسّاس. حدثتني بأقصى ما يسعها من رقة، ودعتني إلى التصرف، وأعطتني بيانات طبيب نفسي لأزوره على جناح السرعة، فأنا أواجه مشكلة، هذا مألوف جدًا في حالتي ولم يفت الأوان، عديني أنك ستتصلين به. أجل أعدك، يا صوفي.

لم أتصل به. غرقتُ في الصمت. كنتُ جوفاء فارغة. أخبرني المحامي أن شركة هيجيموني رفعت فعلًا قيمة المزاد، وأننا نقترب من المليون يورو. كان جذلًا على الهاتف، لكن هذا الخبر لم يسرّني. إنها مجرد معلومة كغيرها من المعلومات.

أتاحت هذه الأيام القليلة لي أن أفتح عينيّ على حقيقة وجودي المرعبة. خارج عملي وابني، ليس لديَّ شيء. ولستُ شيئًا. كانت حياتي العاطفية رقيقة كورقة لفافة تبغ، ولم أمارس الجنس منذ عشرة أشهر مديدة.

لكنني كنتُ جميلة، من قبل. طويلة في المتوسط. نحيلة، متر وثمانية وستون سنتيمترًا، وجهٌ قاسٍ تتخلله عينان عسليتان يعلوهما حاجبان كثيفان، مثيران، منتظمان، رفضتُ على الدوام تخفيفهما فكانا يوسّعان

عيناي. شعرٌ بنيٌّ لامع، هذا هو الوصف الذي استعملته مصفِّفة الشعر كي تعزّيني بهذه الكتلة التي كنتُ أجد صعوبة في ترويضها وتظل غالبًا مرفوعة، ومشكولة بقلم رصاص. كنت أحب هذه الحركة، وهذه الذكرى المراهقة: رفع كثافة البنّي، ولفّه، وتحرير بشرة قذالي وتركها تحسّ، وترتعش، وتفتن أحيانًا.

كنتُ قد أنشأت ملفًا شخصيًا على عدة مواقع للقاءات، وعرضتُ على الملأ عنقي، وحاجبيّ، وكعكة شعري المشعثة. حددتُ الخانات التي تشير إلى أنني أبحث عن لقاءات عابرة. غرقتُ في العروض. معظمها من رجال متزوجين. وانتهى ذلك إلى اقناعي بتفاهة الجنس المذكر.

كانت العلاقة الحقيقية الوحيدة في حياتي هي علاقتي مع والد لويس البيولوجي. علاقة غرامية استمرت زهاء عامين. لكنها علاقة مستحيلة. لم يعرف قط أنه أب. ولم أحاول أن أعرف ما آل إليه حاله. سألني لويس مرارًا وتكرارًا عن أصوله، وسألتني أمي مرارًا وتكرارًا عن والد لويس. طفقتْ تتقصّى بشكل جدي، لكنني رفضتُ دومًا أن أسهب في الحديث عن هذا الأمر. فضلتُ علاقة بسيطة مقتصرة على أم وابنها بدلًا من ثلاثي يعيش حياة منغّصة. أخذتُ خيار الأسرة المفككة بدلًا من خيار الأسرة الهجينة.

***

مساء اليوم الحادي عشر، استدعاني رئيس القسم إلى قاعة العائلات. ألكسندر بوغران ونِعْمَ الإسم. أحد المتميزين في المستشفى. غرَّة مسرَّحة بإتقان، وابتسامة آسرة. ولو كنا في ظرف آخر، لأمكنني أن أستمتع معه على انفراد. لكنه كان يبدو وقورًا. وكنا في حجرة ديكورها أكثر بهرجة من الحفاظ على الاستقامة. خفتُ. جلستُ صامتة، عيناي مطرقتان، وذراعاي معقودان، وأسناني تعض على شفتيّ، ويداي متكورتان. كان كل شيء فيَّ مغلقًا.

حينها شرح لي الطبيب. ببطء. منتقيًا كلماته. انهار عالمي أخيرًا. لم يُظهر لويس أي إشارة استيقاظ. كان الفريق الطبي قلقًا للغاية. لم أعد متأكدة من المصطلحات المستخدمة. كان لويس في حالة يسمونها عادة حالة نباتية. ماذا يعني ذلك بالضبط؟ يعني أنه يتنفس، وأن بعض ردود الفعل تعمل، وأن التخطيط الكهربائي يُظهر علامات على اعتلال الدماغ تبًا، تكلمْ بوضوح اللعنة! بدأتُ أفقد هدوئي. هو ظل يحافظ عليه، لابد أنه اعتاد أن يواجه أهلًا على حافة الانهيار. ما كان يقصده هو أن الخط لم يكن مستويًا، لذلك لم يكن ممكنًا الإعلان عن موت دماغي، لكن يُلاحَظ نوعٌ من ضوضاء عميقة فوضوية، وهذا يعني أن خلايا دماغ لويس العصبية ظلت تمارس نشاطًا غير منطقي تمامًا. لذلك لم يزل التشخيص الحيوي مستمرًا. يجب الانتظار أيضًا.

في تلك اللحظة صرختُ، على ما أعتقد. أم هل حدث ذلك حين لفظ الكلمة التي امتنعتُ عن التفكير فيها منذ أحد عشر يومًا؟ موت. لويس يمكن أن يموت. سألتُ كم من الوقت يجب الانتظار حتى أعرف. لم يشأ أن يجيبني. طرحتُ السؤال ثانيةً، ثم ثالثةً، رافعةً صوتي في كل مرة. اضطرب تنفسي، ورحتُ أبكي، وأمرر يدي على وجهي، وفي شعري، مرددةً بلا كلل أو ملل أن هذا غير ممكن. أصبحتُ مجنونة. وراح ألكسندر بوغران يؤكد مداخلاته قائلًا «أنا آسف يا سيدتي، لا أستطيع إجابتك» طالبتُ بأن يجيبني، لا يمكنه أن يتركني هكذا، فلديه بالتأكيد فكرة عن الوقت اللازم لأعرف. يجب أن نرى يومًا بيوم كيف سيتطور جسمه، وبشكل خاص دماغه. وكلما حدث شيء جديد، سيسمح لنا أن نعيد تقييم وضعه. أجل لكن إذا لم يحدث شيء؟ إذا لم يحدث شيء، بعد كم من الوقت ستقررون أن الأمر انتهى؟ تبًا أجبني! أجبني أتوسل إليك، أحتاج أن أعرف. أنا بحاجة أن أعرف.

عرفتُ. جلست. قلبي ممزق. وضع ألكسندر بوغران يده على كتفي.

لم أعد أقوى على البكاء. شهر. في غضون شهر، إذا ظلت حالة لويس كما هي، سيطرح الأطباء مسألة متابعة العلاج وقد يضطرون إلى اتخاذ قرار عدم الإبقاء على حياة ابني بشكل مصطنع. وإذا بعد شهر ارتأوا أنه لم يعد ثمة أمل بتعافي الخلايا العصبية، سيقررون عدم تحميله معاناة إضافية، وعدم الاستمرار بطريقة غير عقلانية، وغير مبرَّرة. بالتالي سيوقفون الآلات. شهر. شهر مديد. شهر قصير جدًا. لكننا لم نصل إلى هذه النتيجة. تشجَّعي. اصبري. شكرته، فسألني مرةً أخيرة هل سأكون بخير، وأجبته أجل بالتأكيد.

***

خرجتُ من المستشفى في حالة شرود. سمعتُ بوضوح صفيرًا أميزه بين ألف. صفيرُ راعي بقر، صفيرٌ جاف لراعٍ ينادي قطيعه، صفيرٌ كرهته دومًا. التفتُّ ورأيتها، واقفةً، قبضتيها على وَركيها، ترمقني بنظرة قاسية. أمي. لم أكن أحتاج إلى هذا. ليس هذا المساء. على الأقل هذا المساء.

تظاهرتُ أنني لم أرها وأسرعتُ الخطى. صفّرت لي نحو عشر مرات، وكأنني كلبة شاردة. أشرتُ إلى سيارة أجرة عامة وابتلعتني سيارة مغلقة نوافذها ملونة. رأيتها تركض نحوي ملوَّحةً بحركات مبالغة (عمرُ أمي ستون عامًا وهمَّتها عالية). لم أكن أعرف أين أذهب لكنني لم أرغب بالعودة إلى منزلي. أعطيتُ السائق عنوان مطعم. اتخذتُ فجأة قرارًا مرتجلًا أن أحتفل بالشهر الأخير لابني عند أفضل طاهٍ. سأقضي هذه الأمسية التي اضطررتُ خلالها أن أتحمل لأول مرة في حياتي رفضًا من نادل. حين طلبتُ زجاجة نبيذ ثالثة باهظة الثمن، طُلبوا مني بتهذيب أن أدفع الحساب وأغادر. شعرتُ بإهانة بالغة. ذكرياتي مشوَّشة للغاية، لكنني أظن أنهم اضطروا أن يُخرجوني من المطعم، وأنني تعشّيتُ مجانًا - التخلص من هذه الثمالة دون أن تدفع الحساب أفضل من إثارة فضيحة في هذا العالم الراقي.

وجدتُ صعوبة في العثور على سيارة أجرة للعودة. سيارات عديدة توقفت لكنها رفضت أن تقلني، نظرًا لحالتي. أعادني فارس شهم اسمه الناعم مامادو، وأنزلني أمام مدخل البناء.

- هل أنتِ متأكدة أنكِ على ما يرام، سيدتي؟

- بالتأكيد، كل شيء على ما يرام، سيدي سائق سيارة الأجرة.

انطلقت السيارة، وانهرتُ في المدخل بين لوحة أرقام فتح الباب والأنترفون.

6

يوم 30

صمود

استيقظتُ في سريري. كان رأسي يوشك أن ينفجر وتعتريني رغبة في التقيّؤ والاختفاء في جحر فأر، بينما أستعيد ذكريات ليلة أمس شيئًا فشيئًا. كان العار يجلّلني. آمل أنني لم أصادف أحدًا من الجيران، وسرعان ما تذكرتُ أنه ليس لدي أي فكرة عن طريقة صعودي إلى بيتي. مغامرتي - على حد علمي، كان كل شيء مشوّشًا، لابد أن أعترف بذلك - حدثت في مدخل المبنى. نهضتُ ببطء. أخذ رأسي يدور. نجحتُ في المشي بضع خطوات، خرجتُ من غرفتي ودلفتُ إلى الصالة.

صفير، رعشة، التفاتة. ماما.

مئزر طاهية حول خصرها، مقبض مكنسة كهربائية في يدها اليمنى، وقبضتها اليسرى على وركها - علامتها التجارية والإشارة على نفاد صبرها.

- إن الحالة المزرية التي أنتِ عليها، يا ابنتي، تخيف من يراها.

- صباح الخير ماما. ماذا تفعلين هنا؟

- أستمتع، كما ترين. أقوم بشيء من الترتيب في هذه الحظيرة. لقد توقعتُ أنكِ ستهملين نفسكِ، لكن ما اكتشفته يتجاوز توقعاتي. كدتُ أتصل باثنتين من مدبري المنازل حتى يأتين لترتيب هذه الحالات البائسة الميؤوس منها.

ألقيتُ نظرة خاطفة على الحجرة، إنها محقة. لم أستطع أن أنطق هذه العبارة «أنتِ محقة» التي كان من شأنها أن تمزق فمي، لذلك لم أنبس ببنت شفة وتهالكتُ على أريكتي، متدثرةً بغطاء ومتكورةً داخله.

- آه، بالمناسبة لا تبحثي عن مشروبك الرخيص، رميتُه كله.

- رميتِ ماذا؟

- رميتُ كل شيء.

- تبًا لكِ ماما، هذا ليس مشروبًا رخيصًا، لقد وضعتِ في سلة القمامة ما ثمنه المئات من اليوروات.

- انتبهي إلى ألفاظك يا حبيبتي. لا يهمني الثمن، انظري إلى نفسك، لا يمكنك الاستمرار على هذا النحو. سأستلم زمام الأمور بيدي.

- لا لن تستلمي زمام الأمور، ستدعينني وشأني. إذا رغبتُ في احتساء زجاجة صغيرة من حين لآخر، فهذه مشكلتي. وأيضًا، أنتِ لستِ مدبرة منزلي. أرجوكِ أن تنصرفي يا أمي.

- لا تحلمي في ذلك. أنا باقية.

- أتمزحين معي، الآن؟

- وهل يبدو على وجهي المزاح؟ هل تعرفين ما كان يمكن أن يحدث لك البارحة؟ كنتِ في غاية الثمالة وكان يمكن لأي شخص أن يعتدي عليكِ. حين أنزلكِ ذلك السائق وانهرتِ، كانت مفاتيحك معكِ، ولو أن شخصًا مجنونًا مرَّ من هناك، الله أعلم ما كان يمكن أن يفعل بك. انتظرتكِ طيلة الأمسية على درجات المبنى. مثل متسوِّلة. من حسن الحظ أن جيرانك عرفوني ولم يطردوني. رأيتكِ تنهارين في المدخل وآلمني ذلك. يحزّ في نفسي أن أراك على هذه الحال، يا تيلما. منذ أيام وأنا أتعقبك. أنا خائفة عليكِ، أراكِ تهلكين نفسك، وتشربين ليترات نبيذ وتنحفين بشكل واضح. أعرف أنكِ تقضين نهاراتك في المستشفى. في البداية قلتُ في سرّي أن ما تفعلينه لابنك أمر رائع. ولكنك أصبحتِ

الآن في حالة مزرية، الجميع يلاحظ ذلك. لن يساعدنا، أن تموتي موتًا بطيئًا. إذا استسلمتِ، كيف تريدين أن يجد لويس القوة ليصارع؟

- تبًا يا أمي، لا تستوعبين أنه لن يفيق أبدًا! تريدينني أن أصارع ضد ماذا؟ أعرف كيف أصارع حين يوجد عدو. هنا ليس ثمة أحد! أوقفوا العلاج ولم يحدث شيء، اللعنة! هل تعرفين ما معنى ذلك؟ معناه أنه إذا لم يحدث شيء في دماغه خلال شهر من الآن، سيوقفون كل شيء. سيفصلون الأجهزة عنه. سينتهي الأمر. ولن يعود ثمة شيء. لقد عدتُ إلى نقطة الصفر. انظري إليّ، ماذا ترين، هنا؟ فتاة بائسة لم يعد لديها شيء. ولم تعد تساوي شيئًا.

اقتربت ماما. جلستْ على الأريكة بجانبي. وضعَتْ يدها على كتفي. كان هذا أول احتكاك جسدي بيني وبينها منذ نحو عشر سنين، على ما أعتقد. جفلتُ، لكنني تركتُ يدها هناك، على كتفي.

- هذا ليس صحيحًا. أنتِ مخطئة. أنتِ أهم بكثير مما تظنين. لكنك لم تعودي ترين ذلك. يجب أن تخرجي من هذه الدوامة السلبية التي دخلتِ فيها. أنا موجودة. لويس موجود والأطباء لا يكذبون. حين يحافظون عليه، على رجلنا الصغير، فهذا يعني أن لديهم أمل. أنتِ قوية، يا تيلما. لم أخبركِ بهذا منذ زمن طويل، لكنني فخورة بك. أنا فخورة بالمرأة التي أصبحتِ عليها.

- هراء.

- توقفي عن التفكير عني، اللعنة! أنتِ لستِ داخل رأسي لذلك دعيني أتكلم، ودعيني أفكر. سأقيم عندك حتى إشعار آخر.

انتصبتُ، وقد طعنني في الصميم نصلٌ حاد.

- هذا ليس واردًا على الإطلاق.

- لا أطلبُ رأيكِ. توليت أمر الحصول على نسخة من حزمة مفاتيحك وأنتِ نائمة.

لم أكن أقوى على المشاحنة. ليس الآن. تركت الأمر يأخذ مجراه وعدتُ للإضطجاع على الأريكة. نهضتْ أمي فغفوتُ، يهدهدني هدير المكنسة الكهربائية. كنتُ في الثالثة عشر من عمري، أنا أيضًا. وصداع شديد في رأسي...

***

يومذاك، لم أذهب إلى زيارة لويس لأول مرة منذ الحادث. نمتُ طوال النهار. حين استيقظتُ، كانت أمي منشغلة في المطبخ ورائحة مألوفة تتضوّع منه. رائحة جنوبية.

تعود أصول أمي إلى جنوب شرق فرنسا، ومع أننا نعيش في باريس، لكننا غالبًا ما ذهبنا لقضاء العطلة الصيفية على شاطيء ڤار، في بيت خالتي أوديل، الميتة منذ خمس سنوات. أوديت وأوديل، كارثة الخيال، لكنهما زوج أخوات حقيقي، تلكما الشقيقتان. توأم. كنتُ أحب خالتي التي تحضِّرُ لنا دومًا أطباقًا لذيذة. في سهرات الرابع عشر من تموز، كانت تقدم لنا حساء خضار، ثم ننزل من مدينة إيير القديمة نحو المركز ونشهد الألعاب النارية، والفم مفعم بالنكهات. أظن أنني كنتُ سعيدة حينذاك. أدركتُ إلام كانت ترمي أمي الوصول إليه في ذاك المساء. كنتُ أميز رائحة حساء الخضار من بين ألف رائحة. إنه طبق صيفي، ونحن في التاسع عشر من كانون الثاني. حسنًا، كنتُ أتضور جوعًا.

لاحظتُ على الفور نظافة الشقة. ولأن أمي لم تكن قط ماهرة في الأعمال المنزلية، اشتبهتُ أنها استعانت بفرانسواز، السيدة التي أستخدمها في تدبير منزلي، لكنني لم أنبس ببنت شفة. جلستُ إلى طاولة المطبخ. صحنان، وقدحان. كنتُ أستعد لتناول العشاء مع أمي وجهًا لوجه. كان رعبًا لا يمكن تصوره قبل بضعة أيام. مفارقة إضافية في هذه الحياة المقلوبة فعلًا رأسًا على عقب. ابتسمت لي أمي، وسألتني هل نمتُ نومًا هنيًا؟ بطريقة سؤالها، مع رائحة الحبق الفوّاحة، أعادتني

ثلاثين عامًا إلى الوراء. إلى حلوى مادلين بروست سريعة التحضير. رأيتُ نفسي ثانية في مطبخ شقتنا في حي بوت أكاي، شوكولا مُدَخَّنَة موضوعة على الطاولة، ابتسامة أمي وهذا السؤال المعتاد: «هل نمتِ نومًا هنيًا، يا هريرتي الصغيرة الدافئة؟» دعتني أمي على الدوام هريرتها الصغيرة الدافئة. لم تكن قد نطقت هذه الكلمات منذ غابر الزمان.

كان يومًا عظيمًا مشهودًا. ربما يوم القيامة.

خففتُ من تحفظي وأجبتُ ببساطة أجل ماما، شكرًا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

خبر عاجل

حسنًا إذًا أنا آسف لأنني ضلَّلتكم تمامًا. أعتقد أنني على قيد الحياة. في حالة مزرية، لكنني على قيد الحياة. لو كنا على قناة بي إف إم (BFM TV)، لظهر شريط أحمر «خبرٌ عاجل: إنه على قيد الحياة»، يجب القول إنه لم يكن سهلًا ملاحظة ذلك. من جهتي، لزِمني وقت. فكيف عرفتم بأنني كنتُ على قيد الحياة؟ أمر سيئ أنكم عرفتم قبلي.

وهنا تتساءلون لماذا أخبرتكم أنني متُّ؟ أولًا قرأتم بشكل خاطئ. أنا لم أقل قط إنني واثق من أنني متُّ. اتخذتُ احتياطات خطابية، مثلما يُقال حين نتباهى بالحديث كما في كتاب عن الميثولوجيا الإغريقية. قلتُ دومًا «أعتقد»، وكان هذا صحيحًا. بصراحة لا أدري أين كنتُ طيلة هذا الوقت. أخبرتكم بذلك، كانت مصابيح الشاحنة، ثم نوع من الثقب الأسود ورأيتُ بوضوح بعدها أنني لم أعد في الحياة الحقيقية. ورغم هذا واظبتُ على التأمل والتفكير. كما في حلم مديد لكن جميع الأشياء الغريبة للأحلام تلاشت. ما من صور لي وأنا أحلِّق وأسبح على الظهر سباحة سريعة، وما من أشباح برؤوس ثلاثة تلاحقني في قصر الأميرة النائمة، وليس ثمة أية علاقة جنسية مع جينيفر بريستون كونيل، لا شيء، البتة، صفر، مجرد أفكار عادية، قياسية.

تتساءلون سؤالًا مشروعًا كيف أعرف الآن أنني لستُ ميتًا. أود أن أجيبكم أنني رأيتُ النفق، وضوءً أبيض، وأن الله دعاني إليه، وأنه وسيم وطويل ويتضوَّع برائحة سحابة دافئة زكية، وأنه قال لي لم يحن أجلك يا صغيري لويس، اذهب إلى الأرض ولا تعُد إلا بعد زهاء مائة عام. لكن

في الحقيقة لم يحدث الأمر إطلاقًا على هذا النحو. في الحقيقة كنتُ في عالم أحلام لا مثيل له، فقدتُ الإحساس بجسدي، ولم أعد سوى روحٍ وفكرٍ. لا لستُ مجنونًا أؤكد لكم، أعني على ما أعتقد، لكنكم استوعبتم الآن أنه يجب الحذر من عبارة «على ما أعتقد».

لذلك كنتُ في هذا العالم منعزلًا وحدي، وفجأة بدأتُ أشعر بجسدي من جديد. الأصابع أولًا. أصبحت أصابعي حقيقية، وأحسست بوخز مزعج للغاية. كما تعرفون، حين تنامون في الليل على ذراعكم لفترة مديدة، تحسون بخدَرٍ في أطراف الجسم، اليد لا تعود تستجيب ولا يعود هنالك مفرّ من انتظار «التنميل»، وعودة الدم إلى العضو النائم. أحيانا هذا يدغدغ قليلًا، وأحيانًا يؤلم فتشعرون أن ذراعكم تموت. حسنًا بدأت أشعر بهذا الإحساس المستمر بأصابعي تموت تحت جحافل الملايين من النمل. ثم ظهر الألم أيضًا في أماكن مختلفة من جسدي، وفهمتُ أنه يجب أن أصبر على ألمي. وبالتدريج اعتدت ذلك. أم أن حدة الألم خفت؟ لستُ متأكدًا. ما كنتُ متأكدًا منه هو أن جسدي استفاق لكنه لا يتحرك. ومع أنني استجمعتُ كل قواي، ومع أنني أوعزتُ بفتح جفوني، وتحريك يدي، وأن ينطق لساني، لكن شيئًا لم يحدث. هذا يثير الجنون. أخذتُ أبكي. أصرخ. داخليًا بالتأكيد. كنتُ في سجنٍ وكنتُ وحيدًا. بعد ساعاتٍ (أيام؟) عديدة من الكفاح، عدتُ إلى النوم، على ما أعتقد. ثم استيقظتُ على ما أعتقد. ثم عدتُ إلى النوم على ما أعتقد. أنقلُ إليكم التفاصيل، لكنني أظن أن هذا الاستعراض الصغير دام فترة مديدة.

ثم حدث شيء غير معتاد. سمعتُ أحدًا يتكلم. صوتٌ غامضٌ أولًا، وبعيد. تساءلتُ جديًا هل كنتُ أوشكُ أن أصل إلى آخرةٍ لم نؤمن بها قط لا أنا ولا أمي. ثم قلتُ في سرّي إنه من الغريب استقبال القادمين الجدد بعبارة «هل رتبتِ الغرفة رقم 405 هذا الصباح، يا بريجيت؟»،

أوه يا إلهي. أوه يا إلهي. أوه يا إلهي. أوه يا إلهي. هكذا هي ردة فعل

الناس حين يحدث أمر مدهش في مسلسل أمريكي. وفي لغة الرسائل القصيرة يُقال يا إ. لذلك يا إ. يا إ. يا إ[1]. أعتقد أنني أسمع من حولي. ماذا نستنتج من هذه الكلمات؟

استنتاج رقم واحد: أنا في الغرفة 405، أو لستُ بعيدًا عن الغرفة 405.

استنتاج رقم اثنين: ثمة شخصان قربي، أحدهما بريجيت. لا أعرف أحدًا باسم بريجيت إلا فرقة فتيات تغني «والآن قاتلوا» هل هذه علامة تخبرني أنه يجب أن أصمد؟ علامة في غاية التعقيد. هل سأحظى بحفلة موسيقية خاصة صغيرة؟ لا أظن.

استنتاج رقم ثلاثة: ردّت بريجيت من بعيد لا، لم ترتب بعد الغرفة 405 لكن ليس ثمة ما يدعو إلى العجلة فهي ليست متسخة، واستخلصتُ من ذلك أن الأمر كان يتعلق بترتيب الغرفة 405.

قررتُ أن أتريّث قليلًا. لأنه في نهاية المطاف إن جاز التعبير لا يسعني فعل شيء آخر. في هذه الأثناء، رحتُ أتقصّى أي صوت. صرتُ أشبه علي بابا وهو يدخل المغارة العجيبة، أشبه هاري بوتر وهو يكتشف قدراته السحرية، أشبه سندريلا المبهورة أمام عربتها، أشبه... حسنًا لقد فهمتم الفكرة. أصبح أي صوت بمثابة كنز، وكنتُ أستثار مثل برغوث، مع أنني أُدرك أنه لم يكن يبدو شيء من ذلك. من الخارج يجب الحفاظ على وجه لاعب البوكر الرزين، الوجه الجامد الشهير، الذي لا تخترقه الخدع المحترفة. لم أكن أُظهرُ الكثير من التعابير، كان هذا أقل ما يمكن قوله. تحليل سريع للأصوات المحيطة: أصوات طنين منتظمة، تنفس (ربما تنفسي)، صخب غامض من الأصوات وصليل أدوات مائدة، مثل مطعم مدرسة بعيد، رفيقة بريجيت تدندن لحنًا لا أعرفه، تتوقف

---

(1) المقصود: يُقال يا إلهي. يا إلهي... لكن لأنه يتحدث عن لغة الرسائل، كتبها مختصرة، يا إ. يا إ... وقد وردت بالانكليزية: OMG اختصار لـ Oh my God.

وتقول «صباح الخير، دكتور» أنا في المستشفى. هل كنتم تعرفون هذا أيضًا؟ تبًا، لكن حين تعرفون أشياء أخرى أخبروني بها لأن الأمر في هذه الحالة يصبح أثقل. مع ذلك أنا واثقٌ أنكم لم تكونوا تعرفون أنني بدأتُ أسمع مجددًا، لأنني أنا نفسي اكتشفتُ ذلك توًا.

دخل أشخاص عديدون إلى حجرتي، وارتفع مستوى الطنين فجأة. صوت ذكر، وصوتان أنثويان. أخبار. أعترف أنني لم أفهم كل شيء، لكنني استوعبتُ أشياء كثيرة رغم كل شيء، وليس فقط الأشياء الجيدة. راحوا يتحدثون عني، لفظوا اسمي مرارًا وتكرارًا. فهمتُ أن حالتي مستقرة. لم تتحسن، ولم تسؤ. لا شيء خاص يستحق القول. مستقرة على ماذا؟ عندها سمعتُ الكلمة. غيبوبة. صدمني ذلك. غيبوبة هذا يعني أنني في حالة سيئة. حين يعلنون في فيلم عن أحد أنه «في غيبوبة»، يأخذ الناس في البكاء، وينهارون، ويصرخون، ويلوحون بقبضاتهم للطبيب الذي يهدئ في النهاية روع الأم المكلومة. فكرتُ على الفور في ماما. هل كانت تعرف أنني في غيبوبة؟ بالتأكيد كانت تعرف. وهل لكمت قبضتها وجه الطبيب؟ لن يكون هذا مستغربًا عليها، وهو ما جعلني أبتسم - داخليًا بالتأكيد، أما خارجيًا فوجه لاعب بوكر (poker face).

إلى أي مرحلة من مراحل تطور مغامرة الغيبوبة وصلنا؟ تألمتُ لأجل ماما. أنا، لم أكن أدرك أنني في غيبوبة، لذلك لم أكن بهذه الدرجة من السوء في نهاية المطاف. أردتُ أن أعرف كم من الزمن مضى على وجودي هنا، ولكن لأنهم لا يسمعونني فإنه يصعب إقناعهم أن يخبروني بذلك. شحذتُ تركيزي وفي لحظة قالت إحدى السيدتيْن في أي يوم نحن؟ تيكتاك تيكتاك تيكتاك، أوشك أن أعرف. أجابت السيدة الثانية أننا في يوم الخميس. لم يقدم هذا لي أثقالًا. ثم استطردت وقالت: التاسع عشر من كانون الثاني.

يا إ. يا إ. يا إ. يا إ. في آخر مرة كنا في يوم السبت السابع من كانون الثاني. ماذا حدث في هذه الأثناء؟ هنا رحتُ أتخيل جديًا حالة ماما وجدتي أوديت، ولم أعد أشعر إلا برغبة واحدة: أن أخبرهما أنني أسمع من جديد، وأن الأمر سيكون على ما يرام، وأنه سيسعني بالتأكيد أن أتحدث إليهما قريبًا.

انتظرتُ طوال النهار. نمتُ قليلًا، وفكرتُ كثيرًا، وأصخت السمع مديدًا. انتظرتُ ماما، انتظرتُ جدتي.

حين سمعتُ أحدًا يقول عمت مساءً في الممر، فهمتُ أن النهار انتهى. لم يأتِ أحد لرؤيتي. كنتُ وحيدًا.

أخذتُ أبكي.

داخليًا بالتأكيد، أما خارجيًا فوجه لاعب بوكر.

7

يوم 26

الرغبة

احتجتُ بضعة أيام أخرى قبل أن أدخل إلى غرفة لويس. ليس غرفته في مستشفى روبرت دوبريه، بل الغرفة الأخرى. الحقيقية. منذ السابع من كانون الثاني، لم أستطع ولوجها. أغلقتُ بابها ولم أفتحه مرة أخرى. استوعبتْ أمي جيدًا أهمية هذه الحجرة في إعادة بنائي النفسي ولم تطأها أيضًا، محترمةً إيقاعي - لأول مرة.

ثم شعرتُ أنني مستعدة. مستعدة لمواجهة ملصقاتِ صورِ معبودِيه، ورسوماته التي تحاول تصوير أبطاله المفضلين، وفراشه المبعثر، ومنامته المدعوكة المرمية على طاولة المكتب، ودفتر نشاطه المفتوح على صفحة يوم الاثنين التاسع من كانون الثاني. مكثتُ في غرفته لفترة مديدة. رتبتُ، ببطء، وبعناية فائقة. قررتُ أن أغسل الملابس الوسخة. وبينما أرفع مفرش سرير لويس لأنزع عنه غطاءه الأزرق السماوي، سمعتُ قرقعة. سقط شيء فوق الأرضية الخشبية. جذبتُ المفرش مرة أخرى نحوي لأرى إن كان يوجد شيء آخر، لكن لم يعد يوجد شيء. ثم ركعتُ على الأرض ومددتُ ذراعي لأسترد ما انزلق.

إنه دفتر ملاحظات صغير، زُيِّنَ غلافه بملصقات صور لاعبي كرة القدم المشهورين الآن. ابتسمتُ، وفتحتُ الدفتر. على الصفحة الأولى كُتِبَ التنويه التالي:

مفكرة أعاجيبي

كان كاتب هذه الكلمات ابني، عرفتُ خطه غير المقروء والرديء دومًا رغم سنه. إحدى سمات بعض الأطفال الناضجين قبل الأوان، شرحوا لي: التفكير أسرع من اليد دومًا، وغالبًا لا يُعتنى بالخط، إن لم يُهمَل. قلبتُ الصفحة وبدأتُ أقرأ، حابسة أنفاسي.

حبيبتي وغاليتي مفكرة أعاجيبي،

أعهد إليكِ بلائحة فيها جميع التجارب التي أود أن أعيشها قبل موتي: أعاجيبي. إنها أشبه بلائحة أحلام إلى حد ما، لكنها ليست أحلامًا فعلًا لأنني لم أكتب فيها إلا أشياء تبدو لي قابلة للتحقق.

إنها لائحة مفتوحة. سأملؤها بالتدريج، حين أفكر في شيء، أو شخص، أو أمر طريف أو بما هو أعمق. ولأنني لا أنوي الموت باكرًا اخترتكِ سميكة يا حبيبتي وغاليتي، مفكرة أعاجيبي.

إيزا هي من أعطتني هذه الفكرة. إنها في اللائحة ؛))

نامي قريرة العين يا أعاجيبي!

لويس

لم أكن أتوقع هذا. أغلقتُ المفكرة، ووضعتها على مكتب لويس بسرعة فائقة، كأنها تهم أن تحرق يديّ. جلستُ على الكرسي قبالتها وواظبتُ على تفحّصها من بعيد. كان اللاعب أنطوان غريزمان يبتسم لي ابتسامة عريضة واثقة. وبعد أن قرأتُ العنوان على الصفحة الأولى، قلتُ في سرّي إن لويس يتحمس قليلًا وهو يصف أعاجيب هؤلاء الشبان بسراويلهم القصيرة يركضون وراء كرة. في داخل المفكرة، كنتُ أظن أنني سأجد صور لاعبي كرة قدم شبيهة بصوَر الغلاف. وبدلًا من ذلك،

أخرجتُ دفتر أحلام صغير، مخبأً تحت فراش ابني، منوِّهًا إلى اسم لم أسمع به قط. من كانت إيزا؟ شعرتُ أنني متطفّلة. ومتضايقة. أحسستُ أنني أدخل حديقة سرية اقتحمتُ بوابتها عنوة. داهمتني على الفور رغبة جارفة بالبكاء، لكنني كنتُ أعرف أن أمي ليست بعيدة، ولم أكن أريد رؤيتها تداهم غرفة لويس. نجحتُ في احتواء انفعالي. أغلقتُ الباب. كنتُ أريد أن أبقى وحدي.

دام هذا دقائق مديدة. كنتُ مضطربة. ماذا يجب أن أفعل؟ لم تكن تراودني إلا رغبة واحدة: أن أكمل قراءتها. أن أُقلِّبَ الصفحات، وأكتشف خصوصية لويس، وأتعرّف إلى التجارب الأحبّ إلى قلبه. وعلى الأخص، على الأخص، أن أعرف إن كنتُ جزءًا من مفكرة أعاجيبه. مثل المدعوَّة إيزا، التي شعرتُ بالغيرة منها منذ اللحظة الأولى. هل أدرجني ابني في أحلام مستقبله؟

لم أستسلم لنداء المفكرة. قررتُ أن أعيدها إلى مكانها وأن أفكر بروية في التصرف الواجب اتخاذه. التزمتُ الصمت أثناء تناول العشاء مع أمي. وبالتأكيد لاحظتْ ذلك - فهي تلاحظ دومًا كل شيء. خشيتُ أن تتطفل على غرفة لويس في الليلة التالية، لذلك تظاهرتُ أنني أقرأ كتابًا لم أتخطَ قط الصفحة الثامنة منه، منتظرةً بفارغ الصبر أن أسمعها شخيرها، ثم ذهبتُ وأخذتُ المفكرة وحملتها إلى غرفتي. أمضيتُ ساعات أقلِّب المشكلة على جميع وجوهها دون أن أفلح في اتخاذ قرار، ثم غفوتُ. لم أقرأ محتوى المفكرة، تصفحتها فقط بسرعة لأرى إن كانت مملوءة، وكانت كذلك. على أي حال صفحات عدة.

استيقظتُ في منتصف الليل مذعورة. حلمتُ حلمًا غريبًا. كنتُ جالسة بجانب لويس، في غرفته في المنزل. كان لويس يتثاءب، ويغفو، لكنني لم أدعه ينام، كنتُ أقرأ له كتابًا وأذكّره بالنظام كلما أوشك على النوم. ثم تحولت الغرفة إلى حجرة مستشفى، ولويس نائم هذه المرة.

أقرأ له الكتاب نفسه، لكنه لم يعد يتحرك، ولم يعد يبدي أي ردة فعل. أغلق الكتاب وأمثل المشاهد إيمائيًا، لكن لا يبدو عليه أي تأثر. أستمر في التمثيل الإيمائي وأهرم. وحين بلغتُ الستين من عمري، فتح لويس عينيه وأطلق صرخة. أفلتُ الكتاب وتبينتُ أنه ليس رواية، ولا مجموعة قصص خرافية. كان المفكرة. استيقظتُ، متعرّقةً.

بذرة صغيرة بُذِرَت، وفكرة خرقاء راحت تنبتُ في رأسي، وجملة تستحوذ على تفكيري، مثل هاجس»: لويس لم يمت، لويس في غيبوبة لكن لويس حي، يا تيلما، كل شيء لا يزال ممكنًا، أمامه شهر تقريبًا ليستيقظ، سيستيقظ». ظل الطاقم الطبي يكرر أنه فاقد للوعي تمامًا. هل هم متأكدون؟ لا، لا يمكنهم تأكيد ذلك بيقين. بالتالي ثمة إمكانية أن يسمعني، وأن يشعر. سأتشبث بها. مكتبة سُر مَن قرأ

كان يجب أن أمنح ابني الرغبة في العودة، وأن أجعل لعابه يسيل وأنا أظهر له كل ما يفوته أثناء بقائه في الغيبوبة. أن أمنحه الرغبة في العيش. كان مشروعًا جنونيًا، لكنه قابل للتنفيذ. كنتُ مقتنعة بذلك.

الأبطال؟ رياضي: لويس. مدرّب: أنا.

الميدان الأولمبي؟ الخروج من الغيبوبة بالسباحة الحرة.

المكافأة، والحافز؟ كل ما هو مدوَّن في المفكرة. كانت هذه المفكرة تركز على المستقبل. كانت هذه المفكرة مملوءة بتجارب يحلم لويس أن يخوضها، وبوعود بالفرح، و«أشياء رائعة» كما كتب هو نفسه. كانت هذه المفكرة وعدًا بالحياة.

طريقة العمل؟ سأنطلق لملاقاة أحلام ابني، وسأعيشها من أجله، وأسجلها، بالصوت والصورة، وأشاركه إياها. وسألتزم رسميًا بذلك. لن يسعني التراجع ولا خذلانه. لا أدري إن كانت توجد طريقة محددة، ولا أريد أن يبدو كل شيء مسبق الصنع. لذلك يجب أن أكتشف البرنامج تباعًا.

النتيجة المتوقعة؟ أن يقول ابني في سرّه تبًا لا يمكن مع ذلك أن تفعل أمي كل هذا بدلًا مني. وأن يفتح عينيه.

سرَت رعشة في أوصالي. نهضتُ ونظرت إلى السماء. هل أوشك على الجنون؟ وفي غضون لحظات، أزحتُ ظلمة الغيوم التي ترخي ثقلها فوق ابني. لكن الليل كان حالكًا، والنتيجة بعيدة المنال. قد لا يعود لويس أبدًا من غيبوبته، أعرف هذا. رحتُ أبكي، صامتةً، ساكنة. كان عنادي بلا شك عبثيًا، لكن لم يكن بمقدوري أن أترك ابني يرحل دون أن أسمح له بتحقيق جميع أحلامه الطفولية.

كم من الوقت تبقى لي؟ أقل من شهرٍ الآن. سبق أن أضعتُ أيامًا ثمينة. حان الوقت لبدء هذا السباق ضد الزمن ومن أجل الحياة.

قلبتُ الصفحة الأولى واكتشفتُ ما كان ينتظرني.

سأخرج من منطقة راحتي، أعرف ذلك. كنتُ مستعدة.

من أجل لويس. وبالتأكيد من أجلي بعض الشيء.

8

اليوم 25

طوكيو، إنها بعيدة

بعد ليلة بلا رقاد، وضَّبتُ حقيبتي وحجزتُ تذكرة باهظة الثمن إلى طوكيو. كان قد تبين لي أنه لم يتبقَ إلّا درجة رجال الأعمال، لكن نظرًا لأحدث الأخبار الواردة من المحامي حول تطور المفاوضات مع هيجيموني، فإن بمقدوري أن أتحمل تكاليف الدرجة الأولى...

ذهبتُ لوداع لويس، وشرحتُ له المشروع المجنون الذي ارتسم في ذهني. كان لويس ما يزال وسيمًا، هادئًا، مطمئنًا، ساكنًا، لكن أمرًا ما غير مألوف حدث في ذلك الصباح. أعرفُ ابني عن ظهر قلب، ومنذ أن رقد فوق هذا السرير في المستشفى، لم أستغرب شيئًا في وجهه. يمكنني أن أصف أنفه الرقيق، ومنبت شعره، وجفنيه الناعمين، وحاجبيه اللذين أرتبهما مع كل عملية تنظيف أتوَلاها. بعد الوصف الحماسي لأسابيعي القادمة، انقبض قلبي وتسارعت دقاته في آن معًا. في زاوية عين لويس اليمنى، تشكلت دمعة، ثم سالت على امتداد صدغه. بكى لويس، أنا متأكدة من ذلك. أحسستُ بقلبي يخفق وأطلقتُ صرخة، فهرعتْ ممرضتان ودخلتا على عجل. أردتُ أن تشاركاني حماستي، وأن تكونا شاهدتين، لأن شيئًا حدثَ على وجه ابني! لكن حماستي همدت. إحدى الممرضتيْن - إحداهن التي لا أحبها، ولا أحفظ اسمها ولا شكلها (أجد نفسي في كل مرة أتساءل عن علاقتها بالأمر، قبل أن أميّزها) - ردّت بجفاء أن هذا النوع من الأمور يحصل أحيانًا، وأن هذه

ليست بالتأكيد دمعة وإنما قليل من الماء ربما تبقى على جفنه الذي لم يزل مبللًا لأنه لم يمض على عملية الغسل وقت طويل، وأنها لو كانت عبارة عن إفراز فذلك لا يعني شيئًا. «أجهزة القياس لدى ابنك مستقرة، أنا آسفة، يا سيدتي». جلستُ وحدقتُ في لويس بإمعان. ورحتُ أنتظر الدمعة التالية. ابكِ أرجوك، يا حبيبي. أظهر لهن أنني لستُ مجنونة، أظهر لهن أنك تصارع.

تمنيته أن يستيقظ. وقررتُ أن أصارع ما دام هنالك ذرة أوكسجين تجري في رئتيّ وفي رئتيه. اتخذتُ هذا القرار الحاسم في اليوم التالي لإعلان الدكتور بوغران. في الحقيقة، كان هذا القرار موجودًا دومًا، في داخلي منذ الحادث. ولكنني احتجتُ إلى تشجيع أمي، ولا سيما إلى هذا العد التنازلي للأيام المشؤومة حتى يبدو لي بديهيًا وواضحًا. عليَّ أن أتخلى عن النواح وجلد الذات لأستطيع مواجهة الأمل وعدم التخلي عنه ثانية.

هذا الثلاثاء 24 كانون الثاني، وصلتُ إلى المستشفى فجرًا وأبرمتُ اتفاقًا مع صوفي دافان. أصغت إليَّ بخشوع وهي تنظر إليّ كأنني كائن فضائي. ثم انفجرت ضاحكة وهي تقول لي إن فكرتي عبقرية، وأنها أجل بالتأكيد ستساعدني بقدر ما تستطيع. عانقتها وضممتها، ففوجئَتْ بذلك لكنها استسلمت له. سألتني هل يمكنها أن تحدث الممرضات الأخريات عن هذا الأمر، وخاصة رفيقتها الشديدة الشبه بالمذيعة التلفزيونية كاترين لابورد (هذا لا يُختلق)، فقبلتُ وأنا أقول في سري إن هذا الاتفاق بين قناة TF1 التي تعمل فيها كاترين وقناة فرانس تليفزيون هو بشرى خير لمشروعي الذي يحوي إجمالًا على جزء سمعي بصري فائق الأهمية. كنتُ قد حشرتُ في حقيبة يدي كاميرا لويس الصغيرة، وكنتُ أنوي قراءة دليل استخدامها في الطائرة المتجهة إلى طوكيو. طوكيو بعيدة، والطيران لمدة اثنتي عشرة ساعة سيمنحني وقتًا لأصبح

مصوِّرة محترفة. هذا على الأقل ما قلته في سرّي تلك اللحظة، دون أن أدرك جهلي المطبق في مجال مونتاج الأفلام.

***

في الساعة الثامنة وخمس وثلاثين دقيقة مساء، وعلى بعد أمتار قليلة من الطائرة، كنتُ لا أزال مترددة بشأن ما أنا مقدمة عليه. بالتأكيد، كنتُ مقتنعة بمزايا المهمة التي نذرت نفسي لها. وبالتأكيد، كنتُ متحمسة لما ينتظرني، وللرحلة الجسدية والانفعالية التي تنفتح أمامي. بالتأكيد، كنتُ أعرف أيضًا أن أمي ستكون حاضرة من أجل ابني. لكن عدم قدرتي على لمسه وتقبيله لبضعة أيام بدا لي محنة رهيبة. كنتُ قلقة قلقًا بالغًا من فكرة أن تتدهور حالته أثناء غيابي.

ماما – التي تراقب حركاتي منذ بضعة أيام – شعرَتْ فعلًا باضطرابي، لكنني نجحتُ في إخفاء اكتشافي وقراري عنها. لم يكن هنالك ما يرعبني أكثر من احتمال وجود مرافق يتبعني كظلي.

انتظرتُ آخر نداء للصعود إلى الطائرة، وتأكدتُ أنني أحمل معي فعلًا المفكرة الصغيرة الثمينة، وأنا أفتح حقيبة يدي وأمرر يدي على الغلاف اللدِن الذي يمجّد نيمار، واتجهت أخيرًا نحو مضيفة الطيران.

تنفستُ الصعداء، وابتسمت ابتسامة عريضة، وجلستُ في مقعدي. هواجس تتقاذفني بشأن حجم المقعد، وعدم فهم الطريقة التي تسمح بالتمدّد والاستلقاء (هذه أول مرة أسافر في درجة رجال الأعمال)، منشفة صغيرة دافئة، ابتسامات لطيفة من طاقم الطائرة، كأس شمبانيا لم يكن بمقدوري أن أستسلم له دون أن أتحمل توبيخ أمي، التي جعلتني أعيش جحيمًا غذائيًا بإلغائها الكحول إلغاءً تامًا، بعد أن لملمت انهياري عشية إعلان الدكتور بوغران. إحساس رائع بالدلال يغمرني.

شعرت بالراحة، بالراحة تمامًا. لم يحدث هذا لي منذ سبعة عشر يومًا. لا، منذ زمن أطول بكثير، عند التفكير مليًا.

رفعتُ كأسي إلى شفتيّ. نخبُ أحلامك، يا بني.

II

غرفة الأعاجيب

9

اليوم 24

القفز من النافذة

- أريغاتو غوزيماسو!

- أليغاتور... غوز - آي - ماس!

هذه اللغة جحيم. ورغم وجود كتيب تعليم اليابانية للمبتدئين في يدي اليمنى، لم أنجح في تحديد نغمة النطق. في الطائرة، حاولتُ أن أدرس بحيوية بعض العبارات الضرورية التي تُسْتَخدم في جميع المناسبات، مثل هذه العبارة النموذجية «شكرًا جزيلًا»، لكنني غفوت. لا بد من القول إن طيرانًا ليليًا، كما يدل اسمه، يحدث ليلًا. وكان يجب أن أعرف أنني أكثرتُ من الأهداف، وأنني بتأثير الشمبانيا والتعب، سأنام نصف المسافة. على الأقل، كنتُ في أحسن حال هذه الليلة. ومع ثماني ساعات من فرق التوقيت، استيقظتُ كالعادة في الوقت المحدَّد لكن الشمس كانت تغيب عن طوكيو.

في المطار، كان كل شيء مكتوبًا باللغة الإنكليزية. وبعد أن استلمتُ أمتعتي وسحبتُ آلاف الينّات من الصراف الآلي، وجدتُ سيارة أجرة عامة بسهولة. أظهرتُ للسائق عنوان فندقي على هاتفي الذكي، فأومأ بالموافقة وسرنا نحو أربعين دقيقة. سيارة الأجرة، كانت بالفعل اغترابًا كاملًا. ظننتُ أن سيارة الأجرة هذه كانت استثناءً، لكنني سرعان ما أدركت أنها القاعدة. كان السائق يلبس قفازات بيضاء، ويرتدي كأنه يذهب إلى

حفل زفاف، ومعزول بحاجز شفاف يسمح بالتواصل الصوتي. ناولني منديلًا رطبًا ملفوفًا في كيس بلاستيك. كانت المقاعد مغطاة بنوع من مفارش المائدة المزخرفة ما كانت جدتي لتستنكرها. كأنها جاءت من القمر، مبتذلة، معقمة، شديدة الفعالية لتغيير الجو.

فكّرتُ في لويس على الفور، في شغفه بالرسوم المتحركة اليابانية. لذلك كان منطقيًا جدًا أن تبدأ لائحة أعاجيبه من طوكيو. وقد سبق له أن طلب مني مرارًا وتكرارًا أن أصحبه إليها، لكنني لم أجد وقتًا لأفعل ذلك. انهماكٌ في العمل، واختصار للعطل إلى أقصى حد. هنا في طوكيو، في سيارة الأجرة العامة الفوّاحة برائحة مركز تسوق، عاهدتُ نفسي أن أصحبه إلى اليابان. قولًا وفعلًا.

اخترتُ فندقًا فخمًا ببحث سريع على النت دلّني عليه موقع متخصص. ولو أن فيلم صوفيا كوبولا ضائع في الترجمة صُوِّرَ عام 2017، لصوِّر في هذه المنشأة بلا أدنى شك، كما أخبرتني مُدَوِّنَة مؤثرة. حجة دامغة أغوتني. لم يكن الليل متاحًا هنا، لكنني منذ الثواني الأولى لم أندم على خياري. كان الفندق في حي هادئ - تورانومون هيلز -، بين الطابق الأربعين والطابق الستين من برج يطل على المدينة ويقدم منظرًا خلابًا من فوق برج طوكيو، هذه النسخة المتوهّجة عن برجنا الوطني إيفل. كان البهو أنيقًا، صافيًا، مبتكرًا، أصيلًا. فخمًا. بدأتُ أشعر بالحماسة كبرغوث وأقول في سري إنني سأعشق طوكيو.

كانت غرفتي مذهلة. جزء من الجدار بكامله لم يكن جدارًا، بل واجهة زجاجية تمتد من الأرض إلى السقف. كنتُ في الطابق السابع والأربعين وأشعر أنني أغطس في المدينة. لا شيء قبالتها، فقط إطلالة مدهشة. أطفأتُ مصابيح الحجرة حتى لا يزعجني أي انعكاس. الليل مخيمٌ، وأنوار المدينة تتلألأ على بعد عشرات الأمتار تحتي. لم أعش قط مثل هذه التجربة. بالتأكيد، سبق أن صعدتُ إلى قمة برج مونبارناس

في باريس، لكنني كنتُ آنذاك بصحبة عشرات السياح، وسط وميض أضواء آلات التصوير والصرخات الهستيرية. هنا، أنا وحيدة، في الصمت المطبق، في الظلام الحالك. التصقتُ بزجاج الواجهة وراقبتُ بعينين محدقتين.

فكرتُ في إميلي نوثومب. في رواية ذهول وارتعاشات، تصف وصفًا رائعًا هذا الإحساس المذهل بالغوص في طوكيو، هذه الجاذبية المدوّخة للفراغ المضيء. تتحدث عن القفز من النافذة. هذا الشعور المثير بالقفز من النافذة، كنتُ أعيشه، وأحس بارتعاشات هذه المدينة المجهولة.

أدرتُ كاميرا لويس وصوّرتُ لدقائق مديدة، وأنا أصف بصوت مرتفع قدر الإمكان. يجب أن تأتي لترى هذا، يا حبيبي. شكرًا لأنك أتيت بي إلى هنا.

كم من الوقت بقيتُ هكذا؟ على كل حال ما يكفي من الوقت لأشير بعلامة على إحدى الأعاجيب التي دوَّنها لويس:

- تأمّل أضواء طوكيو من قمة ناطحة سحاب.

أبهرني جمال المكان فقررتُ أخيرًا قضاء سهرتي في الفندق. كان الطابق الأخير عبارة عن مسبح هو أيضًا يخلب اللب، وهو أيضًا من الزجاج كله، واستطعتُ أن أقفز من النافذة على مهل، قدماي في الماء، وأنا أحتسي شايًا دافئًا. ظننتُ لبرهة أنني أدركتُ الفردوس على الأرض. لبرهة فقط.

في اللحظة التالية، كنتُ أتناول العشاء في المطعم الواقع تحتنا بثلاثة طوابق، وله ذات الإطلالة الآسرة. منذ وصولي قبل بضع ساعات، كنتُ أردّد في سرّي أنه أمر رائع في النهاية أن أكون لوحدي، وأنه يمكنني أن أنظّم وقتي كما أشاء. لا أدري هل كنت أعني ذلك حقًا أم كنتُ أحاول أن أقنع نفسي به. لكنني وأنا جالسة إلى المائدة في قمة المدينة برفقة كتيبات تعريفية عن طوكيو، يحيط بي أزواج يتناولون عشاء رومانسيًا، شعرت

فجأة بالقلق. ألقيتُ نظرة عامة على الصالة، لأتأكد هل كنتُ الوحيدة الجالسة إلى طاولة مفردة. كانت توجد طاولة أخرى، في الطرف الآخر من المطعم. زال الحرج. يبدو أنه رجل، نظرًا إلى شكل لباسه وظله. لكنني وجدت صعوبة في رؤيته بوضوح من هذه المسافة وتحت هذه الأضواء الخافتة.

نهضتُ وذهبتُ إلى المراحيض. المراحيض اليابانية، تجربة أخرى من لائحة لويس، سبق أن وضعتُ عليها إشارة في غرفتي. كتب لويس:

- الضغط على جميع أزرار المراحيض اليابانية.

لم أكن من المعجبات بكرسي المرحاض المدفّأ ولا بمرشق الماء على المؤخّرة، بكل صراحة. خفتُ دومًا من المراحيض ذات المكون الإلكتروني، من أي نوع كان. ومع أنني أتصور أن الأعطال نادرة جدًا، لكنني خشيتُ دومًا أن يخرج أمر ما عن مساره، وأن يخطيء المرشق اتجاهه ويضربني - رؤيا مرعبة - في الوجه، أو يبلل قميصي. باختصار، أفضل أكثر الكرسي القديم الباريسي.

وأنا عائدة إلى طاولتي، ألقيتُ نظرة على الرجل الوحيد الذي لمحته من بعيد، فأصابني الجمود. لم يكن رجلًا. اقتربتُ وأطلقتُ صرخة مكتومة، تردد صداها في هذا الجو المخملي.

- ماما؟ ماذا تفعلين هنا؟

- مرحبًا يا حبيبتي. يا له من مكان مذهل، أليس كذلك؟

- لم تجيبي على سؤالي. تبًا، ماما، ماذا تفعلين هنا؟ كيف عرفتِ مكاني؟

- أنتِ تستهينين بي، يا هرَيْرتي الدافئة. لديَّ وسائلي، كما تعرفين. كان عليك أن تكوني أكثر حذرًا في عرض مشاريعك على الممرضات، وأكثر ابتكارًا أيضًا في كلمات السر لبريدك الإلكتروني. اختيارك موفق لهذا الفندق، على كل حال.

أمي مهووسة بالكمبيوتر. مدمنة على التقنيات الجديدة. عمرها ستون عامًا، لكنها موهوبة أكثر مني. وهذا أحد أسباب حب لويس الدائم لها. جدة مهووسة بالكمبيوتر، هذا رائع، غالبًا ما كان يردد على مسامعي. أما أنا، فأجد أنها مشكلة وحظ عاثر.

- ماما، ليس لديك الإمكانية لتدفعي أجرة مثل هذا الفندق وتحمّل تكاليف مثل هذه الرحلة، على ماذا تراهنين؟

- يجب أن أعترف أن اثنتي عشرة ساعة طيران في الدرجة العادية، سببت لي تشنّجًا في العنق... كنتُ أحسدك، لأنك في درجة رجال أعمل!

- تعنين أنكِ كنتِ على متن الطائرة نفسها؟

- بالتأكيد، يا هريرتي. حضرتُ إلى مكتب شباك التذاكر في المطار، وحصلتُ على مقعد راكب عدل عن السفر في اللحظة الأخيرة. أخبرتكِ أنني سألازمك كظلك، والآن وعدتُ لويس بذلك. لكنكِ محقة، لا يمكنني أن أتحمل أجرة هذا الفندق... من حسن الحظ أنكِ دعوتِني.

- ماذا تقصدين؟

- موظف الاستقبال أخذ حقائبي إلى غرفتك وأعطاني مفتاحًا. لا تنسي أننا نحمل الكنية ذاتها. وفور أن ذكرتُ أنني تأخرتُ قليلًا، وأن ابنتي حبيبتي وصلت قبلي إلى الغرفة التي نشغلها سوية، ناولته جواز سفري وانطلت عليه الحيلة. قلتُ كل هذا بلغة انكليزية ركيكة مضحكة، لابد أنك فخورة بي. لا تقلقي لن تشعري بوجودي.

هكذا ألفيتُ نفسي أتقاسم سريري الملكي وغرفة أحلامي مع أمي، وبِدَعها وشخيرها الرنّان.

صخور ماما

أحب أحب أحب أحب أحب أحب.

لم يزل يصعب عليَّ تصديق ذلك، لكنني معجب بفكرة أمي.

حين جاءت تشرح لي الأمر، يجب أن أخبركم أنني مررتُ بجملة مشاعر متناقضة. بدايةً شعرتُ بشيء من الغرابة. أخبرتني أنها لن تحكم على ما دونتُه في المفكرة، وأنه مادام مذكورًا فيها ستفعله. أنها ستمنحني الرغبة في التفوق على نفسي لأنضم إليها وأحقق أحلامي. لو لم أكن على هذه الحال، لرفضتُ هذا مؤكد. هذه المفكرة، هي شيء شخصي. لذلك، وبما أنه لا يسعني في جميع الأحوال أن أحتجّ، أصغيتُ إليها. وفي النهاية قلتُ في سرّي إنها تحبني بجنون لتفعل هذا. أحسستُ بالتحسن لملامسة مشاعرها، وسماعها تكلمني على نحو ما فعلت. لم تحدثني قط على هذا النحو، من قبل. لكنني تألمتُ عليها، أيضًا. قلتُ في سري إنها ولا بد تعاني معاناة فظيعة. فهمتُ أنها صفقت باب هيجيموني بطريقة مسرحية وأنها ستحظى بثروة صغيرة، لكنني أعرف مدى أهمية العمل بالنسبة لها، لذلك تخيلتها وحيدة في الصالون تعاني الضجر واليأس فتألمتُ. وبعدها مباشرة رأيتُ المشهد الذي فيه تقول لها جدتي «نتحرك ونجتهد، ولا ننجرف مع هذه الحال، ألن ننتهي من هذه الأسطوانة، تبًا؟» (نعم جدتي أوديت تقول «تبًا»، «سحقًا»، و«خررررااب»، وكومة تعابير مستخدمة منذ قرنين)... وهنا تابعتُ الإبتسام ولم أعد أتوقف لأنني رحتُ أتخيل ماما تعيش أحلامي.

تذكرتُ بالتدريج ما كتبتُه في هذه المفكرة، وكنتُ أستغرق في الضحك لمجرد تخيلها في بعض المواقف. داخليًا بالتأكيد، أما خارجيًا

فوجه لاعب بوكر. وفي النهاية ما من وجه لاعب بوكر أكثر من هذا الوجه. لم أتوقف عن القهقهة بصمت، وفي إحدى اللحظات قاطعت ماما ضحكي المجنون مطلقة صرخة. يبدو أنني ذرفتُ دمعة. بالنسبة لي أيضًا كان هذا شيئًا جنونيًا. أم هل كانت الممرضتان محقَّتَيْن، هل حلمتْ ماما، أم أن ضحكي الداخلي المحموم أثار في النهاية ردة فعل مرئية؟ أحسستُ بموجة أمل وفرح تجتاحني. استمرت طيلة النهار، ولم تعد تتركني مذ ذلك الحين.

سمعتُ ماما تشرح مخطط فكرتها إلى شارلوت، ممرِّضتها المفضَّلة التي تدعوها دومًا صوفي دافان، ظنًا منها أنني سأتخيلها جيدًا مع أنني لم أسمع قط باسم صوفي دافان. شارلوت أغرقت في الضحك أيضًا، أعطتها ماما آيبادًا حتى تستطيع أن ترسل لي مقاطع فيديو من اليابان، لأنها بدأتْ التجارب من الصفحات الأولى التي كتبْتُها، الصفحات التي تتحدث عن طوكيو. أقول التجارب لأنني أعرف أن أحلامي الشخصية، يمكن أن تتحول لدى أمي بسهولة إلى برنامج المغامرات كو لانتا. وهذا أمر رائع للغاية.

خيبة التاسع عشر من كانون الثاني، أول يوم كنتُ واعيًا فيه ولم يأتِ أحد لزيارتي، يمكنني أن أخبركم أن هذا أصبح من الماضي. أعرف الآن أن ماما موجودة هناك، وتصارع. وأعرف أن جدتي هناك أيضًا. يضاف إلى ذلك، يجب أن أخبركم بالحدث الرئيسي، الذي جعلني أتلوى من الضحك. بعد ماما ببضع دقائق، جاءت جدتي أوديت تزورني، تحادثَت مع شارلوت - صوفي دافان بهيئة لامبالية، لكنني شعرتُ أن جدتي كانت في أعظم أيامها دهاءً. تظاهرت أنها مطلعة تمامًا على مشروع ماما، في حين أنني كنت أعرف أنه ليس لديها أدنى فكرة عنه. كانت جدتي ماكرة. لذلك أفضت لها شارلوت بكل شيء بشكل طبيعي، وتلقفت جدتي المعلومات بشكل طبيعي أيضًا.

حين خرجت شارلوت من الغرفة، اقتربت جدتي وهمست في أذني بأنها لن تجازف وتترك ماما تسافر لوحدها إلى بلد عدائي وبعيد للغاية، وتأسفت لأنها مضطرة أن تتركني بضعة أيام، لكنها واثقة أنني أتفهم الأمر. وأنه يجب بالتأكيد ألّا أخبر أمي بشيء، وأنها ستتبعها من بعيد. يمكنكِ أن تثقي بي، يا جدتي، سأظل صامتًا صمت القبور. تعبير مجازي، حتى لو انتهى بي الحال إليه. لو كنتُ في حالتي الطبيعية، لآلمني بطني من فرط الضحك طيلة النهار. تمنيتُ لو صرتُ فأرًا صغيرًا لأرى فقط وجه أمي حين ترى جدتي تحلّ عليها فجأة.

أحب أمي، وأحب جدتي، إنهما في القمة. أنتظر بفارغ الصبر حكاية رحلتهما إلى طوكيو، فهذا سيكون أوج الإثارة.

10

اليوم 23

كل شيء عن أمي

جافاني النوم بسبب فرق التوقيت وبسبب الأصوات الغريبة المنبعثة من جارتي في السرير، لذلك أمضيتُ الليل بطوله أفكر. في حياتي. في أمي. وفينا.

منذ زمن مديد كنتُ تيلما، المتمردة المزعومة في صراع مع كل شيء ولا شيء، في خضمّ فعلٍ، ورد فعل. لم تطلق أمي عليَّ اسم تيلما بسبب فيلم من سنوات التسعينات، فأنا أقدم من ذلك بكثير. وُلدتُ عام 1977، في فترة كانت فيها تيلما هوستون تقفز إلى رأس قائمة المبيعات بأسطوانتها العالمية «لا تتركني بهذه الطريقة»، وكانت أمي أوديت شديدة الإعجاب بها. بالتأكيد، حين يسمع الناس باسمي في هذه الأيام، يفكرون جميعًا في الفيلم، وفي سوزان ساراندون وجينا ديفيس. حين ظهر فيلم تيلما ولويز للمخرج ريدلي سكوت في السينما، كنتُ مراهِقة مُبْهرة، ومتعالية، فتماهيتُ بقصة نساء قويات ومثيرات في آن معًا، أصبحت مرجعي المطلق، ونوعًا من المثل الأعلى الأنثوي. أنا من لم أؤمن قط بالله، رأيتُ في ذلك علامة من علامات القدر: صار هذا الاسم مرتبطًا بعد الآن برمز أهم من أسطوانة الديسكو 45 دورة القديمة. أعرف حق المعرفة أن الفيلم لم ينتهِ نهاية جيدة، لكن الأثر الذي تركه بالنسبة لي إيجابي. تيلما ولويز هما رمزان لحرية الاختيار الأنثوي، لنساء لا يدينون بشيء للرجال، ولا ينتظرن منهم شيئًا ويتدبرن أمورهن بأنفسهن.

حين حملتُ، وحين قررتُ عن وعي الاحتفاظ بالطفل وتربيته من دون أب، أملتُ أن أُنجب بنتًا وأسميها لويز. ولكن هو ذاك، لويز كانت صبيًا. هذا ما حدث، وهو أمر جيد على كل حال. لويس هو الرجل الوحيد المهم في حياتي.

ربتني أمي بمفردها، هي أيضًا. إنها من جيل ثورة الطلاب في فرنسا وكافحت دومًا لتتمتع بجسدها، وتُحَرِّر تفكيرها، وهذا ما أعجبني فيها. ترعرعتُ في ظل ذكرى مثالية عن أب غائب، مات خلال مظاهرة ضد إزالة صناعة الصلب. كان عمري أقل من عام، ووجه هذا الأب الذي لا يمكن المساس به، ولا استبداله، كنس كل أمل في حياة عائلية. حافظت أمي على ذاكرتها كنقابية، وبقدر ما تسعفني الذاكرة، رأيتها دومًا تكافح. لم تترك بابًا مفتوحًا في حياتها لأي رجل. أغرقتْ حزنها في معاركها، وفي حياتها اليومية كمعلمة ملتزمة في قطاع التعليم الابتدائي. النجاح للجميع، يا حبيبتي. كيف استطعتُ أن أُعجب بها! كيف استطعتُ أن أجوب الشوارع معها! أتذكر مسيرات الأول من أيار، في البداية على كتفَيْها، وبعد بضع سنوات وأنا أشارك في حمل لافتة، ثم وأنا أرفع علمي الخاص. كنتُ فخورة بها، وفخورة بنفسي، وفخورة بإحياء ذكرى والدي.

ثم جاءت مراهقتي. مخاوفي، خجلي، إرادتي الشرسة لمواكبة العصر، وأن أخضع مثل كل الناس لديكتاتورية الماركات، والشركات الصغيرة، والأمراء والأميرات الأمريكيين، والجمال النمَطي. كنتُ أضجر من الكنزات البسيطة المنقوش عليها صورة تشي غيفارا، وقَصّات شعري العادية، وحذائي الرياضي المهترئ تمامًا، وهذا الرفض للعالم الرأسمالي، وتلك الحياة البديلة التي كانت تسد عليَّ سبل الوصول إلى مصاف الفتيات العصريات في المدرسة، وكانت تثير تهكم وازدراء الصبيان الذين هم في مثل سني، الجَذّابين بأحذيتهم الرياضية نايك

وإيرجوردان، وستراتهم الفضفاضة ماركة بوافر بلانك وبزّاتهم الرياضية ماركة أديداس الواسعة عند الكاحلَين.

لم أفهم حالات الرفض التام من جانب أمي، ولم أقبل أن ترفض لي هذه الحياة الطبيعية. لذلك بدأتُ أمقتها بشدة ورحتُ أمارس بشكل منهجي نقيض ما كانت تأمله مني. كرهتُ هيئتها المضحكة مثل هيكل عظمي، ساقَيْها المقوَّستين الطافيتين في بناطيل الجينز المهترئة، طريقة تدخينها لفافات التبغ وهي تمسكها بين الإبهام والسبابة، شعرها الرمادي المعقود برباط أزلي من ذات اللون، صفيرها كصفير رعاة البقر، نظرتها القاسية وكلماتها المهينة، استنكارها لطريقة حياتي. أصبحتُ كل ما تمقته وفعلتُ كل ما بوسعي من أجل ذلك. برأيها، أنا أم غير مسؤولة، أحرقتُ أجمل سنوات حياتي على مذبح النجاح المهني، مهووسة بأرقام مبيعات شركة متعددة الجنسيات لا تتردد في تغيير مقرها، وتبيع منتجات في غاية التفاهة.

الرابط الوحيد الذي بقي بيننا، هو لويس. لويس مسموح له دومًا أن يزور جدته متى شاء. دومًا. إنها مسألة مبدأ، ومسألة جذور. وحافظنا نحن الثلاثة على وجبة إفطار وغداء شهرية. وكانت مقررة في ذاك السبت المشهود في السابع من كانون الثاني.

بعد ليلة تفكير مديدة وكثيفة، قررتُ أخيرًا أن أتقبّل قدَري. أمي موجودة هنا، معي، على بعد عشرة آلاف كيلومتر من باريس. وكنتُ قد تعهَّدتُ أمام لويس أن أتبع حرفيًا ما سجله في مفكرة أعاجيبه الصغيرة.

فيما يتعلق بالتجارب اليابانية، وضع لويس لائحة دقيقة، مُرَوَّسَة بعنوان، يلخص كل شيء:

قضاء نهار ممتع في طوكيو

مع أحب شخص في العالم إلى قلبي

(حاليًا ماما)

لا بد من القول إن عبارة (حاليًا ماما) صدمتني بعض الشيء. نجحتُ في استيعابها، إلا أن مجرد التفكير بأنه قد يخطر بباله أن يحب يومًا أحدًا أكثر مني جرحت قلبي الصغير المحطم - وغروري الراسخ. ثم تذكرتُ أنني، أنا أيضًا، حين كنتُ بعمره، لم يكن لي أن عرف أنني سأحبه أكثر من جميع الآخرين، لذلك ابتلعتُ زهوّي وتجاوزتُ هذين القوسين الصغيرين. ارتأيتُ أصلًا أن أنفِّذ ذلك حرفيًا، ما دمتُ سأقضي «نهارًا ممتعًا» في طوكيو مع «أحب شخص إليّ في العالم»، أي لويس. وإذا تفحَّصتُ الأمر، فإن هذا انتهاكٌ لقواعد اللعبة. كان لويس قد حدَّد أن التجارب يجب أن يعيشها اثنان، وهذا ما كان يقصده. وبناءً عليه يجب أن أعترف أنه ما خلا لويس، لا يوجد شخص أحببته من قبل فعلًا... هذا محزن، ولكن كانت هذه هي الحال. الشخص التالي على قائمة أحبابي المحتملين، هي أمي، كنتُ مضطرة للاعتراف بذلك.

هنا، وأنا مستلقية بجانبها على هذا السرير الفسيح لأول مرة منذ كنتُ في سن الرابعة عشر، أدركتُ أن «لائحة الأشخاص الذين أحبهم» فارغة. ومع أنني كائن اجتماعي، ولديَّ معارف كثر أمضي معهم سهرة ممتعة، لكن ليس لي أصدقاء فعلًا. الحب والصداقة يتطلبان جهودًا قررتُ ألا أعود أبذلها، منذ زمن طويل. منذ أن تركتُ والد لويس قبل أن يعرف أنه سيصبح أبًا. ومنذ الحادث، كان يمكنني أن أعدّ على أصابع يد واحدة الأشخاص الذين حاولوا الاتصال بي للاطمئنان عليّ. لم أعاود الاتصال بهم. لدي أصدقاء كثر على الفيسبوك، وكثير من الرفاق والرفيقات البارزين في الحياة الواقعية، لكن ما من صديق حقيقي. ولم يحزنّي ذلك، لأنه كان خياري. كانت أولوياتي واضحة دومًا. أن أربي ابني وأنجح في عملي.

لم تُرزق خالتي أوديل قط بطفل، فاغتمَّت غمًّا شديدًا. أسرتي الوحيدة الآن، لويس وماما. استويتُ على السرير. كنا قد تركنا الستائر

مفتوحة، فغمر ضوء المدينة الأبيض الغرفة ببريق شبحي. راقبتُ أمي في رقادها. بدت هادئة. وبدا وجهها أقل قساوة بكثير مما هو عليه حين تكون مستيقظة. وجدتها جميلة. فائقة الجمال، حادة التقاطيع، صارمة. أسندتُ رأسي ورحتُ أتملّاها. قلتُ في سري إن لويس سيسعد بالتأكيد سعادة فائقة في النهاية لأنني أقضي هذا النهار الممتع الشهير مع جدته.

حين اقترحتُ عليها ذلك، عند استيقاظها، رأيتُ بريقًا جديدًا يلمع في قزحيتيها الزرقاوَين الجميلتين. لم تكن تتوقع ذلك. ظنت بالتأكيد أن عليها أن تتعقبني كعميل سرّي، وتستشيط غضبًا ضد هؤلاء اليابانيين الأشرار، وتلعنني بصوت مرتفع، فإذا بي أعرض عليها منظورًا مختلفًا تمامًا. شكرتني ببساطة، وأطرقت رأسها لتخفي انفعالها، ثم قالت «إذًا من أين نبدأ؟». أجبتها أنني آمل أن تتمتع بقلب مثابر لأن لدينا عملًا كثيرًا نقوم به. انفجرت بضحكة فَرِحة لم أكن أعرفها بعد.

وخرجنا، في البرودة الفريدة لهذا اليوم الشتائي في طوكيو.

11

اليوم 23 إلى اليوم 22

أمي خادمة في كاريوكي

- ميييسون تحب المصّاصات، المصّاصات باليانسوووون.....

أعتقد أن الصورة السوريالية لأمّي وهي تصدح بهذه الأغنية التي تكرهها، ومتنكرة بهيئة خادمة مغناج يحيط بها يابانيون مرحون يهتفون مع نهاية كل جملة «في صحتك»، ستظل محفورة على شبكية عينيّ إلى الأبد.

فكّرتُ طبعًا في تخليد هذه اللحظة الساحرة على فيلم افتراضي. لكنني واجهتُ صعوبة في التصوير لأنني كنتُ أهتز بسبب نوبات ضحك مجنونة منعتني من تثبيت الصورة. وفي لحظة، أخذ أحد رفاقنا الليليين الكاميرا، وناولني أصدقاؤه مايكروفونًا ثانيًا ودفعوا بي نحو مسرح الكاريوكي الصغير في شيبيا، الحي الرائع الذي لا ينام أبدًا. أمي، التي لا تشرب عادة، والتي احتست سلسلة كؤوس من شراب الإيميشو - شراب كحولي من الخوخ يسبب الإدمان-، صرخت في وجهي أنها سعيدة سعادة فائقة لأنها تشاركني هذا الثنائي، وأخذتني من عنقي مثل ثَملة في احتفال البيرة لقرية ألزاسية، وأطلقت صرخاتها أبعد أيضًا عقب أغنية «كم أحبك»، الأغنية العذبة المثيرة لفرانس غال، في غناء عائلي. اكتشفنا تلك الليلة أن مطاعم الكاريوكي اليابانية، علاوة على أنها أماكن شرب ومجون، هي متاحف ديسكو عالمية حقيقية، وأن الأغاني الفرنسية

من سنوات الستينيات إلى سنوات التسعينيات تحتل فيها مكانة مرموقة.

بدأ النهار بدايةً في غاية الهدوء. اتَّبعنا حرفيًا البرنامج الذي توخّاه لويس، ودغدغتُ أمي وأنا أكشف لها المراحل بالتدريج. لذلك كان اليوم بالنسبة لها سلسلة مفاجآت. كانت هذه أول مرة لها خارج أوربا، وثالث مرة فقط خارج فرنسا، وكانت مثل طفلة، تتلهف لاكتشاف التالي. راحت تعتمد عليّ، أنا من أتولى البرنامج وأتقن الإنكليزية - في ظل الجهل المطبق باليابانية -، وشعرتُ أن الأدوار بيننا انقلبت فعلًا: أصبحتُ الأم، في رحلة مع ابنتها التي تحمل بطاقة تخفيض لكبار السن.

كانت المرحلة الأولى في مركز إكه بوكورو للبوكيمون، وفيه اشترينا ثلاثين بطاقة «نادرة للغاية» والتقطنا صورًا تذكارية أمام التماثيل العملاقة لبيكاتشو وأصدقائه. حيتنا مخلوقات غريبة ترتدي أزياء تنكرية: مراهقون متنكرون على هيئة رموز استوديو غيبلي، تلميذات مدارس بلباس وردي، أزياء لوليتا، أبطال خارقون يتحركون في فرق صاخبة. عرفتُ سيلور مون، وهلو كيتي، وتوتورو وبعض أبطال البوكيمون، لكنني متأكدة أن لويس كان سيتعرف إلى معظم الشخصيات.

تابعنا نزهتنا في المنتزه الشاسع المحيط بضريح شنتو المسمى ميجي جينغو. سحرتنا هذه الواحة الطبيعية والتاريخية في قلب صخب المدينة. تغيرٌ مفاجئٌ للمشهد. ضحَّينا بطقس صورة السيلفي أمام براميل الساكي القديمة التي تستقبل الزوار بمهابة، ثم التقطنا جو المكان الخاص بوضع الكاميرا فوق جدار منخفض لدقائق مديدة. سيتمكن لويس من الإصغاء وقت الفراغ إلى الصمت الفريد لطبيعة طوكيو، وإلى صخب المدينة الذي يشكل خلفية سمعية مرهفة. كانت الخلفية القريبة مؤلفة من زقزقة العصافير وحفيف أوراق الشجر. مكثنا وقتًا طويلًا على هذه الحال. وانتظرنا بقية البرنامج.

كانت حفلة زواج تقليدي ستقام في ميجي جينغو. ليس لديَّ أي فكرة

عن سبب رغبة لويس في حضور زواج ياباني، ربما هو شيء اكتشفه في المانغا، أفلام الرسوم المتحركة اليابانية واستشعر جماله المذهل. تقدم الموكب. سألتُ العروس بإيماءة من رأسي هل يمكننا التصوير، فوافقت بابتسامة. بدت متشبعة بسحر الميجي جينغو وسحر اللحظة، ساكنة في ثوب ناصع البياض يشبه شرنقة، خادرة نقية. كان الزمن متعلقًا بألوان الكيمونو الحمراء والأسقف النحاسية، والخطى البطيئة والموزونة، وثقل التقاليد. انحنيتُ نحو الكاميرا، ووصفتُ المشهد بصوت خفيض، محترمةً جلال اللحظة. إنه عرض يستحق المشاهدة، يا حبيبي. ويجب أن تحضره بنفسك. شكرًا لأنك جلبتنا إلى هنا.

وحتى نستعيد توازننا العاطفي، قررنا بلا تمهيد أن نغوص في جَيَشَان الشيبويا. الشيبويا، جميع الناس يعرفونه دون أن يشهدوه. إنه هذا المفترق المذهل للطرق بممرات المشاة المتشابكة، والمباني العالية المزينة بشاشات عملاقة ناطقة ومضيئة. ساحة التايم سكوير اليابانية. كنتُ قد قرأتُ عن هذا المفترق الأسطوري الذي يعد مثالًا على الانضباط الياباني: حين يضيء الأخضر المخصص للمشاة، يعبر مئات الأشخاص في اللحظة ذاتها، ويتجنبون بعضهم بعضًا بتلقائية. تتخيلين الفوضى التي كانت ستحدث لو التقينا بباريسيين فيها»، علقتْ ماما بحساسيتها المعتادة. لم تكن تعني ما تقول. شعرتُ بشيء من الخوف مما خطط له لويس، لكن يجب أن أعيش كل شيء كما خطط له حرفيًا. علينا أن نعيش كل شيء حرفيًا.

وقفنا على طرف أحد ممرات المشاة، يحيط بنا مئات الأشخاص. ومئات آخرون في مواجهتنا. ورغم اعتراضات أمي، وضعت كاميرا لويس على جبينها وأنا أمنّ عليها بعبارة «إما أن تأخذيها أو تتركيها» التي جعلتها تتلوى من الضحك، وتتذمر مدمدمة أن الكلاب لا تنجب قططًا وأنني فعلًا ابنة أمي. شغّلتُ الكاميرا. وأمسكتُ راحة يدها المتغضّنة في راحتي.

- عند العدد ثلاثة، نغمض أعيننا.
- لابد أنكِ تمزحين؟ هل تريدين موتي أم ماذا؟
- عند العدد ثلاثة، نغمض أعيننا، ماما.
- باسم الآب والإبن والروح القدس، ماذا أذنبت بحق الله...
- ماما، أنتِ لم تؤمني قط بالله!
- وربما هذا يفسر ما يحدث لي الآن.

ضحكتُ. وضحكتْ. قلتُ: «واحد، اثنان، ثلاثة، أغمضي عينيكِ!»

انتقلت الإشارة إلى ضوء المشاة الأخضر، وتقدمنا وسط الحشد، وأعيننا مغمضة. راحت تند عن أمي صرخة خوف كلما احتك بها أحد، بينما أشتد ضحكًا. ثم اصطدمت قدمي بما يجب أن يكون رصيفًا، فتعثّرتُ، أمسكتني ماما، وانتصبتُ، وفتحنا أعيننا. كنا على الجانب الآخر. لقد عبرنا منذ قليل المفترق الأكثر ازدحامًا في العالم بأعين مغمضة، دون أي تدافع ولو لمرة واحدة. يتمتع هؤلاء اليابانيون بانضباط ولباقة ساحرين. تبادلنا النظر إحدانا إلى الأخرى وانفجرنا بالضحك سوية. أعتقد أننا شعرنا بنفسينا مفعَمتان بالحيوية.

قررنا أن نأخذ قسطًا من الراحة نستحقه فعلًا في مقهى يطل على شيبويا كروسينغ، نتأمل (ونصور) لدقائق مديدة باليه المارة، مع خلفية حددناها على أنها أحدث الأغاني اليابانية الدارجة. أوشك الليل أن يخيم، ولم نشعر بمرور الوقت. أصبحت الساعة الآن الخامسة مساءً ولم يزل ينتظرنا برنامج حافل.

استقلينا سيارة أجرة عامة إلى حي شينجوكو، مكانٌ راقٍ للحياة الليلية في البلد، ومع ذلك قرأتُ عنه أنه يجب أن نكون حذرتين. في قلب كابوكيتشو، الحي الساخن الذي تختلط فيه صالات الألعاب، وحانات المضيفات، والمطاعم، ونوادي الجاز واجتماعات الياكوزا - المافيا المحلية -، كان حريًا بنا ألا نتبع أي شخص إلى أي مكان.

انغمسنا مباشرة في دوامة الحركة، والحشد، اللافتات العمودية المضيئة برموز غير مفهومة. وبعد أن تتبعنا بصعوبة العنوان الذي ذكره لويس في لائحته، المحدد بدقة فائقة للغاية في طوكيو، ألفينا أنفسنا في صالة انتظار توموهيرو توموآكي، الملقب تومو تومو وَشَّام النجوم. كان يجب أن أطلب من هذا الأخير تحبير جزء من جسدي بطريقة لا تمحى، حتى أضع علامة على هذا السطر من القائمة الغريبة لأحلام ابني اليابانية.

غطت صور نجوم عالميين الجدران، كانوا يتفاخرون هنا بنسر فوق الورك، وهناك بفم شره أعلى العانة (الطبقة الراقية، لن أكشف عن أية شخصية شهيرة هي المقصودة، ولو تحت التعذيب)... وبدأتُ أتساءل على متن أي قارب شراعي صعدتُ فعلًا. سُرَّت أمي سرورًا كبيرًا وهي تلعب دور من تجري مقابلة، وراحت تصورني وهي تسألني عن شعوري وأنا قاب قوسين أو أدنى من وشم عضوٍ ذكري على خدي الأيمن، نحن لم نعرف على الإطلاق شكله الياباني، ها ها. مضحك جدًا. قررتُ أن أبقى رصينة، وأن أجعله يوشمني بحرف (L) كبير في تجويف معصمي الأيسر. ستغطي ساعة يدي الحرف، معظم الوقت.

أغمضتُ عينيّ بينما كان تومو تومو يوشمني، وشعرتُ في النهاية بالرضى عن النتيجة. ألم محتمل، وحرف ل مخفي وبخط ياباني رائع. شكرناه بانحناءة تبجيل على الأرجح في سياق غير مناسب - أعتقد أنني لن أفهم أبدًا الرموز المعقدة للتحية اليابانية -، وخرجنا من جديد إلى ضجيج كابوكيتشو.

بعد أن احتسينا أول كأس من شراب الإيميشو في الغولدن غاي، هذا الحي الغريب بمنازله الصغيرة التي تخفي حانات لا تتسع لأكثر من خمسة أو ستة أشخاص، دخلنا إلى إزاكايا - مطعم تقليدي. خلعنا أحذيتنا وجلسنا على الأرض، راكعين فوق حصير. هذه المغامرات جعلتنا نشعر بالجوع. على قائمة لويس ثمة إيعازٌ مدوَّنٌ مثير بقدر ما هو مخيف:

- عشاء في إزاكايا، طلب لائحة طعام باللغة اليابانية وبلا صور، واختيار خمسة أصناف كيفما اتفق... وأكل كل شيء!

- أعتقد أنني سأتخلى عن دوري، يا هُرَيرتي. على كل حال، أنتِ من يجب أن تتبع تعليمات لويس، وليس أنا.

- أنتِ صفيقة، يا ماما. إذا قررتِ أن تكوني ضيفتي، حسنًا، ستكونين ضيفتي حتى النهاية! هيا، سنحتسي كأسين من الإيموشو، هذا سينعشك!

رفعت أمي عينيها إلى السماء، متظاهرةً بالسخط مع ابتسامة عريضة، وأجابتني بأعذب نبرة لديها «هيا كرمى للورد يشرب العليق...».

قدمنا طلباتنا لنادل لا يعرف كلمة انكليزية واحدة، ونحن نشير إلى كتابات مبهمة. طرح النادل أحيانًا بعض الأسئلة بسبب خياراتنا، مبديًا دهشة - دهشة داخلية إلى حد ما، على الطريقة اليابانية. طبعًا لم نكن نفهم شيئًا ووافقنا ببلاهة ونحن نقرقر كدجاجتين نفد صبرهما. كنتُ أشعر أنني مثل شخصية أوبيليكس الكرتونية ينتظر أطباق مانوكونبيكس البلجيكي، وأنا منكبة على أحد الأعمال التي خطط لها ابني.

سرعان ما وضعوا على مائدتنا أطباق سوشي بأسماك مختلفة ورخويات أخرى: تعرفنا فيها على سمك السلمون، والتونة، والأنقليس، والكافيار (لكن ما نوعه؟)، وأيضًا على نوع من الأخطبوط. ولم نتعرف على: سمكة لحمها أبيض لاذعة قليلًا، ونوع من الرخويات البحرية اللزجة. ثم قدموا حساء المعكرونة الوفير وفهمنا أن اسمه أودون، مع زلابية الجمبري، وخضار غير معروف، وتوفو مقلي وأعشاب بحرية. حتى الآن كان كل شيء يسير على ما يرام. بعد ذلك أحضروا لنا طبق أرز بسيط جانبي، اتضح عند النظر إليه عن كثب أنه مرصَّعٌ بأسماك صغيرة مقلية كلها، حتى عيونها. اعترضت أمي لكننا أكلنا كل شيء (قضمنا، لأن الأسماك الصغيرة كانت مقرمشة) مع تكشيرات لا يستهان بها.

الضربة القاضية وجهها لنا الشيف ذاته، جاء إلى طاولتنا، يحمل

بيده اليسرى حبّارًا حيًا، وباليمنى سكينًا كبيرة. أوقفنا ضحكاتنا البلهاء وكافأنا الشيف الراعد بخطبة مسهبة من الطلاسم، وهو يضع الحيوان فوق لوح خشبي. ثم قطّع الحيوان الصغير بهدوء، ووضع لنا رقاقات شفافة في زبادي صغيرة. أشاحت ماما ببصرها، فضحكتُ وشرحتُ لها أنها ما دامت تأكل المحار الحي، يمكنها أن تجرب الحبّار «شبه الحي». ثم تسمّر الشيف أمامنا، فشكرناه، لكنه لم ينصرف. بدا أنه ينتظرنا حتى نتذوّق. ولم يكن أمامنا خيار. أمسكتُ الكاميرا والتقطتُ في الوقت المناسب برطمة أمي وشعورها بالغثيان لحظة التهام قطعة الحبار المختلجة.

غسلنا كل هذا باحتساء القليل من الساكي، ثم أنفقنا بضعة آلاف من الينات (العشرات من اليوروات) في ضباب لفافة تبغ في الباتشينكو، وهو نوع من الكازينو المكتظ يدوي فيه صوت الآلات الصاخبة بقدر وميضها، ويرتاده آلاف العمال بحثًا عن أدرينالين بلا حماسة ليغرقوا فيه حيواتهم القاحلة. وحتى ننهي رحلتنا الشنيعة في شينجوكو بأناقة، تذوقنا بيرة وسابي في مطعم روبو، ونحن نشاهد عرض الملهى الليلي في منتصف الطريق بين حلقة بيومان تحت تأثير حبوب النشوة، والمحاكاة الساخرة بواسطة الورق المقوى للكوميديا الموسيقية الأمريكية والعرض البوليودي الغنائي، الراقص، الصاخب، القارع لطبول الموت في آذاننا.

ونحن نعود إلى شيبويا، اخترنا هذا الكاريوكي الجماعي مع ثلة يابانيين ثملين بشكل خاص، وخضنا معاركنا الأخيرة في مسابقة الأغنية الأوربية وألبسة التنكر التهكمية.

أعدتُ أمي إلى الفندق وأنا أسندها - لم تعد تقوى على المشي باستقامة - فابتسم لنا موظفو الاستقبال ابتسامة استطعت أن أستشف منها شيئًا من القلق.

- كل شيء بخير، لا تشغلوا بالكم. طابت ليلتكم.

كانت الساعة الرابعة صباحًا. وضعتُ أمي على السرير، ونزعتُ حذاءها وقبعة الخادمة المغناج. قفزتُ لآخر مرة من النافذة، ثم استلقيتُ أنا أيضًا.

وأنا أسعى إلى إيقاظ ابني، غفوتُ كطفلة صغيرة. متكورة في حضن أمي.

مقتطف من مفكرة الأعاجيب

قضاء نهار ممتع في طوكيو مع أحب شخص في العالم إلى قلبي (حاليًا ماما)

- الإغارة على بطاقات نادرة للغاية في مركز إكه بوكورو للبوكيمون!!
- حضور زواج تقليدي في ميجي جينغو (بزي الكيمونو وكل...)
- الانسياب مع حشد شيبويا كروسينغ، والعينان مغمضتان.
- إجراء وشم عند تومو تومو وشّام النجوم (العنوان: طوكيو - تو، شينجوكو - كو، كابوكيتشو، 1 شوم - 12 - 2)
- تناول العشاء في إيزاكايا، وطلب لائحة طعام باللغة اليابانية ودون صور، وتحديد خمسة أصناف كيفما اتفق... وأكل كل شيء! ميام ميام
- الضغط على جميع أزرار التواليتات اليابانية
- الهلوسة في مطعم روبوت في شينجوكو
- احتساء كأس في الغولدن غاي
- تخريب طبلة أذني في باتشينكو
- إتعاب الرئتين من فرط الصراخ في صالة كاريوكي في شيبويا
- تأمُّل أضواء طوكيو من قمة ناطحة سحاب

اليوم 21 إلى 17

هيا تجرأ

عمَّدَتْ شارلوت الغرفة 405 باسم «غرفة الأعاجيب»، والجميع يطلق عليها هذا الإسم الآن. منذ أن جاءت ماما متأبطة مسجِّل الصوت تحت ذراعها وأمضت العصر كله تبث وتروي لي كل ما صَوَّرَته مع جدتي أوديت في طوكيو، أصبحتْ نجمة في كل مستشفى روبرت دوبريه.

أخبرتها شارلوت أنها تود أن تشاهد العرض، وحتى تتمكن من ذلك، اختارت أمي يوم راحةٍ من صارت الآن تحمل اسمًا ولم تعد تدعوها صوفي دافان. بالتأكيد، كانت شارلوت تعرف مضمون الرحلة، لأنها أسمعتني الكثير من المقتطفات على التابليت، لكنها تريد أن تسمع «بشكل مباشر» كل تفاصيل القصة. وخلال فترة ما بعد الظهر، دخل ممرضون آخرون ومساعدون طبيون وخرجوا حسب استراحاتهم، وكل مرة بالضحكات الفرحة ذاتها، وكلمات الشكر ذاتها. في النهاية، قالت شارلوت لماما «إنه أمر رائع واستثنائي ما تفعلينه لأجل ابنك»، وكنتُ متفقًا معها تمامًا.

أغرقتُ في الضحك طيلة بعد الظهر، وكم تمنيتُ أن أرى هذا مُصَوَّرًا، لكن أيضًا بشكل مباشر. وأكثر ما أحببته، هو هذا الثنائي الكوميدي غير المقصود الذي شكلته ماما وجدَّتي، نوع رخيص من ثنائي لوريل وهاردي بنكاتٍ غبية وقروش صدئة. عشقتُ هذا، ولستُ الوحيد نظرًا لتصفيق المشاهدين المرتجَل. كانت جدتي موجودة أيضًا في العرض، وشعرتُ أن أمرًا ما حدث بينهما هناك. كانتا... كيف أقول؟ متواطئتين،

على ما أعتقد. لم أسمعهما قط تتحدثان بهذه الطريقة. يبدو أن جدتي هي من قامت بمونتاج الأفلام لأن ماما لم تكن تفهم شيئًا في هذا المجال وجدتي ماهرة للغاية في المعلوماتية، لكن يمكنني أن أقول لكم إنها لم تخضع لأي رقابة. هذا جنون. كنتُ أرغب في النهوض والصراخ: «هاتان، أمي وجدتي، يا قوم، وقد أنجزتا مهمة صعبة!!!»

بقيت أمي بعد ذلك لوحدها معي، عانقتني مطوَّلًا، على ما أعتقد، وقلبتْ الصفحة التالية من مفكرة أعاجيبي. قرأتْ ما كان مكتوبًا، وكادت تتبول في سروالها. في البداية شعرتُ بشيء من الخجل لأنها كانت تتضمن أشياء لها طابع جنسي، لكن أمي أخبرتني أنها حتى لو لم تكن تعرف حق المعرفة كيف ستتصرف لتحقق بعض الأشياء، لكنها ستنفذها. كنا في يوم الأحد 29 كانون الثاني، وأعطتْ نفسها مهلة يومين، وعدُ شرفٍ من كشافة (مع أنها لم تكن كشافة قط). لكن نظرًا لما سأجعلها تقوم به، سيكون لطفًا مني لو استطعتُ أن أظهر لها علامة. أحبكَ يا قلبي الصغير، مشتاقة إليك، وجدَّتك مشتاقة إليك أيضًا. عُدْ بسرعة، أفعلُ كل هذا كرمى لك، لأُظهرَ لكَ مقدار جمال الحياة، وكم تستحق أن تُعاش. أعدكِ، سأحاول يا أمي. لا يمكنك أن تتخيلي كم أرغب في ذلك.

في مساء اليوم التالي، روت لي ماما أولى مغامراتها. ولا مناص من الاعتراف أنها أذهلتني. ما كنتُ لأصدّق أنها قد تفعل مثل هذه الأشياء. الأسوأ هو أنها بدت أنها كيَّفَت واستمتعت في القيام بالسخافات التي كتبتها على هذه الصفحة التي عنونتُها «أجرؤ!!!»... برنامج متكامل.

بدأتْ بأبسط ما في اللائحة، على أيّ حال بدأتْ بالأقل تعقيدًا. كان عليها أن تستقل أية سيارة أجرة عابرة، ثم تتظاهر بالذعر الشديد وتصرخ «اتبع هذه السيارة!» كما في أفلام التجسس. وجدتُ دوماً روعة الأسلوب في هذه الجملة وحلمتُ دومًا أن أنطقها فعلًا. حسنًا أمي فعلتْ

ذلك. ثلاث مرات، لأنها فشلت في المرتيْن الأولى والثانية فشلًا ذريعًا: طردوها في غضون خمس ثوانٍ. لكن المحاولة الثالثة نجحت. خطر لها أن تضيف كلمة بسيطة أمام الجملة «الشرطة»، وأن تطبع وتغلّف بطاقة مزورة من شأنها أن توهم شخصًا لا يدقق النظر، ويوتّره الموقف، أو قليل من الاثنين معًا. اقتحمتْ سيارة أجرة عامّة وهي هائجة، لَوَّحَتْ بشارتها الورقية وصرختْ جملتها، وقد تقمّصت الدور تمامًا - مسابقة دورة فلوران في التمثيل على أكمل وجه، بحسب كلماتها ذاتها. أقلع السائق كالإعصار. وبسرعة فائقة طرح عليها بعض الأسئلة، لكنها كانت مستعدة لها. من يلاحقون؟ عصابة خطيرة للسطو على المصارف. لماذا هي لوحدها مع أن رجال الشرطة يكونون دومًا اثنين، هذا غريب، أليس كذلك؟ كانت مندسّة بين أفراد العصابة، وتوشك التعزيزات أن تصل. ثم صارت الأسئلة أكثر تحديدًا. لأي قوة من الشرطة تنتمي؟ لمفرزة المال... قوة مهام سرقة المصارف. لم يكن يعرف هذه الوحدة. أمرٌ طبيعي لأنها أُنشئتْ حديثًا. هل له أن يعرف اسمها ورتبتها؟ فوجئتْ فأجابت بسرعة فائقة المفوّض آدامسبيرغ. كان السائق من هواة القصص البوليسية، ويعرف بطل الكاتب فريد فارغاس، فتوقف فجأة وأمرها أن تترجل وإلا استدعى الشرطة، الحقيقية. أذعنتْ له. ومع ذلك سنح لها الوقت لتلتقط صورة لنفسها في سيارة الأجرة، وشارتها في يدها، حتى تخلّد اللحظة. سأرى هذه الصورة اللعينة حين أريد أن أتكبد عناء فتح عينيّ. شعرتُ بوخزة تأنيب في هذه الجملة الأخيرة، التي عزوتها للتعب.

يوم الأربعاء الأول من شباط، زارتني أمي مع جدتي لتروي لي مآثرهما. اصطحبتْ أمي بالأمس جدتي معها لتجري «تصويرًا مزدوجًا وتصوّر لقطتين». لم أفهم مباشرة ما قصدته «بالتصوير المزدوج» لكنها حين بدأتْ تبث لي الفيلم على التابليت، فهمتُ وعشتُ الحلقة كأنني كنتُ حاضرًا هناك. حرصتا أشد الحرص أن تشرحا شفهيًا كل ما يجري، وأن تتجنبا ما لا يُقال... أصبحتا أستاذتين حقيقيتين في التعليق

الصوتي على الأفلام. وحتى تفهموا جيدًا ما سأورده، أؤكد لكم أن الحوار يجري بين السيدة إرنست، أستاذة الرياضيات، وأمي. أما جدتي فتمسك الكاميرا قربهما. مقتطفات مما سمعته.

- أشكركِ على استقبالي وقبولكِ أن أصوّرَكِ، يا سيدة إرنست. ما تفعلينه هنا أمر فائق الأهمية لنا.

- أهلًا بكما. حزنتُ حزنًا شديدًا حين علمتُ بشأن ابنك. آمل أن يتخطى هذه المحنة.

- يمكنك أن تتحدثي إليه، سنبثّ له التسجيل.

- آه... حسنًا. يا صغيري لويس، أتمنى أن تتشجع. أنت تتمتع بالقوة داخلك. حصلتَ على العلامة التامة في مذاكرتك الأخيرة، يمكنك أن تعتزّ بنفسك.

بين قوسين في ذهني: أليست هذه التشجيعات من السيدة إرنست سخيفة بعض الشيء؟ تشبه المعلم يودا في أيامه العصيبة.

- شكرًا، سيدة إرنست. أنا واثقة أن لويس سيتأثر جدًا. لكن... أطلب منكِ معروفًا. من أجل لويس ومن أجل جميع الأطفال المرضى في العالم أجمع. أود أن توافقي.

- إن استطعتُ مساعدتك، سيسرني ذلك.

- حسنًا. إذًا سأشرح لكِ. سامحيني، الأمر محرج قليلًا. هو ذاك، ثمة تحدٍ جديد على شبكات التواصل الاجتماعي، إنه تحدٍ جاد يدعى بوب تشالنج... باللغة الفرنسية «تحدٍ في الأثداء»، أ - ث - د - ا - ء. يعني لمس أثداء أشخاص مختلفة لجمع المال لصالح البحث في الغيبوبة العميقة.

- أنتِ تمزحين، على ما أظن؟

- إطلاقًا. سبق لكِ ورأيتِ على ما أظن حملات تعرض فيها نساء شهيرات أثداءهن العارية من أجل مكافحة السرطان...

- أجل، أعتقد...

- حسنًا هنا المبدأ نفسه. نُمَوِّهُ الوجوه، بالتأكيد. وكل ذلك بلا اسم. شرعتُ ألمس ثدي كل شخص يهم لويس، لأقدم مساهمتي، وأضع حجرًا في البناء. أود لو ألمس ثدييك، يا سيدة إرنست.

بين قوسين في ذهني: كان صوت أمي يختنق بالعبرات وهي تقول كل هذا. إنها مذهلة، أمي.

كانت نهاية المشهد رائعة. بعد اعتراضات جلية من معلمتي المفضلة في الرياضيات، أظهرت أمي للسيدة إرنست فيديو تلمس فيه أثداء أشخاص عديدين: جدتي طبعًا، وأيضًا شارلوت ممرضتنا المفضَّلة وفرانسواز مدبرة منزلنا. لذلك وافقت السيدة إرنست في النهاية، ووصفت لي أمي كيف وضعت يديها برفق على هذا الصدر الناهد، وشكرتها واستأذنتها بالانصراف. بعدها ألقت أمي عليَّ محاضرة شرحتْ لي فيها أن هذا النوع من الأمور لا يجوز، وأنها تتفهم هذيانات الطلبة لكن لمس ثديَيّ امرأة من دون موافقتها هو أقرب إلى التحرّش الجنسي، لهذا السبب بالذات طلبت - بشكل أو بآخر - موافقة هذه المرأة الشابة اللطيفة. على أي حال لم تغدر بها. كانت أمي تبدو غاضبة، لكنها قالت لي في نهاية المطاف إنني كنتُ محقًا تمامًا في استيهاماتي بشأن هذه المعلمة، وأنها كانت فائقة الجمال فعلًا وأنها متأكدة أن فتيات كثيرات سيوافقن قريبًا جدًا أن ألمس أثداءهن - بموافقتهن.

هامت أمي وجدتي بعد ذلك في ممرات المدرسة، تبحثان عن صف السيدة غروسبيرون، معلمة اللغة الإنكليزية التي أكرهها. وبعد أن اهتدتا إليه، اندسَّتا في داخله خفية (تسللًا، بالنسبة لمن هم فوق الأربعين عامًا)، شغّلت جدتي الكاميرا ثم الضوء، وتعرَّت أمي أمام لوحة الأفعال الشاذة. ضحكتا كالمجانين ووجدتا نفسيهما وجهًا لوجه مع مدير المدرسة وهما تخرجان من الصف. كانت ماما لا تزال غير محتشمة، وأخبرتني «لو رأيتَ وجهه كيف صار»... ثم لعبت ماما بمهارة لعبة

تجييش العاطفة للخروج من هذا المأزق، وتذرّعت أنها كانت مضطرة لاسترداد دفتر ابنها لويس، «فأنت تعرف يا سيد فارس حق المعرفة»... تأثر السيد فارس تأثرًا فائقًا وقدم لها تعازيه الصادقة. وهذا لا يُضحِك أحدًا، أخبرته أمي أنني لم أزل على قيد الحياة وهذا ما عكّر الجو قليلًا. بعد ذلك توقفت أمي عن الضحك والمزاح، وقالت لي إنه يجب عليّ الآن أن أكون قويًا، وأنها لم تزل تؤمن بهذا، وأنني أحَبّ المخلوقات إلى قلبها وأنها في غاية الشوق لي.

لم يعد بوسعي التعرف على أمي. إنها هي، بالتأكيد. لكنها ازدادت انفتاحًا، وازدادت مرَحًا، وأصبحت أكثر استرخاءً، وأكثر إضحاكًا. وأيضًا ازدادت صدقًا، وطلاقة في التعبير عن مشاعرها.

إنها أمي نحو الأفضل.

مقتطف من مفكرة الأعاجيب

أجرؤ!!!

- عليَّ لمس ثديَيّ السيدة إرنست!!
- عليَّ ركوب سيارة أجرة عامة والصراخ «الحق هذه السيارة!»
- عليَّ التعرّي في صف السيدة غروسبيرون!!!

12

اليوم 17

شارلوت للأبد

حين خرجتُ من غرفة لويس بعد أن قصصتُ عليه بضحكات مصطنعة مغامرات أمه وجدته الشهوانية في إعدادية بول إيلوار، كنتُ منهكة.

احتجتُ إلى الجلوس، هناك في ردهة الطابق الرابع. لبرهة فقط. في ذاك الصباح خطر ببالي تفصيلٌ اكتسى أهمية فائقة في ذهني خلال اليوم. تقريبًا لم يرَ لويس شيئًا من شهر كانون الثاني عام 2017. أمضاه في هذه الغرفة 405 التي أصبح ديكورها الآن يثير غثياني.

لم أعد أطيق هذه النافذة التي لا تعرض في الأفق إلا أشكالًا هندسية خرسانية كئيبة فوق شارع عريض مكفهرّ. لم أعد أطيق هذه الأرضية الشمعية الخضراء، وهذه الجدران التي تعلوها ملصقات لعصافير مغرِّدة، وسفن فضائية خيالية وأزهار أخرى رقيقة كان يفترض بها أن تخفف رائحة الأثير التي تخنقني. لم أعد أطيق هذا الشِعر الزائف، هذا الفرح الكاذب بالحياة الذي أجوب به الأماكن، هذه الصور المبتسمة التي تناقض بشكل مؤلم الصرخات، والآهات التي يتردد صداها في الطرف الآخر من الممر. لم أعد أطيق كل هذه الأنابيب التي تمنعني من الوصول إلى الحقيقي، الجمال الوحيد الموجود هنا، جمال ابني. لم أعد أطيق أن أتخيل أن لويس قد لا يرى الربيع مرة أخرى أبدًا.

لم أكن أحتمل جميع هذه الاعتبارات. كنتُ معظم الوقت أنجح في إبعادها، ولكن كلما اقتربنا من 18 شباط، أي بعد شهر بالضبط من إعلان الدكتور بوغران، اشتد احساسي بالرعب يجتاح أحشائي. يجب أن يستيقظ لويس، الآن. سيفوت الأوان، بعد الآن. كان برد غيابه الممضّ يقتلني ببطء. لن أعيش حتى إطلالة ربيعٍ من دونه. سيكون الربيع حَدّ جسدي، وجبهتي الإنفعالية.

وأنا تائهة في أفكاري، اتخذتُ فوق كرسي المستشفى غير المريح وضعيةً قد تبدو لأول وهلة كوضعية يأس. استقر رأسي المطأطَأ على راحتيّ يديَّ، وأصابعي تنجز حركات دائرية بطيئة على فروة رأسي. رحت أدلك نفسي لأتجنّب الاستغراق في الربيع. لسنا إلا في بداية شهر شباط، ولم يزل أمامي سبعة عشر يومًا لأوقظ ابني، يجب أن أصمد وأتماسك.

لم أسمع شارلوت تقترب وجفلتُ حين قاطعتْ بلطف حساباتي بشأن الفصول.

– هل كل شيء على ما يرام؟

– لقد أخفتِني... أجل، شكرًا شارلوت، كل شيء على ما يرام. استراحة قصيرة، هذا كل شيء.

– أنهيتُ نوبتي، هل تودّين أن أصحبك إلى منزلك؟ أظنكِ تقطنين قرب قناة سان مارتان، إنها على طريقي.

– شكرًا، هذا لطف منكِ، لكنني لا أريد أن أزعجك. سأعود سيرًا على الأقدام، سيريحني الهواء المنعش.

– إن أردتِ هواءً منعشًا، ستستنشقيه معي، أنا على دراجة. هيا، سأصحبكِ. هيا لا ترددي في القبول.

لم أقبل، لكنني تبعتها مع ذلك.

أدركتُ قبل بضعة أيام أنني شعرتُ بشيء من التعلق بهذه الفتاة.

فبخلاف بعض زميلاتها في المستشفى، أبدت اهتمامًا بالغًا بلويس، وكانت محترمة للغاية. وبينما لم يتوان الآخرون عن متابعة أحاديثهم الشخصية أمام ابني، وكأنه غير موجود أو كأنه طيف، راحت شارلوت تتحدث إليه. وبينما خاطبه الآخرون كأنه متخلف عقليًا عليهم أن يستخدموا معه صوتًا معسولًا وكلمات بسيطة، استرسلتْ شارلوت تصف له كل ما تفعله، بشكل دقيق، وطبيعي.

كانت شارلوت تقوم بعمل شاقّ، ودومًا مصحوبًا بابتسامة. ثمة شيء من البريق في شُقرتها، وبشرتها نضرة. وهناك التماعة شمسية في نظرتها الزرقاء. وأيضًا فرحٌ جارفٌ بالحياة، مُعدٍ، وشبه عنيف. بطولها البالغ مترًا وخمسة وخمسين سنتيمترًا، تثير هذه الفتاة الإعجاب باتزانها، وهدوئها، وعطفها. فهي مقدامة، ولا تتذمر إطلاقًا أمام المرضى أو عائلاتهم. بدأتُ أكنّ لها الإعجاب، بشكل أو بآخر. وفي جميع الأحوال كنتُ أحترمها لما هي عليه، وما تبديه، وما تفعله. مع ذلك لديها مشاكلها الخاصة بالتأكيد. تسرّبٌ في المياه يجب إصلاحه، عجزٌ عليها سدّه، زكامٌ لا يزول، حبيبٌ لا يتصل، ودراجة نارية لا تدور.

فجأة اعترتني رغبة في التعرّف إليها. لا أعرف لماذا. بلى، أعرف لماذا. لأنها بدت تحب ابني. تحب لعلها كلمة مبالغة بعض الشيء، لأنها تحصنتْ ولا بد على مر السنين حتى لا تنهار أمام هذا الاستعراض للشقاء الإنساني، لكنها لم تكن متبلّدة الإحساس تجاه هذا المراهق، وأمه وجدَّته المخبولتين قليلًا.

ما هي حكايتها؟ كيف قررتْ ممارسة هذه المهنة؟ أين تعيش؟ ما عمرها؟ هل لديها أطفال، هل تزوجت، هل تقتني كلبًا، أو قطًا، أو هامستر؟

حين وصلنا أمام منزلي، ألفيتُ نفسي أفتح حديثًا:

- هل تودّين الصعود للحظة؟

- هذا لطفٌ منك لكنني لا أريد... وعلى كل حال لا أستطيع...
- كما تعرفين، ما دمتُ أعرض عليكِ ذلك، فهذا يعني أنني أرغب به. لكن لنكن واضحتيْن، لستُ في وارد أن أغصبكِ!

أضفتُ هذا التحديد الأخير وأنا أضحك لأنني رأيتها تتردد وفهمتُ بعد ذلك إلى أي مدى كان يمكن لهذا الاقتراح - لا سيما في سياق الجملة التي استعملتها - أن يبدو مبهمًا. ضحكت هي أيضًا، وأجابت أنه لم يخطر ببالها هذا النوع من التورية، لكنها فعلًا لا تستطيع. وبعد فترة توقف، أضافتْ أخيرًا:

- بصراحة، أقيمُ هذا المساء حفلة صغيرة في منزلي بمناسبة عيد ميلادي - صادف أول أمس - فإذا رغبتِ في المجيء أهلًا وسهلًا بكِ.
- أشكرك على اقتراحك، يا شارلوت، إنه يعني لي الكثير. فعلًا. لكن لا تحسبي أنك ملزَمة بدعوتي، ولا تجلبي عملًا إلى بيتك، فقد سبق أن عملتِ ما بوسعكِ في المستشفى. لستِ مضطرة إلى تحمل عبء أمهاتِ مرضاكِ المكتئبات... كل عام وأنتِ بخير، على أي حال!
- شكرًا... كما تعرفين، ما دمتُ أعرض عليكِ ذلك، فهذا يعني أنني أرغب به. لكن لنكن واضحتيْن، لستُ في وارد أن أغصبكِ!

ضحكنا من جديد، وألحّت شارلوت وهي تؤكد أن هذا سيروِّحُ عنّي، وأنها تسكن في مكان قريب. كانت تعرف أنني أعيش مثلها على ضفاف قناة سان مارتان، وربما مثل أكثر من مائة ألف باريسي، لكنها لم تكن تظن أننا جارتين تقريبًا. أعطتني عنوانها، وفعلًا كان يبعد ثلاثة شوارع عن بيتي. إذا ضجرتُ أو شعرتُ بعدم الارتياح، يمكنني المغادرة في أي لحظة، ستكون سهرة صغيرة وبسيطة للغاية بين أصدقاء، بأسلوب البوفيه المفتوح - بلا مائدة - وبلا تكلّف، كل واحد يأتي ويغادر كما يحلو له. ثم أضافت: «تصرّفي على سجيتكِ، هذا سيريحك وسيسرني!» وكل ذلك مع هذه العين اللمّاعة التي تميزها.

قبلتُ. وقالتْ شيئًا من قبيل «رائع، إذًا موعدنا نحو الساعة الثامنة مساءً» ورأيتُ قامتها الرشيقة تبتعد على ظهر الدراجة النارية.

تبًا، لماذا قبلتُ؟ ماذا يمكنني أن أقول لكل هؤلاء الغرباء؟ فور وصولي إلى بيتي، نظرتُ في مرآة غرفتي فشعرتُ بموجة ذعر تغمرني. سيكون هذا أول خروج لي منذ حادث لويس. بدأتُ في معاينة الحالة بخلع بنطالي. حزمته على الفور، لأنني تأكدتُ برعب أن ساقاي تقرّباني من شخصية تشوباكا في حرب النجوم وليس من ملكة جمال العالم. اهترأ لون شعري الأصلي. ولو أنني بقيتُ عند شركة هيجيموني، لرموني بالحجارة - أو على الأقل بالطماطم.

كم الساعة؟ الرابعة والربع. أمامي ثلاث ساعات وخمس وأربعين دقيقة لإصلاح الوضع والظهور بمظهر لائق إلى حد ما. رحت أشكر الله على نعمة صالونات التجميل والعيش في باريس وليس في إحدى البلدات الصغيرة حيث يُغْلَق كل شيء بعد الساعة السادسة مساءً... لم يزل أمامي متسع من الوقت لأخفف من شعر جسمي المخيف، وأشتري باقة أزهار تعبيرًا عن شكري لشارلوت، وأعرِّج إلى مصفف الشعر، وأموّه تجاعيدي بأحد مساحيق تجميل الوجه التي علاها الغبار في خزانتي منذ شهر.

تناولتُ سترتي وخرجتُ على عجل. قبل خروجي مباشرة، تركتُ ملاحظة مكتوبة لأمي، التي ستتلقى صدمة حياتها. كتبتُ بتحفظ لكن مع حماس جارف: «لا تُعدّي شيئًا للعشاء، سأخرج».

مكتبة
t.me/soramnqraa

13

اليوم 17

حانة قديمة متسخة

سهرة صغيرة في غاية البساطة، بلا تكلّف، كانت شارلوت قد قالت. هراء، كانت الشقة صغيرة للغاية ومكتظة.

كدتُ أصدق نفسي أنني في سهرة عيد الميلاد في شركة هيجيموني، سهرة من النوع الذي أحسستُ فيه على الدوام أن كل مدعو إليها صام ثلاثة أشهر... ولأن تربيتي راقية، بعد خمس دقائق لا يتبقى لي عادة أكثر من ثلاث فطائر باللحم. حسنًا، في شقة شارلوت، على المرء أن يحتَدّ فعلًا ليأمل في الوصول إلى البوفيه وبعض المشروب.

استقبلتني شارلوت بابتسامة عريضة، ودعتني للدخول، وشكرتني على الأزهار وحيتني بعبارة واو ما أجملكِ التي أسعدتني. كنتُ قد اخترتُ هندامًا بسيطًا، لكنه مؤثر: بنطال جينز ضيق، وقميص أبيض يميل إلى الشفافية، وحذاء أحمر قرمزي بكعب عالٍ. بادلتها الاطراء. كانت شارلوت مذهلة. بالتأكيد مَيَّزْتُها، لكن مظهرها مساءً لا علاقة له بزيها الرسمي، مئزر أبيض وتحته خفّ وتعلوه مسحة مساحيق، الذي اعتدتُ أن أراها فيه. فهي تنتعل صندلًا يرفع ساقيها المحزَّمتين بالأربطة أكثر من عشر سنتمترات، وتجول بفستانها الأسود، مرحِّبة بكل واحد من ضيوفها بحماسةٍ رائعة. ونظرًا إلى وجود نحو خمسين شخصًا، حسبتُ بسرعة أن حصتي من شارلوت خلال السهرة ستكون محدودة جدًا.

كنتُ هناك منذ نحو عشرين دقيقة ولم أنخرط مع أحد بأيّ حديث.

كنتُ الأكبر سنًا بين جميع الضيوف. لا بد أن شارلوت كانت تصغرني بعشر سنوات، لم أعبّر عن هذا الأمر بوضوح في المستشفى، لكنني الآن وأنا أراقبها في بيئتها الطبيعية، بدا هذا واضحًا. تبًا، ماذا أفعل هنا؟ ومع مضيّ الدقائق، ازداد شعوري بالانعزال. كنتُ مختلفة عن هذه الثلة من الشباب العزّاب، الخليّي البال، الضاحكين، السكّيرين، المدخّنين. مع ذلك كنتُ أحسدهم. كنتُ أريد أن أشبههم، وأخدعهم. أنا، من أرتاح عادة في الأحاديث على طاولة الشراب أو عند آلة تحضير القهوة، فقدتُ قدرتي على التظاهر بالاهتمام فيما لا يهمني، والتفاعل بهَزّات الرأس أو بعبارات «آه، رائع... أوه، عظيم... لكن أخبرني هذا مذهل...» إزاء هذر أحد المعارف وهو يروي عطلته في نيبال. كانت هذه الأسابيع القليلة قد خدّرت وصلات التواصل الاجتماعي العصبية. لم أكن أتوقع ذلك، لأنني لم أعد أواجه مثل هذا الموقف منذ أن صفقتُ باب هيجيموني. كنتُ أتأهب للمغادرة، حين سمعتُ رجلًا يخاطبني.

- هذا لا يُصدق، هؤلاء الصبية مستعدون لفعل أي شيء للحصول على بضعة غرامات من الإيثانول. هل لي أن أقدم لكِ شيئًا، يا آنسة؟ أخيرًا طالما نجحتُ في الانسلال...

كان صوته دافئًا، مبحوحًا، شبه أجشّ. فائق الرجولة. التفتُ، وأجبتُ إجابة - نمطية - تقطع - حماسة - المغازلين - الذين - يتكلمون - كما - في - كتيّب - من أطراف شفاههم:

- لا شكرًا...

وتوقفتُ فجأة. كان الرجل وسيمًا. جذابًا. لم أكن أتوقع ذلك. في الأربعين أو يزيد قليلًا - لا يهم - وفي جميع الأحوال أكبر سنًا بكثير من متوسط الأعمار في هذه السهرة. طويل القامة، وجهه رصين كلاسيكي للغاية، وله عضلات خمّنتُ شكلها من خلال كنزته الرمادية المرنة ذات الكمين الطويلين. لحيته ناعمة ومشذّبة، وشعره أسود مجعَّد متوسط

الطول رَدَّهُ خلف أذنيه لكننا نفهم منه فورًا أنه يميل إلى التمرد. لاتيني، بالتأكيد، فظٌ بعض الشيء وأنيق في آن معًا. عيناه داكنتان إلى حد السواد. بريقٌ شبه قاسٍ في نظرته، رغم ابتسامته. لأنه راح يبتسم لي، منتظرًا ردي. كنتُ ساكنة، وعلى الأرجح هيئةٌ بلهاء علقت على وجهي، حين اصطدمت بي فتاة تحمل البيرة بذراعيها. ضربة عنيفة. سقطتْ البيرة على الأرض. حاولتُ محاولة يائسة التشبث بجاري. فشلٌ. انزلاقٌ. اندلقت البيرة على بلوزتي البيضاء. شعرتُ بالخزي.

راحت الشابة تتخبط في اعتذاراتها وهي تناديني باستمرار سيدتي. خزيٌ مضاعف. كان غريبي الوسيم قد قال لي *آنستي*، وكان هذا نصيبي من العزاء. تبًا، بلوزتي. لم يعد ينقصني إلا مسابقة للكنزات المبللة بالبيرة... قلتُ للفتاة أن لا تهتم - أؤكد لكِ فعلًا - ومدَّ فارس أحلامي لي يديه وأعانني على النهوض. فوجئتُ بالتناقض بين قبضته الحازمة والقوية، المتسقة تمامًا مع الصورة الفظة قليلًا التي يعكسها، وطول أصابعها غير المألوف. اليدان هما أول شيء أنظر إليه لدى الرجل - بعد العينين والردفين طبعًا. الجانب الخلفي لم أستطع بعد تكوين فكرة عنه، لكن عيناه ويداه تلتزم بوعودها.

- أنا آسف، هذا بسببي... لو لم ألهيكِ...

- لا عليك، لم يحدث شيء، ثم إنني أحب رائحة البيرة على جسمي. اللعنة يا تيلما، ما هذه المزحة السمجة، ألم تجدي أفضل منها؟

- يا لمحاسن الصدف. أنا أيضًا أحب رائحة البيرة على جسمك.

كان الرجل يتمتع بحس الدعابة. وكان في ذروة اندفاعه.

- لنستأنف من حيث بدأنا، هل ترغبين؟ اسمحي لي الآن أن أقدم لكِ الكأس الذي وعدتكِ به...

من أين خرج هذا الرجل الشبيه ببطل فيلم إثارة ويتكلم مثل ممثل مفوَّه؟ يستحيل أن أبقى جامدة كالرخام على أي حال. يجب أن أعترف

بهذا فعلًا، لقد شعرتُ نحو هذا الغريب بانجذاب فوري، شبه حيواني، لا تفسير له، محيّر. تبًا للفيرمونات.

كدتُ أقبل الكأس، لكنني أوقفت حركتي. فكرتُ في لويس. مضت عشرون دقيقة دون أن أفكر في لويس. ما الذي كنتُ أفعله؟ أنسى ابني؟ وبأي حق أعرض ثديي المبتلّيْن بالكحول أمام هذا الوسيم المزهو؟ انفتحت فجوة عميقة من الشعور بالذنب وأخذت تمتصني، عقابًا لي لأنني استطعت التفكير بأفكار شهوانية بينما ابني يرقد في غيبوبة. بدأت رائحة حانة قديمة قذرة تنبعث من بلوزتي. ألفيتُ نفسي مثيرة للشفقة. يجب أن أغادر، فورًا.

- لا شكرًا، فعلًا. يجب أن أنصرف. على كل حال لم يعد منظري لائقًا.

- أؤكد لكِ أنكِ أنيقة فعلًا. أنا أصرّ على ذلك. دعيني أقدم لكِ هذا الكأس، وبعده تغادرين.

- آسفة. طاب مساؤك.

التقطتُ معطفي وخرجتُ، حتى من دون أن أودّع شارلوت، التي كانت تحادث شابًا على الشرفة وهما يدخّنان لفافة تبغ تلو الأخرى. كانت قد فوّتت اندلاق البيرة المفاجئ. هذا أفضل، على الأقل سأحافظ على حد أدنى من مظهر الكرامة في نظرها.

أي غبية أنا إذ قبلت. لم أكن مستعدة، وكان يجب أن أدرك ذلك قبل مجيئي إلى هنا. لكن رغبة جامحة استولت عليَّ لأصدق أن حياتي يمكن أن تعود إلى طبيعتها. وأنني يمكن أن أعيش حياة عادية. كنتُ مخطئة.

كنتُ على بعد خمس دقائق فقط من منزلي، لكنني شعرتُ بالحاجة إلى المشي. ولوقت مديد. لا يمكنني أن عود إلى المنزل مبكرة، لأن أمي ستمطرني بوابل من الأسئلة. حين فكرتُ بالخروج، تحمسَتْ للأمر أكثر مني، جهزتْ لي الحمام وأغدقتْ عليَّ بعبارة «يا هرَيْرتي الصغيرة

الدافئة» بكل النبرات، وهي تذكرني بمدى روعتي، وإلى أي درجة يحق لي أن أواصل حياتي، وإلى أي درجة يحق لي أن أكون سعيدة. كدتُ أقتنع لكنني أدركتُ بعد فوات الأوان أن أولويتي الوحيدة وحبي وهمي وألمي وفرحي وأملي وحياتي يظل لويس.

وحيدة في الشارع، تسكعتُ على امتداد قناة سان مارتان التي كان يحبها ابني حبًا جمًا. اغرورقت عيناي بالدموع حين لاحظتُ أنني صرتُ أفكر فيه أحيانًا بصيغة الماضي. كفكفتها، هنا، على الضفة تمامًا. ضفة قناة سان مارتان التي يحبها ابني حبًا جمًا. لم يمت لويس، يا تيلما. لويس سيعيش.

كان الطقس لطيفًا بالنسبة لبداية شهر شباط، أبقيتُ معطفي مفتوحًا لأجفِّف بلوزتي، وهو ما جعل رائحتي الكريهة تنبعث أقوى. كنتُ قد مررتُ بحانة قديمة متسخة في ملهى ليلي نحو الساعة الرابعة صباحًا.

فكرتُ ثانية بالرجل النبيل ذاك المساء. لم أعرف عنه شيئًا في نهاية المطاف، لكنني لم أزل أشعر ببصمة يديه على يديّ. عضضتُ شفتي السفلى، معاقِبةً نفسي على هذه الأفكار المنحرفة.

جلستُ على مقعد، ورحت أتأمل سطح قناة سان مارتان، وأتساءل كيف هو الشعور فعلًا بالموت غرقًا: هل هو مؤلم، هل هو بطيء، هل يمكن تحمله؟ كان الموت يبدو سهلًا للغاية، في العمق. لماذا نشعر في قرارة أنفسنا بالحاجة إلى العيش بأي ثمن، لماذا هذه الغريزة اللعينة، وهذا الإيعاز بعدم التخلي حاضر بقوة؟ كان من السهل جدًا التخلي. يمكنني أن أنحني بقوة فأنقلب وأقع، وأغوص في مياه هذه القناة الموحلة، ولن يراني أحد إن فعلت ذلك بشكل صحيح. ولكنني لن أتخلى، أعرف هذا. كنتُ في المطهر، محكومٌ عليّ بالعيش.

أخذتُ أستنشق هواء الليل بشراهة يائسة، كنفخات الأوكسجين المضغوط في زجاجة غرفة المستشفى.

14

اليوم 16

وواحد، واثنان...

في اليوم التالي لسهرتي عند شارلوت، لاحقتني أمي بالأسئلة، وسرعان ما أدْرَكَتْ أنني أراوغ. حاولتُ فعلًا أن أختلق الأكاذيب، لكنني تذكرتُ أن أمي تعرف الممرضة كما أعرفها. لذلك لن يصعب عليها أن تعلم أنني غادرت المكان في ساعة مبكرة. فالأولى أن أستبق الأمر وأقدم لها تبريرًا غامضًا. غادرتُ بسرعة لأنني لم أشعر بالارتياح، وعلى الأرجح بسبب شيء لم أهضمه على الغداء، أو بسبب التعب. فذهبتُ لأتنشّق الهواء، وأتمشّى في باريس. أجل بالتأكيد، كل شيء على ما يرام، يا أمي. لم تكن مغفَّلة - ولم تنخدع قط - لكنها تركتني وشأني. أسرّت لي أن مفكرة لويس الصغيرة أفادتني أنا أيضًا، وأفادتنا جميعًا. ربما يمكنني الانتقال إلى الخطوة التالية، فذلك سيغير أفكاري.

كانت محقّة. بقي أمامي ستة عشر يومًا فقط ولم يبدِ لويس أية علامة استيقاظ. كانت تخطيطات الدماغ الكهربائية هي نفسها تبعث على اليأس، وظلت عشوائية. سألتُ هل يمكن أن يقترب من لحظة الاستيقاظ، وأن يقترب من النشاط الحقيقي لدماغه. أجابوني أن كل شيء ممكن في الغيبوبة، لكن القلق يتزايد مع مرور الوقت.

قبل أن أفتح مفكرة ابني، ضممتها إلى صدري، وتشمَّمتها. كانت لا تزال تفوح بشيء من روائح لويس، لكنها أصبحت روائح عابرة. وفي

المشفى، لم يعد للويس من رائحة أخرى سوى رائحة المستحضرات التي يمسحونه بها عند تنظيفه. كم من الوقت ستظل هذه الشذرات من ابني متاحة؟ كان الزمن يزيل الروائح، ويطمس معالم الصور. احتجتُ إلى مشاهدة بعض صوره حتى لا تنمحي عيناه وابتسامته، وحتى أحتفظ بها حية، وحتى لا تغرق في أعماق ذاكرة تتداعى بسرعة فائقة.

داعبْتُ غلاف مفكرة عجائب لويس. تجاوزتُ صفحة لمس ثديَي معلمة الرياضيات ولم أتمالك نفسي عن الابتسام. ثم أغمضتُ عينيّ، وقلبتُ الصفحة. فتحتُ عينًا واحدة، متخوّفةً مما أكاد أقحم نفسي فيه، ومطيلةً هذه المتعة الصغيرة التي ستكون مدَّتها محدودة هي أيضًا. تقلص عدد الصفحات السوداء، كان لويس يهتم بالعيش، كان لويس ينوي أن يملأها بالتدريج، ولم يحظ لويس بالوقت الكافي. وانا أقرأ هذه الصفحة، صرخت أولًا داخليًا، «أأأ أوه لا ليس هذا». ثم انتابني نوع من الضحك الانفعالي المعبر في الواقع، توقعتُ أن يوجد شيء يتعلق بكرة القدم في هذه المفكرة، بل وأدهشني أن هذه الرياضة التي يعشقها لويس لم تحضر في الصفحة الأولى. حسنًا سبق لصور كرة القدم أن غطت الغلاف بالكامل، وبعض الإشارات البصرية هيأتني ذهنيًا. رغم هذا التوقع، كان القرار رهيبًا، وكان معروضًا بأحرف مستديرة على هذه الصفحة التي لم تنفكّ تسخر مني. ناديتُ أمي وناولتها دفتر لويس. انفجرت بالضحك، وتكرَّمت عليَّ بعبارة «إذًا أهانكِ بهذا!» على الصفحة، ظهر مسرح جريمة إهانة كرة القدم بريبة مغتبطة.

كرة قدم كرة قدم كرة قدم ☺ ☺ ☺

- القيام بدورة مكثفة مع إدغار، أجل (وإيزا...)

من كان هذا المدعو إدغار؟ مدرّبه في كرة القدم، بالتأكيد. تذكرتُ على نحو مبهم أنني سمعتُ هذا الاسم من فم لويس... لكنني لم أصغِ قط بشكل فعلي حين يتعلق الأمر بهذه الرياضة. بالمقابل ماذا جاءتَ

تفعل في هذه الفوضى هذه الشيطانة هذه الغامضة إيزا التي يظهر اسمها الآن للمرة الثانية؟

بعد أن مرَّ وقع المفاجأة، تساءلتُ هل كان بوسعي أن أجد وسيلة لتحقيق هذا الحلم. لم تكن المسألة مسألة عدم وفائي بوعدي، سأفعل ما كان مكتوبًا... لكن يمكنني دومًا أن أجرب تفسيري البديل لكتاباته. على كل حال، كان لويس يتحدث عن دورة مكثفة دون أن يحدد فحواها. ألا يمكنني أن أجد شخصًا يدعى إدغار، وأخرى تدعى إيزابيل، وأطلب منهما أن يلعبا لعبة كرة القدم على الفيديو بشكل مكثف لبضعة أيام، وبهذا يتسنى لي تحقيق هذا الاختبار وأنا أمكث بهناء في بيتي؟

لابد لي من القول إنني كرهتُ كرة القدم على الدوام. ولم أفهم قط ما هي العملية الوراثية الغامضة التي استطاعت أن تحوِّل مثل هذا الكره إلى شغف لدى ذريتي. لا أتذكر أن هذه الرياضة فتنت والد لويس بشكل خاص أيضًا. لا، إنه أمر طوره هذا الولد وحده، وعلى الأرجح ساعدته علامات تجارية عالمية تنفق الملايين لتحويل صعاليك مفرداتهم محدودة إلى نجوم مشهورين، وتحويل رياضة عادية جدًا إلى تخصص ملكي. بالتأكيد ليس الجميع في سلة واحدة، وليس جميع اللاعبين بلهاء بالكامل، ومع ذلك، كيف استطاع مجتمعنا أن يجعل أجر لاعب كرة قدم أعلى بعشرة آلاف مرّة من أجر ممرضة، أو مدرّس أو باحث - أناس الحياة الحقيقية، أصحاب المهن المفيدة -، ذلك ما لا أفهمه.

في حالتي، لا يتعلق الأمر بكرة القدم فقط. فأنا لا أحب الرياضة عمومًا. مارستُ الرقص قليلًا بين الصف الثاني الابتدائي والأول الإعدادي، مع مواظبة نسبية للغاية: حرصتُ على الدوام مثلًا على عدم حضور حفلة نهاية العام الدراسي. وفي الإعدادية والثانوية، كنتُ من اللاتي يشعرن بألم في البطن، من اللاتي لديهن حيض، وصداع مستمر، والتواء في الكاحل... وكان كل عذر من هذه الأعذار وجيهًا لأتغيب عن دروس التربية البدنية والرياضية.

لكن لو كان لويس واعيًا، كيف كان سيستقبل التفافي الوقح على هذا الحلم الذي يمكن تحقيقه ببساطة في نهاية المطاف؟

- هل أنتِ جادة يا أمي؟ هل بهذه الطريقة ستجعلينني أرغب في العودة، عن طريق اختلاق الأكاذيب وعدم بذل أي جهد للاهتمام في ما يستهويني؟ على أي حال أنتِ لم تهتمي بذلك قط...

- لكنني أكره كرة القدم، وأنت تعرف ذلك حق المعرفة...

- ألا أستحق القليل من الجهد البدني؟ لو تعرفين كم أود لو كنتُ مكانكِ!

- لو تعرفُ كم أود لو كنتَ مكاني. إنني مستعدة لأهب كل شيء مقابل أن نستطيع تبادل أماكننا، يا حبيبي...

بعد هذا التردّد والحوار المتخيَّل، اضطررتُ لمواجهة الحقائق. لا يمكنني التراجع إلى الوراء. قررتُ العثور على هذا الرجل، إدغار. كنا في يوم الخميس الموافق للثاني من شباط، والعطلة المدرسية تبدأ بعد يومين، ألا يُحتمل أن ينظموا دورات تدريبية؟ دورات للمسِنات المبتدئات بكرة القدم، كنتُ أشك في ذلك... سأضطر إلى إقناع هذا المدرب أن يسمح لي بالمشاركة في إحدى دوراته للمنقطعين. سيعتبرونني مجنونة، لكنني بدأتُ أعتاد على ذلك.

نبّشتُ في مصنفات الأوراق الإدارية، في الجزء الخاص بلويس: فواتير مطعم المدرسة، شهادات صحية، واستمارات تسجيل من شتى الأنواع. تسجيل لتعلم العزف على الغيتار (تخلى عنه بعد ثلاثة أشهر)، وتسجيل دورة في كرة الطاولة (أخبرته أنها لن تثير حماسته، لكنه لم يشأ أن يستمع، وامتعض)، تسجيلٌ في كرة القدم، في كرة القدم، في كرة القدم. منذ كان في سن السادسة. في السنوات الأولى، كنتُ أضطر إلى النهوض في الساعة الخامسة من صبيحة يوم كارثي في شهر حزيران لأقف في طابور التسجيل. لم يكن موظفو المركز الترفيهي يصلون قبل

الساعة التاسعة، لكنني كنت مضطرة أن أنتظر منذ الفجر، يحيط بي أهالٍ مستعدين لأي شيء حتى يتأكدوا من حصولهم على النشاط المفضَّل لذرّيتهم، يرمقون بنظرات مرتابة أي شخص يتجاوز الخط الوهمي الذي رسموه ليشيروا أن دورهم أمام الآخرين. هذا العام، استطعتُ أن أتخلص من هذا العبء: أصبح لويس كبيرًا الآن، أرسلته ينتظر وحده - في النهاية ليس وحده تمامًا... يرافقه اثنان من أصدقائه في كرة القدم ووالدة أحدهما. انتظر طويلًا وسجّل نفسه بنفسه. ومنذ افتتاح المدارس في أيلول، صار يذهب إلى التدريب لوحده، ويعود منه وحده، ونجحتُ في تحاشي أي طلب لمرافقته إلى أي بطولة أو مباراة ودية. كنتُ فخورة للغاية بنجاح هذه الاستراتيجية في التجنّب، بل وتباهيتُ بها أمام آلة القهوة في شركة هيجيموني، معلنةً عن نفسي أمًّا فاشلة وأنا أضحك. ظننتُ حينها بصدق أن الأمر يرادف «من تدير شؤون حياتها كأم وحياتها المهنية».

شعرتُ أن قلبي ينقبض، وأدركتُ كم تباعدتُ عن شغف لويس هذا، وإلى أي مدى بدت له مراوغاتي، بأسلوب المزاح الدائم، ظالمة. فاستحسان أحد الوالدين ونظرته في غاية الأهمية. لم أقبل منذ أشهر عديدة أن أهِبَ دقيقة واحدة من وقتي الثمين لكرة القدم. فكرتُ حينها أن كرة القدم لن تعاني من ذلك. ولم تعانِ كرة القدم فعلًا، هذا ما أمكنني أن أتأكد منه، لكن لويس؟ ألم يكن هذا الرفض القاطع لشغف ابني هو ذاته الرفض الذي أثار سخطي حين كنتُ مراهقة؟ كيف استطعتُ أن أكرر بشكل طبيعي سلوك أمي إلى هذا الحد؟ بدا أن لويس تأقلم مع هذه الحال... بالتأكيد، ماذا كان عساه يفعل غير التأقلم؟ وماذا كان سيكلفني لو أظهرتُ بعض الاهتمام؟ الوقوف بضع ساعات على المدرَّجات، بضع تصفيقات، بضع تشجيعات، بضع ابتسامات في عينيّ، وفي عينيه. هذا أيضًا ما تحاشيته وهو ما جعلني مريضة.

أخذت قدرتي على احتمال ما أكتشفه عن نفسي وعن سلوكي المنصرم تتضاءل بالتدريج. كنتُ أريد أن أغيّر كل شيء في حياتي، أن أغير كل شيء ليصبح كل شيء مختلفًا، ليغدو كل شيء أفضل. خضتُ حديثًا مطولًا مع أمي في هذا الشأن بالأمس. أو بالأحرى أخرجَت أمي منّي أحد حواراتي الداخلية التي هي وحدها تعرف سرّها:

- لا يمكنك أن ترمين الغَثّ مع السمين والخرز مع الدُرّ الثمين، كانت قد لطمتني بهذه العبارة. أنتِ لستِ أمًا مثالية، أنتِ لستِ امرأة مثالية، أنتِ لستِ ابنة مثالية، أؤكد لكِ ذلك... لكنك تبذلين قصارى جهدك حين تعيشين الواقع. كلٌ يتدبر أمره على قدر ما يستطيع، لا توجد من جهة أمهات مثاليات ومن جهة أخرى أمهات ساقطات، يا هريرتي الصغيرة الدافئة. رأيتكِ مع لويس آلاف المرات. في نظره، أنتِ الأم المثالية، لأنك أمه. لا شك في ذلك على الإطلاق. وإذا كان لويس على ما هو اليوم - وهذا ليس لأنه حفيدي، لكنه بموضوعية فتىً يثير الإعجاب بذكائه ورقته ولطفه... حسنًا، إذا كانت هذه حال اليوم، فالفضل يعود لكِ. هذا الصغير، أنتِ من ربيته، ويمكنكِ أن تفخري بذلك. لا، لا تقولي شيئًا، أراك تهزّين رأسك وتهمّين أن تتفوهي بحماقة أكبر منك. يمكنك أن تفخري بنفسك. فأنا من جهتي، فخورة بك.

تتمتع أمي بموهبة النجاح في إبكائي بخطَبِها الرنانة عن الحياة حين أحتاج ذلك. لا بد أن ذلك أيضًا، هو أم.

تناولتُ هاتفي واتصلتُ بمركز النشاط. أجل، هنالك بالفعل دورات أثناء العطل. لا، ولا دورة للراشدين. بالنسبة لدورات الأطفال واليافعين، يجب أن تخاطبي إدغار مباشرة. تدريباته تجري الأربعاء بعد الظهر والجمعة مساء.

أشكركِ سيدتي، سأسجّل إذًا عند إدغار، هذا واضح.

15

الأيام من 15 حتى 10

إدغار

– هيا نضع الكرات ونذهب للشراب... في هدوء!

تبًا، كنتُ خائفة. كانت رئتاي تحترقان كما لم يحدث من قبل قط، وكل عضلات جسمي تسومني العذاب. بل إنني اكتشفت عضلات كنتُ أجهل وجودها. كيف يمكن أن نشعر بالألم بين الأضلاع وعضلات العضد ونحن نلعب كرة القدم؟ تخيلتُ فعلًا وأنا أنخرط في اللعب أنني قد أصاب بالإعياء والإرهاق، لكنني لم أتصور أن تجتاحني الآلام من رأسي حتى أخمص قدميّ. كنتُ أدفع ثمن خمولي طوال السنوات الخمس والعشرين الأخيرة. لو لم أقطع للويس وعدًا، لتخليتُ عن هذه الجلسات للتعذيب منذ وقت طويل. كنا في اليوم الثالث، ولم يزل أمامي يوم. كنتُ قاب قوسين أو أدنى من حفر خطوط صغيرة على جذع شجرة، مثل سجينة تعد الساعات التي تفصلها عن الحرية.

اقترب إدغار، وسألني إن كان كل شيء على ما يرام. كان يمكنني أن أجيبه بجفاف طبعًا، لم أشعر قط أنني في القمة كما أشعر اليوم، وأنني حلمتُ دومًا أن أتمرّغ في الوحل مع ثلة مراهقين تفوح منهم رائحة العرق... لكنني أحجمتُ. أعدت شعري إلى الخلف وأنا أوافقه، أجل أجل كل شيء على ما يرام، متعبة قليلًا هذا كل شيء. تَهْوينٌ لطيفٌ على شخص جهازاه العضليّ والتنفسي ينهاران.

إدغار. إن كان ثمة شيء إيجابي فعلًا في كل هذه التجربة، فهو لقائي بإدغار. هذا الرجل مذهل. بحثتُ عن عيب واحد فيه، فلم أجد. ما أحسستُه كان غريبًا، وجديدًا. رحتُ ألعنه طوال النهار، وألعن تمارينه، وسلطته الطبيعية التي تُخْرِس أشد المتمردين بين زملائي السجناء الآخرين المراهقين، وفي الوقت نفسه أكنّ له الإعجاب. أكن له الإعجاب لبساطته، وأصالته، وبأسه الشديد، والتشنجات المؤلمة التي شعرتُ بها. انتابني إحساس أنني أعرفه منذ زمن طويل.

حين حضرتُ إلى تدريب مساء يوم الجمعة لأطلب المعلومات وأسجل اسمي - والحزن يعتصر قلبي - في دورة تدريبية محتملة، اضطررتُ أن أنتظر في حجرة صغيرة مجاورة للملعب الرياضي في مركز النشاط، وأنا أرتشف قهوة حلوة وأدخل تحسينات على استراتيجيتي. حصلتُ أخيرًا بعد اتصال هاتفي ثانٍ على الدليل الإعلاني الخاص «بعطلة شباط»، ووجدتُ فيه دورتين متتاليتين لكرة القدم مدة كل واحدة منهما أربعة أيام، إحداهما للأعمار من ثماني إلى اثنتي عشرة سنة، والأخرى من ثلاث عشرة إلى ست عشرة سنة.

عزمتُ أن ألعب لعبة الصراحة مع إدغار، وأن أشرح له مشروعي بمنتهى الدقة. خمَّنتُ التحفظات التي قد يواجهني بها. لذلك أحضرتُ شهادة من مشفى لويس لأثبت صدقي وأتحاشى شكوكه بأنني متحرشة جنسية ومهووسة أطفال. تهيّأتُ لكل ردود الأفعال. وكنتُ مستعدة لرشوته إذا لزم الأمر.

رحتُ أنتظر الشهير إدغار، وأتخيله يشبه السيد دوكرو، أستاذي في التربية البدنية والرياضة في الصف الثالث الإعدادي الذي سميناه «النينجا القصير» لأنه كان في آن معًا، صغير الحجم وبطينًا ورشيقًا رشاقة مذهلة. كان السيد دوكرو يستطيع أن يقدم لنا عروض جمباز مذهلة، وأن يحول نفسه إلى كرة طاقة نطاطة مع أنه عند النظر إليه، لن يراهن أحد بقرشٍ واحد على قدرته على تعليم أي نوع من أنواع الرياضة.

كنتُ تائهة في ذكرياتي، شاردة النظر، حين رأيت الغريب الذي التقيتُه خلال السهرة الصغيرة في منزل شارلوت يدخل الحجرة. اختلج منخراي، حين تذكرتُ رائحة البيرة الجافة التي لاحقتني لساعات مديدة من التسكع على ضفة قناة سان مارتان. لم أرغب بالانغماس في أحاسيس تلك السهرة المرادفة للفشل والألم، ولم أرغب في المغازلة والتودد، مع أن هذا الرجل النبيل حافظ على القدر نفسه من الإغواء والجاذبية. أشحت بصري عنه، ورحتُ أتفحص طريقة استخدام الدليل الإعلاني الشيق حتمًا للدورات التدريبية.

– طاب يومك، نحن نعرف بعضنا، أليس كذلك؟ أنتِ... التقينا في عيد ميلاد أختي.

– طاب يومك، أنا... أجل أتذكر... طاب يومك – المعذرة سبق وحييتك... أنت شقيق شارلوت؟ لم أكن أعرف أن لها شقيقًا أكبر... باختصار أقصد...

–... أنني أكبر سنًا منها؟ وأنني كنتُ من عصر آخر في تلك السهرة الشبابية؟ لا ألومكِ، فكرتُ في ذلك أيضًا وفوجئتُ على نحو ممتع بلقائك ذاك المساء... باختصار أقصد...

–... أنني كنتُ أكبر سنًا بكثير من متوسط الأعمار في السهرة؟ وأنني كنتُ من عصر آخر أنا أيضًا؟ أوافقك، وأعتقد أننا متعادلان.

لكن يا للغباء... لا أستطيع ترتيب ثلاث كلمات بشكل صحيح وأرقّن خطبي بضحكات بلهاء خفيفة... كنتُ إذًا مثيرة للسخرية قبل يومين أمام شقيق الحسناء شارلوت، التي كانت شقراء بقدر ما كان هو أسمر. كانت صلة القربى فوق الشبهات. سأحاول الهروب من جديد لكنه لم يعطني الفرصة.

– تسعدني رؤيتكِ ثانية، فقد غادرتِ فجأة في ذاك المساء، ولم يسنح لنا الوقت حتى للتعارف.

- آسفة... اسمي تيلما.

مددتُ له يدي مصافحةً، فأخذها واحتفظ بها لبضع ثوانٍ أطول من اللازم.

- أعرف من تكونين. وصفتكِ لأختي بعد السهرة، وشرحت... لي الوضع. تحزنني حالة ابنك، يا تيلما، وتحز في نفسي. خاصة أنني أحبه حبًا جمًا.

- عفوًا؟ من تحب حبًا جمًا؟

- ابنكِ، لويس. حين أخبرتني أختي... أدركتُ أنني... أنني قلما أتبادل الحديث عن عملنا مع أختي. إنها تمارس عملًا شاقًا في قسم الإنعاش، لذلك حين نلتقي، نتحدث في كل شيء إلا عن يومياتها في المستشفى، على كل حال لا تحدثني إطلاقًا عن مرضاها، ولا أحدثها البتة عن أطفالي... حسنًا، ليسوا أطفالي بالمعنى الحرفي، بل من أدرّبهم. العالم صغير، وباريس قرية ويتفق أن أختي تعالج الآن أحد تلاميذي: ابنك لويس. اسمي إدغار. تشرفتُ بمعرفتك، يا تيلما.

يا إلهي. يا إلهي. يا إلهي. أوه يا إلهي (هكذا كان ابني سيقول). هذا الرجل الذي كنتُ مثار سخرية أمامه هو شقيق شارلوت ومدرب لويس في كرة القدم. غرابة مضاعفة غير متوقعة، خاصةً أنه لم يكن يشبه صوفي دافان ولا السيد دوكرو، النينجا القصير.

جلسنا لبعض الوقت، وعرضتُ عليه بهدوء سبب حضوري. أثّرت قصتي فيه، بدا هذا واضحًا. أجابني أنه يوافق على مشاركتي في دورته، وأغاظني قليلًا حين أخبرني أنه يفضل أن يضعني في الفئة العمرية من ثماني إلى اثنتي عشرة سنة. فالفئة العمرية من ثلاث عشرة إلى ست عشرة سنة مريعون وقد أتلقى ضربات مؤذية، وليس هذا هو الهدف المطلوب. يضاف إلى ذلك أنه فهم الحالة الملحّة التي أمرّ فيها، ودورة الأصغر سنًا هي التي ستبدأ أولًا. يوم الأحد تحديدًا. وأردف أنه نظرًا

للظروف قد لا أحضر للتدريب سوى يومين أو ثلاثة، لكنني ألححتُ على قضاء أربعة أيام تدريب. لأن هذا ما كان لويس سيفعله، وهذا بالتالي ما يجب أن أفعله. وسيترتب عليّ تمامًا تسريع إيقاع الاختبارات التالية - على أمل ألّا تكون عبارة عن دورات جديدة طويلة الأمد. ابتسم إدغار وهو يسمعني أنطق كلمة «اختبار»، التي أفلتت مني. أعطاني بعد ذلك رقم هاتفه وطلب رقمي، حتى يخبرني إن حدث إلغاء في اللحظة الأخيرة - بشكل رسمي.

في صباح اليوم التالي، شرحتُ للويس ما سأفعله. أسرّت لي شارلوت أن شقيقها كان مدرِّبًا صارمًا وأنه من الأفضل أن أقوم ببعض التمرينات الصغيرة قبل ذلك، وإلا سأعاني. وطبعًا تجاهلتُ نصائحها. أمضيتُ عصر يوم السبت في إعداد نفسي بدنيًا، على طريقتي: أعني البحث عن لباس لا يحولني إلى حقيبة بكلابات لا شكل لها والاطلاع على كرة القدم بمشاهدة مباراتين... وهذان الأمران أكدا عدم اهتمامي (غفوتُ بشكل منتظم بين الشوطين) وعدم فهمي لقواعد هذه الرياضة.

***

أول يوم في الدورة، كنتُ محط الانتباه. راح أحد عشر صبيًا متحمسًا يحدجونني بنظراتهم، ويقهقهون ضاحكين من فكرة أن أتدرّب معهم. تجنب إدغار إخبارهم بأنني والدة لويس لأن أغلبهم كانوا يعرفونه، ولم يرد أن يؤثر ذلك على التدريب. ولم يرد أيضًا أن يضطر إلى تبرير وجودي أمام الأهالي الذين قد يطالبون بالمشاركة في الدورة هم أيضًا... لذلك قدَّمني إدغار كصحفية تعد تقريرًا عن كرة القدم. ولهذا السبب سأعتمر خوذة مزوَّدة بكاميرا صغيرة مركزة على وجهي، لتلتقط انطباعاتي. على الجميع أن يتصرفوا معي بشكل طبيعي، بطريقة محترمة - لا تنسوا أنها راشدة - لكن أن يعتبرونني كتلميذة بين التلاميذ الآخرين. لا محاباة في التعامل، والجميع سيقومون بالتمارين نفسها وبالانضباط ذاته، ولن

يكون هناك أيّ استثناء. لوهلة، رأيتُ في قاع عينيه لهب أساتذة الرياضة يتألق، وذكرى السيد دوكرو، النينجا القصير، والشرارة الموجهة إلى المتخاذلين - الذين كنتُ منهم - لإبلاغهم بعدم التسامح إطلاقًا. ابتسمتُ له بهيئة العارفة التي تعني بالنسبة لي: «أننا متفاهمان، لن أفعل بدقة مثل هؤلاء الأطفال، ويمكنني ممارسة حق الانسحاب»... لكنه لم يبادلني ابتسامتي: كان جادًا. فهمتُ أنني في ورطة.

كان يوجد إلى جانبي تسعة فتيان وبنتان. تساءلتُ على الفور إن كانت إحداهن تلك الإيزا التي تحدث عنها لويس في مفكّرته القيِّمة، لكن هاتين الفتاتين تدعيان دورا وزارا. بطلة فيلم رسوم متحركة وعلامة ملابس تجارية، لذلك لا شيء يسترعي الانتباه، حتى لو كانت الاثنتان جميلتين ومبتسمتَيْن. كان الفتيان يحملون أسماء مختلفة وغريبة، خليقة بهذا الجيل من الأهالي الذين يحبون ممارسة إبداعاتهم منذ اللحظات الأولى من حياة ذرّيتهم. لذلك كان يحيط بي ميلس وإستبان وجان رشيد وآرتوس وليوناردو وأمادو وغابور وعلِ بالكسرة بدل الياء وميلو.

قسّمنا إدغار إلى أربع مجموعات فرعية، وارتدينا قمصانًا صفراء زاهية، واتجهنا إلى إحدى الورش الأربع. كنتُ مع ميلو وجان رشيد الذي يناديه الآخرون باختصار رشيد. كانا يبدوان فخورين للغاية لأنهما معي، بل إن ميلو ناداني آنسة في لحظة معينة. وهذا ما جعل رشيد ينفجر ضاحكًا، وردَّ عليه بأنني لستُ آنسة وأن هذا واضحٌ للعيان. سألْتُه لماذا يظنني آنسة، فأجاب أنني لا أبدو مغرمة بالأطفال. أوقفتُ الكاميرا، أردته أن يشرح لي، لكن إدغار رآنا وأمرنا أن نبدأ أول ورشة. أدركتُ بسرعة فائقة ما قصده رشيد، وإلى أية درجة بدوتُ لهم مجافية، ومتعالية. منذ بداية الفترة الصباحية، كنتُ فعلًا أشد تركيزًا على الكاميرا من التركيز على اللحظة الراهنة. تمالكتُ نفسي، وابتسمتُ لرشيد وقلتُ له إنه سيرى ما سيراه، وأنني سأحرجه بخبرتي الكبيرة في كرة القدم. ضحك، وضرب يده بيدي وقال هيا بنا.

أجل، بالنسبة للانطلاق، انطلقنا. تبًا، منذ ثلاثة أيام ونحن ننطلق، وهؤلاء الصبية لا يتعبون. جرَّبتُ وسائل مختلفة لأتجنب بعض الورشات. حاولتُ بطريقتي الكلاسيكية المعتادة: كاحلي التوى. طلب إدغار من الأطفال أن يصوّتوا ليعرف إن كان كاحلي التوى فعلًا أم لا، فصوتوا جميعًا بلا. جربتُ ذريعة المكالمة الهاتفية الهامة التي اضطررتُ للرد عليها، فشهد ميلو أنني لم أتلق أي اتصال. حاولتُ رشوة أحد الأطفال بكمية كبيرة من السكاكر، وهنا نجح الأمر: وافقت دورا فعلًا أن تتظاهر بأنها تشعر بألم، واقترحتُ على إدغار أن أهتم بها ولم يكن أمامه خيار إلا أن يوافق.

قضينا ساعتين رائعتين أنا وهذه الصغيرة دورا، ولعبنا لعبة «الحزازير»، لعبة «الحقيقة أم الجرأة»، ولعبة «التحدي»، وروَت لي طُرُفًا من عمرها - كانت دورا في الثانية عشر بالضبط - وضحكتُ كما لم أضحك منذ قرن. وأنا أضحك معها في حجرات الملابس التي تنضح بالرطوبة وتعبق برائحة الجوارب المتسخة، شعرتُ بحالة غثيان تنتابني. أولًا غير واضحة، ثم اشتدّ حضورها، وأصبحت خانقة.

كانت طاقة هذه الفتاة الصغيرة وجاذبيتها الساطعة تتناقض بشكل مؤلم مع انغلاقي، وعزلتي. في أعمق أعماقي تردّد صدى الخواء. أمدّني ضحك دورا بمرآة، لم أر فيها شيئًا سوى ثقب أسود. كنتُ غائبة فعلًا عن حياتي الخاصة منذ زمن مديد. قبل حادث لويس بأمد طويل.

حاولتُ أن أركّز من جديد على دورا، ونكاتها، وخصلات شعرها الشقراء، وروحها المتألقة. لكنني لم أنجح في ذلك. انفتح باب منذ قليل، وصار يستحيل عليَّ أن أحتوي سيل الصور التي تدفقت فجأة. رحتُ أخمّن كم هي ثمينة لحظات التواطؤ مع طفل، وكم أهدرتُ من زمن كان يجب أن أتقاسمه مع لويس، وإلى أي مدى كنتُ أنانية، وذاتية، ومنغمسة في عملي. إلى أي حدٍ أهملتُ الأساسي. ترقرقت الدموع بصمت. منذ

متى لم أقضِ ساعتين صغيرتين، ساعتين هزيلتين على انفراد مع ابني؟ انضمَّ العار إلى الدموع، وحمل معه الكلمات. شعرتُ بوزنها يسحقني. كلمات الحقيقة الثقيلة والفظيعة: كنتِ أمًا سيئة، يا تيلما. كان يمكنكِ أن تفعلي المزيد، وكان عليكِ أن تفعلي أفضل مما فعلتِ بكثير.

حاولتُ أن أخفي انفعالي متذرِّعة بغبار دخل عيني، ولكن دورا ضمتني بين ذراعيها على دهشةٍ مني. قلتُ في سري إنني أضفتُ الآن السخرية إلى العار. مع ذلك، في الأحضان الناعمة لهذه الفتاة الصغيرة الجميلة، استكان شيء ما في داخلي. أخذتْ تحدثني، وتطمئنني كما تناغي طفلًا في منتصف الليل. كان العالم مقلوبًا رأسًا على عقب.

ثم قالت بضع كلمات - لم نكن نعرف لا أنا ولا هي مدى تأثيرها آنذاك - ستغير مجرى حياتنا إلى الأبد.

16

اليوم 15 إلى 10

دورا

- بابا شرح لي كل شيء. أنا أيضًا أحب لويس حبًا جمًا. لهذا السبب تركني أبي أذهب معكِ إلى غرفة الملابس. كما تعرفين، هو لم يصدقكِ، فهو يعرفني حين أتألم لأنني أجعل من ذلك قصة. لستُ ممثلة ماهرة وأكره جدًا الناس الذين يكذبون. والأمر ذاته ينطبق على أبي. لذلك أعتقد أنك كنتِ بحاجة إلى البكاء، يجب ألا تحبسي هذا داخلك، يجب أن يخرج. يقول لي أبي دومًا: «إيزا، يا حبيبتي، أن تعبّري عن عواطفك دومًا وتبدين ساذجة أفضل من أن تحتفظي بهذه الأشياء غير الواضحة محبوسة في داخلك». أعتقد أنه محق، ليس لأنه أبي، أليس كذلك؟ وبالمناسبة أنا لا أحب السكاكر. أعرف، هذا غريب، لأن الجميع يحبون السكاكر. يجب أن تصدقي أنني لستُ مثل الجميع.

نهضتُ. كفكفتُ دموعي. أدهشتني هذه الخطبة المسهَبة من النضج المذهل. لقد سكبت هذه الصغيرة لتوها فوقي في بضع جمل كمية من المعلومات يشق على دماغي معالجتها:

-1 تحدثتْ عن إدغار قائلةً بابا.

-2 كانت تعرف لويس.

-3 تحدثتْ عن نفسها قائلة إيزا.

-4 لم تكن تحب السكاكر.

(اشطبوا التنويه غير المفيد)

لنتابع. كانت ابنة إدغار. لم يكن ثمة لبس في كلماتها. ومرة أخرى أيضًا لم تكن القرابة واضحة. الآن وقد عرفتُ الصلة، يمكنني تحديد بعض التشابهات مع شارلوت، عند اللزوم. كان إدغار يشير بوضوح إلى هذه العائلة من الشقراوات. تساءلتُ ماذا يمكن أن تشبه والدة هذه الطفلة وشعرتُ بوخزة غريبة. تخيلتها فائقة الجمال، شقراء بإفراط، شقراء بقدر ما أنا سمراء. حقدتُ دومًا على الشقراوات. ثمة شيء يقارب الحسد، والرغبة بالشقراوات. فالشقراوات هن استيهام متاح للرجال والنساء على حدٍ سواء. السمراوات هنّ الواقع، اللوحة النسيجية التي تتناسب تمامًا مع المنظر الطبيعي، التي لا تثير اضطرابًا إلا إذا تحوّل البنّي إلى أسود فاحم. السمراء، هي من بين الاثنين من لا تكشف عن نكهتها إلا حين نتذوقها فعلًا. فكّرتُ أحيانًا أن أصبغ نفسي بالأشقر، وعدلتُ عن ذلك دومًا، مفعمة بالمبادئ العظيمة، ومكبّلة بأصفاد التفكير. ربما سأضطر إلى التجريب في نهاية المطاف.

معلومة حاسمة أخرى تطايرت في الهواء: من الواضح تمامًا أنها إيزا لويس. تلك التي نغصت قلبي منذ الصفحة الأولى للمفكرة النفيسة. شعرتُ في آن معًا بارتياح كبير وانزعاج شديد. ارتحتُ لأنني استطعتُ أخيرًا تكوين صورة لمن حلمتُ بها ألف مرة في الأسابيع الأخيرة. لأنني استطعتُ على الأخص أن أربطها بوجه طفلة. لو تبينتُ أن إيزا راشدة، وأن لويس فتح قلبه لها، وأولاها أهمية، لمتُّ من الغيرة. كان لويس ابني، ولم أكن أحتمل فكرة أن تسرق امرأة أخرى انتباه ابني. رحتُ أشكر السماء - السماء، السماء فقط، فلا يوجد أي كيان إلهي في خيالي - على أن إيزا طفلة، لم تبلغ سن المراهقة، وهذا رائع. أحتمل

أي شيء إلا امرأةً أخرى. لذلك شعرت بارتياح كبير، ولكنني انزعجتُ انزعاجًا شديدًا لأنني كنت مثار سخرية أمامها، وكشفتُ عن أقل جوانب شخصيتي إشراقًا جانبًا تلو الآخر: ظهرتُ غشّاشة، متأفّفة، متهرّبة، كسولة، ندّابة. لكنني على أي حال، لم أخلف وأغش بوعدي.

في هذه اللحظة بالذات اجتاح إدغار وبقية الفريق المكان المحصور المخصص لتغيير الملابس، ورفعوا من شدة الصوت وقوة الرائحة. راح بعضهم يهتفون «فزنا»، ويقلدون حركات فوز معبوديهم في الملاعب، وطفق آخرون ينفخون بغيظ ويظهرون هيئة مرشّح رئاسي اكتشف النتيجة المريرة لاقتراع شرس خاضه. كان إدغار يضحك وهو يداعب رؤوس الخاسرين، منتقيًا الكلمات لمواساتهم. إنها ميزة عائلية، على ما يبدو. نهضتُ، واتجهتُ نحو حجرة تبديل الملابس الخاصة بالراشدين. وقبل أن أغادر، أردتُ أن أشكر إيزا.

- شكرًا، إيزا... أم دورا؟ كيف يجب أن أناديكِ في النهاية؟ أعترف أنني لم أعد أفهم شيئًا...

- بالإثنين يا كابتن. اسمي إيزادورا. مثل الراقصة إيزادورا دانكن. كانت أمي راقصة. بابا... بابا يناديني إيزا، وجميع الآخرين ينادونني إما دورا أو إيزا، لذلك كما تشائين.

تناولتُ حقيبتي الرياضية وخرجتُ ببطء من محيط الملعب، وأخذتُ وقتي لأهضم كل هذه الأخبار.

كنتُ مرهقة.

حين تخطيتُ السور الشبَكي، أمسكني إدغار ولم يعد يفلتني. حرفيًا. دعاني إلى تناول العشاء في منزله، منزلهم. عارضتُ شكليًا، لكنني سرعان ما قبلت.

وولجتُ عالمهم. تلك كانت رغبتي.

***

كان إدغار وإيزادورا يعيشان مع شارلوت. عيشة مشتركة اختيارية، وفرحة. شقتهم هي الشقة التي التقيت فيها إدغار أول مرة، لكن الإنطباع المتولد عنها في غياب خمسين شخصًا كان مختلفًا جدًا. رغم مساحتها الصغيرة، كان لكل واحدٍ غرفته، وخصوصيته.

– هذا يهم الجميع، خاصة تلميذات المدارس الإعدادية، قال إدغار ممازحًا وهو يغمز ابنته غمزة تواطؤ.

كانت شارلوت مناوبة في المستشفى، وكنا نحن الثلاثة ذاك المساء. صحبتني إيزادورا إلى وكرها. حين رأيتُ ملصقات لاعبي كرة القدم، شعرتُ أن ساقيّ تخوران. اضطررتُ أن أستند إلى الجدار حتى لا أنهار. كانت هذه الغرفة شديدة الشبه بغرفة لويس، وكان ذلك محيّرًا. فهمتُ الآن العلاقة، والشغف المشترك. إنها جاذبية حركات نشوة الفوز على الورق الصقيل اللامع. كان كل هؤلاء الأبطال مبتهجين، ويظهرون فخرًا صارخًا ونشوة عارمة. لقطات انفعالية للحظات سعيدة عابرة، ساحرة جدًا. لم أجرؤ على سؤال إيزا عن علاقتها بلويس. ناولتني وشاحًا وقّعه لاعب مغمور. ضحكتْ بلطف، وهي تتساءل كيف يمكنني ألّا أعرف زلاتان إبراهيموفيتش، وأجبتها أن الأمر بسيط للغاية، كما ترين... ثم أعدتُ لها الوشاح المقدَّس. اتخذتْ هيئة مهيبة ووضعته من جديد بين يديّ كقربان، وطلبت مني أن أعطيه إلى لويس حين يستيقظ. لأنه سيستيقظ، هي واثقة من ذلك. احتضنتها بين ذراعيّ ورحتُ أبكي. دفعتني بعيدًا عنها وهي ترغم نفسها على الضحك، وقالت لي: «آه لا لن تعيدي الكرة مرة أخرى، أليس كذلك...» العالم بالمقلوب، دومًا. شكرتها. أظن أن لويس سيسَرّ بهذه الهدية. وهي أيضًا تظن ذلك.

أكلنا البيتزا، ونحن جالسون على الأرض. وضع إدغار كخلفية صوتية الموسيقا التصويرية لفيلم *درس البيانو*، للمخرجة جين كامبيون.

عرفتها من النغمات الأولى. كان اختيارًا ممتازًا، فهو أحد أفلامي المفضلة، وموسيقاه مذهلة بكل بساطة. بدأت صورة إدغار تتضح في ذهني. كان رجلًا استطاع أن يفرض احترامه بسهولة على مجموعة كاملة من المراهقين، رجلًا يعير انتباهًا منقطع النظير لابنته، بنى معها تواطؤًا قائمًا على الاحترام المتبادل والمناكفات، رجلًا قادرًا أن يخوض في الطين صباحًا ويتأثر بأنغام البيانو الشجية لمايكل نيمان مساءً، رجلًا بابتسامة سخية وعينين سوداوتين حزينتين، رجلًا أصاب ولا بد نجاحًا باهرًا مع النساء لكنه لا يبدو مدركًا للجاذبية التي يؤثر بها عليهن - رأيتُ هذا الأسبوع الأمهات اللاتي يتبسمن بغنج عند مجيئهن لأخذ أطفالهن بعد تدريب كرة القدم... وإدغار مشتت هنا وهناك. كنتُ أشعر في داخله بصخب الفرح والألم. كانت إيزادورا قد تحدثت عن أمها في صيغة الماضي. من كان، وماذا عانى؟ استبد بي الفضول. ورحتُ أغلي داخليًا. أردتُ أن أعرف المزيد.مكتبة سُر مَن قرأ

وفي غضون دقائق، تحول الحديث من حديث جدي ورصين إلى حديث إلفة وود، وبدأتُ أترك الأمور تأخذ مجراها، وأخفف توتري. ظل لويس مستقرًا في ركن من رأسي. كان كل شيء يذكّرني به. كنتُ أجتاز منعطفًا أساسيًا حين سمحت لنفسي أن أتعشى مع آخرين. قلتُ في سرّي إن هؤلاء الأشخاص كانوا في مفكرة ابني النفيسة، وأن لهم قيمة عنده، وأن لويس وافق على هذا اللقاء ضمنيًا، وأن لويس هو نفسه وجَّهني نحو إيزادورا وإدغار. وببقائي، كنتُ أدخل عالم ابني، بطريقة أخرى. لاحظتُ أنني كنتُ أشعر بفيض من المتعة هناك.

نحو الساعة العاشرة مساءً، أعلنت إيزادورا أن الوقت حان لتخلد إلى النوم - كنتُ مذهولة، لأنني كنتُ أصارع كل مساء حتى يتكرّم لويس ويأوي إلى غرفة نومه. قبّلتنا، ورافقها إدغار حتى سريرها.

بقيتُ وحدي في غرفة الجلوس، لبضع لحظات. كان تناقضها مع غرفة الجلوس عندي صارخًا. في منزلي، كان كل شيء مصمَّمًا، معقّمًا، وغير شخصي. أما في هذه الصالة فالفوضى هي جزءٌ من الديكور. مجلاتٌ مبعثرة على الأرض، وأيضًا بعض الألعاب. خزانة خشبية كبيرة مملوءة بالتحف المغبرة، لكن لا يمكن لأحد أن يلوم سكان المكان. فالزائر يفهم من أول نظرة أن القاطنين هنا، لديهم ما يقومون به أهم من الغبار. لديهم ما يعيشونه. هنا كل شيء ينبض بالحياة.

نهضتُ، وجمعتُ حوائجي الشخصية.

- أشكرك يا إدغار مرة أخرى، كان هذا لذيذًا فعلًا.

- أنتِ مخطئة، بالتأكيد. فالبيتزا جاهزة، ولا تحتاج طباخًا ماهرًا... لكن هذا لطف منكِ مع ذلك. أنتِ واقفة، وبدأتِ تتكلمين كأنكِ ستغادرين، لكن هذا أمر غير وارد طبعًا. لن تتهرَّبي مني مرة أخرى.

- أنا لا أتهرّب منك، يا إدغار. لا أعرف إن كنتَ لاحظت فأنا أقضي أيامي معك هذه الفترة.

- مخطئة، دومًا. أنتِ تقضين بشكل خاص ساعاتٍ طويلة تثرثرين في غرف تبديل الملابس... أنا أمزح. تعرفين حق المعرفة أنني أقصد...

تردَّد، وأخذ نفسًا.

- أود لو تبقين.

اقتربَ، وأعاد بهدوء معطفي وحقيبتي فوق الأريكة. لامست يده يدي، أم أنها كانت أكثر من مجرد لمسة؟ شعرتُ برعشة سرَت في جسدي.

بقيتُ.

اقترح عليّ منقوع أعشاب، فأجبته أنني لم أصبح بعدُ جدةً عجوزًا، وأنني أُفَضِّل بدلًا من ذلك أن يفتح زجاجة نبيذ ثانية. خلال السهرة،

وبتأثير اجتماع الكحول والهمسات «حتى لا تستيقظ إيزا»، انطلق لسان إدغار. لم أسأله عن شيء. هو من تكلم، بشكل عفوي، وبحرّية. أكدتُ له مرارًا وتكرارًا أنه ليس ملزَمًا أن يخبرني بأي شيء. أجابني أنه هو يرغب في ذلك. وأنه بحاجة إلى هذا.

سمعتُ قصتهم. حزينة إلى حد البكاء. إلى درجة الموت. سوداء بقدر ما كانوا مشرقين.

III

أمراء وأميرات

17

الأيام من 15 إلى 10

في النبيذ توجد الحقيقة

قبل بضع سنوات، كان لدى إيزادورا أم. كان إدغار قد تعرّف على مادلين حين كانا طفلين. وأحب أحدهما الآخر إلى حد الجنون.

***

سنوات 1980. كان والد إدغار موظفًا في مصرف، وأمه معلمة رقص. كانت تدير مدرسة صغيرة في شارع باراديس في مرسيليا. هذا يفوق الوصف. الرقص هو كل حياتها، ولهذا اختارت هذا الاسم لابنها، في إشارة إلى الرسام الانطباعي الشهير إدغار ديغا، الذي تزيّن لوحات راقصاته الرائعات جدران المدرسة. كانت مادلين إحدى تلميذاتها. أفضل تلميذاتها. وأجملهن أيضًا. كانت تحلم بالنجمات، ومسرح بولشوْي، وأوبرا باريس. بعد يومه الدراسي أو تدريبه بكرة القدم، كان إدغار يوافي أمه إلى مدرسة الرقص، على الدوام. ينجز وظائفه شارد النظر، ثم يستقر في زاوية الصالة ويراقب، ويرسم. كانت أمه تفخر بموهبته أيما فخر. تردد غالبًا حبيبي *إدغار سيصبح فنانًا عظيمًا هو أيضًا*.

راح إدغار يرسم راقصات. ومع توالي السنين، أخذ قلمه الرصاص يركز على ملامح واحدة منهن. إدغار يرسم مادلين، ومادلين لا تعرف ذلك. في سن الرابعة عشر من عمره، يقرر إدغار أخيرًا أن يخطو الخطوة

الأولى. يقدم إلى مادلين لوحة بورتريه، تخلّد لفتتها الدقيقة، وكمال حركتها. تتأثر إلى حد البكاء. ولم يفترق إدغار ومادلين بعد ذلك.

كانت مادلين تحب رسومات إدغار. تحثه على المثابرة، وإقامة المعارض. وبينما إدغار يدرس الفنون الجميلة في مرسيليا، كانت مادلين تخوض الاختبارات والتجارب، تسقط، تنهض، وتسقط من جديد. وبعد بضع سنوات، مثل العديد من الراقصات، تختار الأمان، التدريس في مدرسة الرقص العائلي. كانت مادلين سعيدة، بنَت حياتها حول علاقتها مع إدغار. وبدأ هو يحقق شهرة، فبيعت كل واحدة من لوحاته بآلاف اليوروات. لم ينفق الكثير منها، وكان دخل مادلين يؤمن استقرارًا جيدًا لهذه العائلة من الفنانين.

ثم ولدت إيزادورا، مضى اثنا عشر عامًا على ذلك. واستمرت السعادة حتى دخول إيزادورا المرحلة الإعدادية. وبعدها انهار عالمهم.

ذات صباح من شهر أيلول، يستقل والدا إدغار الطائرة على متن الرحلة MX484 إلى هافانا. أربعون عامًا من الزواج، يجب الاحتفال بهذه المناسبة. العائلة، والأصدقاء يساهمون لتقديم شهر عسل جديد للزوجين الرائعين. كوبا هي حلمهما الدائم. *التقاعد، هو بداية حياة* جديدة، تقول والدة إدغار مازحة أثناء خطبة وداعها الشجية لمدرسة الرقص، التي سلمت زمام أمورها إلى مادلين قبل بضعة أسابيع.

لن تصل الطائرة أبدًا إلى كوبا. ولن يكشف المحيط الأطلسي عن شيء أبدًا. جميع الفرضيات طُرِحَت: خطأ بشري، عطلٌ في المحرك، هجوم إرهابي... لم يعثروا على الصندوق الأسود إطلاقًا. كان الحِداد غير ممكن بالنسبة لعائلات ثلاثمائة وسبعة وثلاثين شخصًا قضوا على متنها. ومع ذلك يجب البدء به.

حاول إدغار أن يدفن حزنه في لوحاته. لكنه وجدها مكررة، ومؤسفة. انطفأت الشعلة. وراحت مادلين تؤمن احتياجات الأسرة وحدها. كان

كلاهما يقومان برعاية إيزادورا، قدر الإمكان. أخذت مادلين تقضي وقتًا متزايدًا في ستوديو الرقص، وتتحمل على عاتقها واجب تخليد ذكرى المرأة التي منحتها كل شيء: شغفها ومدرستها وابنها. بدت منهكة، وهذا طبيعي نظرًا إلى وتيرة عملها.

20 كانون أول 2011 - سيتذكر إدغار هذا اليوم بقية حياته - نحو الساعة السادسة مساء، وبينما لم تزل إيزادورا في حمّامها، تلقّى إدغار اتصالًا. مستشفى لاتيمون. توعكت مادلين وسط حصة الرقص. جاء رجال الطوارئ لإسعافها وأقلّوها إلى هناك لإجراء فحوصات إضافية. طبعًا نوبة إنهاك شديد، قيل له حينها. نشّف إدغار إيزادورا بأقصى سرعة وانطلق عبر شوارع مدينة مرسيليا المزدحمة وهو يقود سيارته الكليو القديمة الرمادية. أخبره عقله أن كل شيء سيكون على ما يرام، وأمره أن يخفف من سرعته، وأن يهدّئ روعه، لكن قلبه قال له العكس تمامًا. لم ينفك قلبه يدقّ في قفصه الصدري دقات عنيفة. ظل قلبه يسبق عقله بأشواط طويلة دومًا.

وقعَ التشخيص كالساطور، لم يكن مفهومًا ومع ذلك واضح. لعن إدغار قلبه على فهمه الزائد. سرطان الأقنية الصفراوية داخل الكبد. نادر. مخيف. مباغت. منتشرٌ، وفرص الشفاء منه هي نحو خمسة بالمائة، نحن آسفون، يا سيدي.

صارعت مادلين طوال ثلاثة أشهر. مادلين لا تستسلم. إنها مدة طويلة، ثلاثة أشهر. وهي مدة قصيرة، ثلاثة أشهر. ظلت مادلين حتى قبل بضع ساعات من موتها تمازح ابنتها. آخر أفكارها حيالها. *يجب ألا تراني أبكي أبدًا. يجب أن تحتفظ عنّي بصورة المرأة المقاتلة. فالنساء يعرفن كيف يقاتلن إذا علمناهن فعل ذلك وهن فتيات صغيرات. سأعلمها حتى ألفظ أنفاسي الأخيرة.*

***

توقف إدغار عن سرده. كنتُ قد استمعتُ إليه بخشوع، دون أن أقاطعه. وهو يكرّ خيط حياته الهش أمامي، كان إدغار في آن معًا مسكونًا، ومطبوعًا بالوقار ويحافظ على مسافة منقذة. تحاشى على قدر ما يستطيع الغوص في الأعماق حتى لا يغرق. كرامة مهولة.

كنتُ من جانبي في حالة يرثى لها. وجه مبلل بالدموع، وشهقات مسموعة، ومناديل مستخدمة بإفراط. ناولني إدغار علبة مناديل جديدة. سألته لماذا يخبرني بكل هذا. فأجابني أن ذلك ضروري. لا يمكنني أن أعرفه إن لم أعرف هذا عنه. هذه سريرته، وستظل سريرته على الدوام. كدتُ أقول له إنه من قبيل الغرور أن يظن أنني أريد أن أعرفه بمثل هذه الدقة، لكنني أحجمت. سيكون ذلك صفاقة، وعلى الأخص غير صحيح على الإطلاق، لأنه أجل: أريد أن أتعرف عليه.

أخذتُ نفسًا عميقًا، وصببتُ لنفسي كأس نبيذ. هو أيضًا. استلقيتُ على الأريكة، وتدثّرتُ بغطاء صوفي موشّى اشتغلته إيزادورا مع شارلوت، وسكتُ. استأنف، وابتسم ابتسامة صادقة - هذا الرجل مذهل - وهو يخبرني أن تتمة القصة ستكون أقل حزنًا وأخف وطأة.

***

في ذلك العام، تنهي شارلوت دراستها كممرضة. قبل بضع سنوات، أقامت في شقة صغيرة جدًا وسط باريس. تعشق شارلوت العاصمة، وهو أمر ليس بالهيّن بالنسبة لفتاة من الجنوب. هامت بالمدينة إلى حد الجنون، وأغرمت بأحد سكانها. لم تدم قصة غرامها، لكن حبها لباريس ظل كاملًا. وخلال الأوقات العصيبة من حياتهم، تعلق شارلوت دراستها لتأتي وتساعد أخاها وابنة أخيها. وتنقذ نفسها. تقضي ستة أشهر مع إيزادورا وإدغار، تضمّد جراحهما الداخلية. ويعتنيان بجراحها في

المقابل. إنهم ثلاثة فقط الآن. وسيظلون ثلاثة دومًا. يقسمون على ذلك. *ما بيننا نحن الثلاثة إلى مدى الحياة، إلى مدى الحياة.* هذا شعارهم. منقوشٌ على جسدهم.

ثم يتفتق ذهن شارلوت عن هذه الفكرة العبقرية. سيتركون كل شيء. لم يعد يربطهم شيء بمرسيليا، ويجب أن تنهي شارلوت دراستها كممرضة. سيجدون شقة في باريس، تكفيهم ثلاثتهم. سيعيدون إنشاء ما فقدوه للتو. منزل.

تحب إيزادورا الفكرة. لم يعد إدغار يطيق العيش في مرسيليا، والسير في شوارعها التي تذكّره بالراحلين. يجب أن يمضي إدغار قدُمًا. من أجل إيزا. من أجله. من أجلهم. كانت شارلوت استثنائية بالنسبة لإدغار وابنته، وليس ثمة كلمة أخرى. ما يجمعهم اليوم أقوى بكثير من العلاقة الأخوية.

يبيع إدغار مدرسة الرقص. ويصمد بالمال ثمانية عشر شهرًا، يأمل خلالها أن يسترد الإلهام، ويستأنف العمل. لكنه لم يعد ينجح في ذلك. فلا شيء أشد تطايرًا من فعل الإبداع. تتقلص المدَّخرات ولا يعود راتب الممرضة شارلوت يكفي. حينها يتحرك إدغار. يتقدم بطلب إلى إحدى وظائف المنشّطين الترفيهيين التي أنشأتها مدينة باريس عند إعادة تنظيم العطل المدرسية. الأجر منخفضٌ والدوام جزئي، لذلك يستكمل دخله بتنشيط بعض الورش الرياضية في المركز الترفيهي. ليست كرة القدم شغفه الكبير، فقد مارسها بضع سنوات حين كان في المرحلة الابتدائية، لكن إدغار يحب الأطفال: وشهادة المدرب التي حصل عليها في السادسة عشر من عمره تفيده أخيرًا.

منذ أكثر من عامين من الآن، يعيش إدغار، من جديد. إيزادورا هي أشعة شمسه اليومية. هي من ألبستها أمها خفاف الرقص في السنة الثالثة من عمرها ترفض أي تواصل مع عالم الرقص، تقول إنها تفضل كرة

القدم وتترعرع على هذا. درع، وواقي بشرة ضروري. لم يعد إدغار يرسم، انتهى هذا ايضًا. وقُلِبَتْ الصفحة.

بالتأكيد، لم يزل الماضي موجودًا - وسيظل موجودًا - دومًا، لكن إدغار ينظر أمامه اليوم. وما يراه جميل.

***

لم أتوقف عن البكاء لدقائق مديدة. كانت قصتهم محزنة. رهيبة.

إيزادورا وشارلوت وإدغار نجوا. وأدركتُ بشكل أفضل ما يجعلهم هم الثلاثة مشرقين: كانت ابتساماتهم حقيقية.

كانت هذه بمثابة رسالة أمل لي... بعد كل كابوس يبزغ فجر يوم جديد. كنتُ أنتظر الفجر منذ حادث لويس، لكنني كنتُ أدرك أنه يجب أن أواصل التقدم في الليل، وأنه يمكنني دومًا أن أشق طريقًا، مهما بلغت حلكة العتمة.

انتهت زجاجة النبيذ الثانية. ومرة أخرى أيضًا، سألتُ إدغار لماذا يخبرني بكل هذا. إنه يصغي اليوم إلى قلبه. ولا يثق إلا به. أمره قلبه أن يكلّمني، وأن يبوح لي بكل شيء. وحتى يستطيع فتح الأبواب، يجب أن يعرف ما يقبع هناك في الظلام، وألّا يخاف منه. كان إدغار يعرف أن أبوابي ستظل موصدة، وأنني لستُ مستعدة بعد للتكلم، وفضلًا عن ذلك لم يطلب مني هذا. سأتكلم فيما بعد. قلب إدغار لم يخطئ قط. عرف قلبه ذلك فور أن رآني. منذ اللحظة الأولى في هذه الشقة المزدحمة.

ازداد شعوري بالقلق وعدم الارتياح. كان يخاطبني كأننا خليلين. لفتُّ نظره إلى هذا، فأجابني أنه يدرك ذلك، بالطبع، وأن هذا بديهي. شعرتُ فجأة بحرٍ شديد. واختلطتْ بالضيق أحاسيسُ أخرى، متناثرة. نشوة شاردة. ثملٌ متوارٍ تحت طبقات من طلاء الأظافر المتشقق.

عدتُ إلى بيتي نحو الساعة الثالثة صباحًا. لم أستطع النوم. توجهتُ إلى الغرفة التي تنام أمي فيها. انحنيتُ فوقها، وهمستُ لها أنني أحبها.

وهي نصف غافية قالت لي ماذا تفعلين هنا يا هرَيْرتي الدافئة، واحتضنتني بين ذراعيها العظميتين اللطيفتين.

وهذا ما أراحني.

18

الأيام من 9 إلى 6

لون

المحطة التالية في المفكرة النفيسة هي بودابست، وما أعدَّه لويس هناك لا يُعلى عليه، على حد تعبير أمي.

كان يتوجب عليّ - من بين أشياء أخرى - أن أشارك في حدث رياضي يدعى **مهرجان الألوان**، الذي يُعلَن عنه أنه «أسعد سباق على سطح الكوكب». بحثت أمي على الإنترنت عما يعنيه هذا وعرضتْ عليَّ مقطعًا ناطقًا على الأقل: آلاف الأشخاص يرتدون كنزات بيضاء ويضعون نظارات واقية، ويقذفونهم على وجوههم بغمام من المساحيق الملونة عند كل كيلومتر يقطعونه، وينتهون منطقيًا إلى حالة مروِّعة. لم أجد أين تكمن المتعة في هذا، لكن المشاركين يبدون سعيدين. عصابة مدمني مخدرات، بالتأكيد... جزمت أمي قبل أن تعلم أن هذه التجمعات المازوخية المدنية أصابت فعلًا بالعدوى ملايين عديدة من الأشخاص عبر العالم.

بدأتُ أتوتر حين أدركتُ أن هذا التجمع بمظاهره الاحتفالية هو نصف ماراثون، وأن بودابست مدينة كثيرة التلال، وأن جسمي لم يزل مرضوضًا من عذاب كرة القدم. لن يحدث سباق بودابست إلا في أيار، ويجب أن أخلق لنفسي حدثًا يخصّني. وفجأة تشكلت لدي رؤية مثيرة

للشفقة بأنني أنثر بنفسي بعض الأصبغة على نفسي، وأنا أحتضر في شارع منحدر... كان واضحًا أنني سأحتاج إلى مساعدة لإدارة الخدمات اللوجستية المتعلقة بالتلوين، ولتدارك حالات الضعف الجسدي المحتملة.

طلبتُ من إدغار أن يرافقني. اقترحت أمي - التي لا تفوّت أي فرصة - أن تحل مكانه، وهي تسخر مع شارلوت.

- لا تسيئي فهمي، يا أمي، ليست بنيتك الجسدية قوية، وسأحتاج لمن يسندني جسديًا. يبدو لي إدغار خيارًا أصلب، هذا كل ما في الأمر.

ذهبتُ لرؤية ابني، وهنأته على كل هذه الطموحات الرياضية التي لم أكن أتوقع وجودها، وشرحت له أنني أعوِّل على إدغار لأتجنب نوبة قلبية فوق جسر السلسلة المعلق الشهير في العاصمة الهنغارية.

- سيصوّرني إدغار، وستبث الجدة أوديت لك كل شيء مباشرة على اللوح الإلكتروني. وسيكون بوسع جدتك أيضًا أن تشدَّ من عزيمتي - أليس كذلك أيتها الجدة؟ - لأنني سأبقي السماعات والمايكروفون يعملان طوال الوقت.

- أجل بالتأكيد، يا هريرتي الدافئة، أجابت بهيئة تنضح مرحًا.

***

ثابر إدغار على مهمته وتكفَّل بجميع الاستعدادات. شرح لي أن المساحيق موجودة بوفرة في ممر برادي المسقوف، لأن إلقاء الألوان هو تقليد عريق في الهند: أثناء الاحتفال بالاعتدال الربيعي المسمّى هولي، يطوف حشد من الهنود المبتهجين الشوارع، ويتراشقون بالأصبغة. أخذ الغربيون المفهوم كما هو وأرفقوه بصلصة رياضية. لا، لن أوسمَ على نحو لا يُمحى بمجرد نشاء ذرة ملون بأصبغة طبيعية، ولا، لن يصل

الحال بنا إلى أن تزجّنا الشرطة الهنغارية في السجن... كل هذا غير مؤذٍ فعلًا، فلا تقلقي.

حين وصلنا إلى بودابست، طلب مني إدغار أن أنتظر ساعتين قبل أن أوافيه عند سفح قطار بودا الجبلي - كانت لديه «بعض التفاصيل ليسويها». بدأتُ أجري، وقد ارتديتُ سترتي البيضاء، وسرعان ما أدركتُ أن هذا السباق سيكون محنة جسدية تزيّنها لمسات من أشعار مجنونة. خطط إدغار لوجود لجنة ترحيب صغيرة كل كيلومترين، مؤلفة أحيانًا من عائلات، من سيدات عجائز، من طلاب، من تجّار، من سياح يستمتعون بمشهد أؤديه بإتقان رغمًا عني. كان أنصاري يفرشون شرشفًا أبيض على الأرض حتى لا تتسخ شوارع القرون الوسطى الجميلة، وكنتُ أتوقف للحظات قليلة، أغمض عينيّ وأنطلق مرة أخرى مزيّنةً بلون جديد، وسط عاصفة من التصفيق.

أوكل إلى إدغار كل هذه المهام لآخرين ليكون حرّ اليدين، ويصور باستمرار فلا يفوت لويس أي شذرة من ذلك. لا أدري بماذا أحسَّ ابني بالضبط، لكن يمكنني أن أقول بيقين إن أمي لم تفوّت شيئًا من التقديم.

تبًا، لو كانت أمامي، لفكرتُ جديًا في خنقها. لم تتوقف ضحكاتها عن الرنين في أذنيّ وهيّجت نصف المستشفى. أظن أن جمهورًا ذروته نحو عشر مشاهدين باريسيين راح يسخر من وجهي علانية. راحت تشرح لهم - وهي جذلى - أنني كنتُ دومًا عدمًا في الرياضة، وأن وحيًا مقدسًا هو ما جعلها تكتشف كل هذه المواهب المخبَّأة لدى هريرتها الصغيرة ذات الأربعين عامًا، وأن هذا الجمع للأصفر والأخضر والوردي على شعري كشف أخيرًا وعلى الملأ طبعي الفاسق المكبوت.

دام الجحيم أكثر من ثلاث ساعات. كنتُ أصرخ في إدغار أن البرد قارس، أتوقف، وأنطلق ثانية، وأجبر نفسي على الابتسام حين يشجعني

كلٍ هؤلاء الهنغاريين اللطيفين. لكن لم يعد يسعني التحمل أكثر. ولأنه تعذّر عليكِ الجري فعلًا، يمكن القول إنكِ مشيتِ نصف الماراتون الملوّن بهذه الأشياء الغريبة، مزحت أمي أمام حشدٍ جمعته من متسكعي الجادات. وبعد ساعتين، توقفتُ عن الضحك. قذفتُ بالسماعات بعيدًا. نجح إدغار في الاستمرار في ما يشبه سلوك امرأة في أوج المخاض، شتائم ومعها يدان تتشنجان. رغم الألم والإجهاد الخارق الذي تطلبته هذه التجربة مني، شعرتُ بالتأثر لأن إدغار تكبد كل هذا العناء.

انتهى درب الآلام أمام قبة كاتدرائية سان إتيان، وسط بلفاروس، «المدينة الداخلية» لمدينة بيست. انهرتُ. حملني إدغار على ظهره. كنتُ قد استأجرتُ شقة صغيرة على بعد أمتارٍ من هناك، بغرفتين طبعًا، لكن فيها بشكل خاص حوض استحمام قديم مذهل حلمتُ به طوال النهار، وبقيتُ فيه ساعة كاملة، أمسّد برقة ربلتيّ ساقيّ وفخذيّ المتوجعين. وحين خرجتُ منه، ارتميتُ على سريري ولم أفتح عينيّ ألّا في الصباح.

***

أمضيتُ اليوم التالي مع إدغار نزور المدينة. اكتشفتُ من جديد الأماكن التي مررتُ بها ليلة أمس، واستطعتُ هذه المرة أن أقدّر قيمتها الحقيقية: الشوارع شديدة الانحدار لهضبة قصر بودا، برج كنيسة ماتياس يعانق السماء، البرلمان الضخم، والدانوب المهيب الذي ليس أزرق تمامًا، وسلسلة المتاجر والمطاعم العصرية إرزيبيتفاروس...

أحببتُ بودابست كما أحببتُ طوكيو. مدينتان على طرفي نقيض إحداهما من الأخرى. لكن في كل واحدة منهما، ثمة شيء من جنون ساذج يناسب تمامًا ابني.

أحببتُ كل ركن من هاتين المدينتين مثل قطعٍ من لويس.

***

كان لويس قد لخّص بوضوح برنامجنا المسائي في مفكّرته. سيتعين علينا أن نواجه سباقًا مختلفًا تمامًا. «ماراتون الحفلات»، ووصفه كما يلي:

- احتساء أقداحٍ في نحو عشر حاناتٍ خَرِبَة وبعد ذلك قضاء ليلة بيضاء في الحفل المجنون في حمامات ستشيني المعدنية (وكل هذا من دون تقيؤ من فضلك...).

تمنيتُ أن يكون لويس قد خطط للانتظار حتى يبلغ سن الرشد قبل أن يخوض مغامرات كحولية يوشك أن يلقيني في غمارها، لكنني لا أظن ذلك. فأنا أيضًا حين كنتُ مراهقةً، «كنتُ أشرب أقداحًا» معتقدةً بسذاجة أنني أخدع أمي، حتى واجهتني يومًا دون أن يرف لها جفن أن رائحة كريهة تنبعث من فمي وأن مثل هذه الحركات لا تفوتها.

كان الهواء قارسًا، لكننا سرعان ما تدفأنا أنا وإدغار ونحن نتسكع من طلل إلى طلل. والأطلال، هي تلك الحانات القابعة في الأبنية المهجورة من الحي اليهودي القديم. أماكن تحيِّر وتفاجئ بجمالها المتفسّخ، وديكورات الغرونج المصان ببراعة التي فيها يدفّئ شباب بودابست المتحررون أحشاءهم كل مساء. تناولنا العشاء في إحداها، للتخفيف من الكحول الذي راح يندَسّ حتى في أصابع أقدامنا المتجمدة، ثم توجهنا بتوجّس وانفعال إلى حفل حمّامات ستشيني.

كان المكان مجنونًا، يجب الاعتراف بذلك فعلًا. ستشيني، أشهر منتجعات المياه المعدنية في بودابست، هو بناء فخم يشبه قصرًا من العصر الباروكي الجديد. كنا في الهواء الطلق، ودرجة الحرارة الخارجية تحت الصفر، أما المياه المعدنية فدرجتها نحو 38 درجة مئوية. كان لون الجدران الأمغر يتناقض مع الإضاءة الزرقاء للأحواض، والأبخرة الكثيفة المتصاعدة من الأحواض تخفف بياض التماثيل المكسوَّة بالثلج. وسط هذا الديكور، يرقص آلاف الشبان المخمورين وهم

يرتدون ملابس السباحة على موسيقى كهربائية صاخبة، ويقفزون على إيقاع إضاءات ليزرية مستقاة من أجواء نهاية العالم.

بدأتُ أنا أيضًا أتحرك - لم يكن لديَّ خيار، إذا كنتُ لا أريد الموتَ بردًا. في البداية بخجل، وعلى الحافة. رحتُ أراقب إدغار بطرف عيني. كان الضوء المتناوب من أجهزة الإسقاط الوامضة يعطيه هيئة تمثال روماني. التفتَ نحوي، وابتسم لي، وانحنى ليكلمني. قال «لن نبقى هكذا، ونحن نشاهد الحياة تمر من دوننا»، ربما أسأتُ الفهم. ربما هذه الجملة لم توجد. ربما تخيلتها. أمسك إدغار يدي وقادني إلى وسط الحشد.

رقصنا كطفلين، لساعات مديدة، حتى الإنهاك. اضطررتُ أن أواجه محاولات عديدة لجسّ جسدي... وفي كل واحدة منها، كنتُ أقفز، وأشتم، وأوبّخ الوقحين الذين كان يمكن أن أكون أمهم، وألتجئ إلى ذراعَيّ إدغار الذي كان يصورني، ويكاد يموت من الضحك.

كل هذه التجارب لم تعد تناسب عمرنا. ومع ذلك، كان هذا الانعتاق ممتعًا. وكان ممتعًا تنحية العقل جانبًا بضعَ لحظات. أدركتُ أنني بمجرد انقضاء سنواتي العشرين، قررتُ أنا نفسي أن أدخل إلى ما كنت أعتبره حياة راشدة. كنتُ قد نظرتُ بازدراء إلى هؤلاء الثلاثينيات المهووسات بحفلات الروك، واللاعبين الذين يكرسون ليالٍ بأكملها لألعابهم الإلكترونية، ومن يخصصون أوقات فراغهم لجمع «الإعجابات» على الشبكات الاجتماعية. كان الجميع مدمنين على أدرينالين أعوامهم الخمسة عشر. كان الجميع يحاولون أن يستنسخوا آثاره، ويسعون بكل ما في العالم من جدية ليجمعوا بين التافه والممتع. لعلهم محِقّون، في العمق.

في تلك الليلة، ساعدني ابني على إحياء صفحاتٍ من الشباب وتقليبها بسرعة كبيرة. في تلك الليلة، فهمتُ أن الحياة - الحقيقية،

تلك التي نتذكرها - ما هي إلا سلسلة لحظات من نعمة مَيعة الصبا. وأن طموح أي راشد لا يمكن أن يجعله أسعد من مراهق يعيش يومه دون أن يفكر في اليوم التالي.

عدنا في سيارة أجرة عامة، وأخذنا حقائبنا وتوجهنا مباشرة إلى المطار، ونحن لم نزل تحت تأثير الصدمة الحرارية والصوتية التي تحملناها منذ قليل.

كنا منهَكين، وابتسامة عالقة على شفاهنا.

مقتطف من مفكرة العجائب

تجاوز الحدود!!!

- *المشاركة في سباق الألوان والذهاب حتى النهاية!!* سباق بودابست يبدو مسليًا... خاصة لأنه يسمح بالمتابعة في ماراتون الحفلات الذي رأيته على قناة **الإم تي في**!!

- *ماراتون الحفلات، إذًا: احتساء أقداحٍ في نحو عشر حاناتٍ خَرِبَة وبعد ذلك قضاء ليلة بيضاء في الحفل المجنون في حمامات ستشيني المعدنية!!!* (*وكل هذا من دون تقيؤ من فضلك...*).

19

الأيام من 5 إلى 3

روح الفريق

مكتبة
t.me/soramnqraa

منذ بضعة أيام، أصبحنا فريقًا حقيقيًا. في المستشفى، هذا التجمّع غير المتجانس من أفراد تتراوح أعمارهم بين سن اثني عشر عامًا إلى ستين عامًا، والمستنفر على مدار الأربع والعشرين ساعة حول سرير ابني، سُمّي «فريق لويس». أجد دومًا صعوبة في الاعتراف بذلك علانيةً، لكن تقاسم عبء حياتي اليومية مع فريق لويس يشعرني الارتياح.

بالنسبة للجولة التالية - في باريس هذه المرة -، قررتُ أن أجنِّد إيزادورا. كان يجب توخّي الحذر لأن ما يريد لويس تحقيقه لم يكن سهلًا على الإطلاق. تمرَّنا على مشهد أم وابنتها مضطربتَيْن تمامًا. كان على إيزادورا أن تؤدي دورًا لا يتناسب وشخصيتها الحقيقية: فهي عادة هادئة، رصينة، بشوشة للغاية... وكان عليها أن تؤدي دورًا مقنعًا كمراهقة مزاجية، وأن تخاطبني مثل حوذي وتعبر عن إحباطها بنوبات بكاء. في الواقع راحت إيزا تقضي وقتًا ممتعًا. ومثَّلت ببراعة لدرجة أنها أخافت أباها. انخرطت إيزا في سورة غضب محموم حين أخبرها إدغار أنه لا يحمل معه 2 يورو اللذين طلبتهما منه لتشتري مجلتها المفضلة. خبطت الأرض بقدمها، واصطبغ وجهها باللون القرمزي وأخذت تنتحب. صفَّقتُ لأدائها، فحيّتني، وانفجرنا ضاحكتَيْن على مرأى من نظرات إدغار شبه المذهولة والموشّاة بالارتياح، الذي ظن فعلًا لأول وهلة أن ابنته فقدت صوابها.

بعد تحديد المشهد، ارتدينا ملابس السهرة وانطلقنا نحو حفل توزيع جوائز الموسيقا ميوزيك أواردز، الذي يقام في الرابع عشر من شهر شباط، يوم القديس فالنتين. حين دخلنا المجمّع، تقدمنا بخطى واثقة نحو مدخل الفنانين. وكما توقعنا، ثمة رجلان ضخمان يحرسانه. راحت إيزادورا تمضغ بوقاحة علكة وعيناها مستغرقتان في هاتفها. يبدو أنها استطابت هذا الدور القصير، وسيترتب على إدغار أن يأخذ حذره، بعد بضع سنوات...

كانت مجموعة هيجيموني أحد رعاة الحدث. لذلك بدوت لا مبالية عند مدخل المقصورات مع بطاقة التعريف الخاصة بي، التي لم تزل تدل أنني مديرة التسويق في الشركة. بطاقة تعريف عليها شعار ذهبي مؤثر. مثّلتُ دور المرأة الهستيرية المستجيرة والمذعورة، وأقسمتُ أنني نسيتُ بطاقة الاعتماد في سيارة الأجرة العامة، وألقيتُ كيفما اتفق أسماء أشخاص مهمّين مكلّفين بالتنظيم - كان ملف سيرتي الذاتية غنيًا. استمريتُ في هذا المشهد الهزلي نحو عشر دقائق مديدة، وإزاء رفض الحراس المشروع، قامرتُ بكل ما لديّ: ابنتي لهذا المساء. أخذت إيزادورا تصرخ، وتُشْهِد الحراس وهي تشرح لهم أنها، ليست فقط محرومة من رؤيتي دومًا بسبب مهنتي، ولكنني فوق ذلك، كلما أقسمتُ لها على القيام بأمر ما، أفسدته تمامًا وأخفقتُ في تنفيذه. وأنني وعدتها أن أصطحبها إلى مقصورات الممثلين وأن الوعد وعد. وفي أوج حماستها المسرحية، جلسَتْ على الأرض، وراحت تبكي بحرقة. اقتربتْ امرأة شابة تحمل شارة خاصة بالشخصيات الهامة، وتبادلتْ بضع كلمات مع إيزادورا، ثم خاطبت المشرفين وقالتْ لهم:»إنهما معي، دعوهما تدخلان». ربحنا.

حين دخلنا، شكرنا هذه المرأة الشابة الجميلة، التي عانقتْ إيزادورا وهي تسألها إن كان الأمر على ما يرام الآن. تأسفتْ لأنها ستتركنا هنا، لكن عليها أن تسرع وتجهِّز نفسها. عانقتني إيزا منتشية، وراحت تكيل

لي الشكر لأنني أتحتُ لها أن تعانق شيئًا من قبيل لولو، سيجن جنون رفيقاتها في المدرسة من الغيرة.

- أيّ لولو أتحتُ لكِ أن تعانقي؟

- لوان إميرا. حسنًا أفهم، أنتِ لا تعرفينها... إذًا لم تكوني تتابعين التطورات في العامين المنصرمين، وتقتصرين على الاستماع إلى ألبومات جو داسان على جهاز أسطواناتك، أليس كذلك؟

لم أرَ إيزا قط بمثل هذه الحالة من الغبطة. لم تفارقها ابتسامتها الجذابة في السهرة.

اجتزنا الكواليس. ثم توقفنا. بلغنا هدفنا. ونحن نحبس أنفاسنا، دفعنا بابًا عليه ورقة عادية ألصقت بشكل مائل تعلن بوقار «ميتر غيمس».

كان هناك، لكنه لم يكن وحده. نهض جفِلًا، واعترض طريقنا رجلان وامرأة وحاولوا دفعنا بعيدًا. نجحتْ إيزا في التسلل ولخَّصتْ خلال بضع ثوان نوايانا. لويس، الغيبوبة، المفكرة، مهمتنا، ومساعدته التي لا تقدَّر بثمن. حسنًا ووقاحتنا، أيضًا. لا أدري هل صدَّقَنا، لكن الرجل أخذ يضحك وقال موافق. رائع، غنيمة عظيمة، أسطورة الأساطير، صرحت إيزادورا أثناء الخروج. لم تزل غير مصدقة، لكنها تحمل في هاتفها دليلًا صوتيًا لا يُدحض: ارتجلتُ مقطعًا مع ميترغيمس. يمكنني أن أخبركم أنكم حين تسمعونني أخور بأغنية «كانت تجيب باسم بيلا...»، فربما هذا يساوي شيئًا، على حد تعبير أمي التهكمي.

***

في صباح اليوم التالي، اصطحبتُ إيزا معي إلى غرفة لويس. هذه أول مرة. فهي لم تره منذ الحادث. بالتأكيد مهَّدتُ لهذا اللقاء، وشرحتُ لها أنه نحف كثيرًا، وشَحُبَ، وأن قسماته ازدادت قسوة، وأنه موجود بين كل هذه الأنابيب، وكل هذه الأجهزة. كنتُ قد اعتدتُ رؤيته على هذه الحال، أما بالنسبة لقلب إيزا الصغير، فكان يصعب عليه تحمّل الواقع.

بكت بصمت لدقائق وهي تراقب لويس، وتمسك يده. قبّلته على خده. بالنسبة لي أيضًا، كان هذا المشهد قاسيًا. نجحتُ في احتواء انفعالي، لكنني لم أستطع منع نفسي عن التفكير بأن لويس قد لا يعيش أبدًا أي قصة حب. وأنه قد لا يعرف أبدًا هذه الحرارة في جوف البطن، وهذه الرغبة، وهذه الحاجة لاحتضان الآخر بأي ثمن.

ثم استعادت إيزا بالتدريج رباطة جأشها وصوتها وكلامها الطبيعي، وأخبرت لويس بسهرتنا، وقبلة لوان، والغناء مع ميتر-غيمس بلا موسيقا مصاحبة. أظنها أعادت على مسامعه الشريط الصوتي لحفلتي الخاصة الصغيرة عشرات المرات. لم يكن غنائي على درجة كبيرة من النشاز، على أي حال. لعلكِ أخطأتِ المهنة؟ قالت شارلوت التي انضمت إلينا في الغرفة.

هذه الجملة العفوية العابرة في ظاهرها هزّتني. لا، لم أكن أرغب في أن أصبح مغنيّة، لكنني أجل أخطأت المهنة. أو الأصح، أخطأتُ الحياة.

لم أعد أرغب في مواصلة مهنتي السابقة. لم أعد أرغب في الاستمرار بحياتي السابقة. وبينما كنتُ أحقق أحلام ابني بتسارع مضطرد، نسفتُ علاقتي بالآخرين، وحتى مفهوم مستقبلي.

لم أعد أرغب في الاحتفاظ من حياتي السابقة إلا بالأسس. هذه الدعائم التي لم تزل تسند إجمالًا بنائي الهش. أمي. التربية التي أنشأتني عليها. ثقافتي. قيَمي. ذكرياتي.

وأكثر من أي شيء آخر، ابني.

مقتطف من مفكرة العجائب

تجاوز الحدود!!! (التتمة ☺)

- مقابلة المغني ميتر غيمس أو المغني بلاك م... وعلى الأخص أداء أغنية ثنائية معه!!! (وإلا لن يكون ذلك تجاوزًا، أوه، بل سيكون سهلًا للغاية!)

اليوم 3

هذا يؤلم وهذا لا يهم

اليوم، كان صوت أمي غريبًا، حزينًا وفرحًا في آن معًا. هذا صوتها منذ أيام عديدة. كأنها غيَّرت صوتها، ماما. قبل ذلك، كان صوتها حزينًا فقط (إلا حين كانت تخبرني عن مغامرات مفكرتي، حينها كانت تستغرق في الضحك - يكاد يغشى عليها من الضحك، بالنسبة لمن تجاوزوا سن الأربعين عامًا).

ومنذ أن توقفت حواسي واقتصرت على الأذنين، أصبحتُ حساسًا إزاء التفاصيل، وتغيّر النبرات. لم أتصور قط كل ما كان يمكن فهمه عن طريق السماع فقط. في التلفاز، يبثّون برامج يزعمون فيها أنهم يحكمون على المطربين تبعًا لأصواتهم فقط، مع أن جميع الناس يعرفون أن هذا غير صحيح لأن المرشَّحين اختارهم أشخاص رأوهم قبل وصولهم إلى خشبة المسرح. النتيجة: لا يوجد بشعون كثر، فقط بعض البشعين ليظهروا أنهم أكثر صدقًا، لكنهم يُطْرَدون في المراحل التالية لأنهم بشعون. البشع يخسر دومًا في لحظة معيَّنة، هذه هي القاعدة. ولو كنتُ أنا في لجنة التحكيم، لجعلتُ البشعين يفوزون، لأنني فهمتُ مدى أهمية الاستماع إلى صوت الناس من دون أن تلوِّثه الصورة. حين نصغي بعناية إلى شخص، وحين نركز انتباهنا جيدًا، سيكون الأمر كما لو أننا نراه. بل وحتى أفضل: نسمع ما يقوله الشخص، وأيضًا ما لا يقوله. أنا، أصغي إلى الصمت والتردد والكلمات المنتقاة، وتلك التي

أفلتت وكنا نريد كبحها، واللحن، والمزاج، والأنفاس. لا أفعل إلا هذا. أفكّ الرموز، وأفهم الأصوات.

ثمة أشياء في صوت أمي يجب فهمها خلال الأيام الأخيرة. خلال الأيام الثلاثة الأخيرة، على وجه الدقة. ثلاثة أمور لم تقلها لي أمي لكنني فهمتها مع ذلك.

الأمر الأول، هو أن أمي معجبة بإدغار، أنا واثق من ذلك. وهذا أيضًا شيء جديد. فأنا لم أسمع أمي قط تتحدث عن شخص بمثل هذه الصفات الإيجابية. ولا مناص من القول إن الغيرة كانت تنهشني. طفقَتْ تحدثني طوال الوقت عما فعلته مع إدغار أو - الأسوأ أيضًا، غيرة تنهشني نهشًا موجعًا - مع إيزا. منذ أيام عديدة، أدْرَجتهما في مراحل من مفكرة أعاجيبي. في البداية، جعلني هذا مريضًا. وشعرتُ أن إدغار وإيزا أخذا مكاني في قلب أمي. لم أزل حتى الآن أشعر بالغيرة، وليس بيدي حيلة. لكنني أحب إدغار كثيرًا وأعبد إيزا، وبالتالي أقول في سرّي إنه حتى لو جرى استبدالي، فالأجدر أن يحل مكاني أفضل لاعبَيْن في البطولة. لذلك أصغي إلى أمي تروي لي أحلامي، وتعيش حياتي بدلًا مني مع أصدقائها الجدد. يؤلمني ألّا أكون بينهم، ولكنني أستدرك على الفور أن هذا مريح! أغرقتْ أمي في الضحك وهي تقلِّب الصفحات وتفعل ما هو مكتوب في مفكرتي. ونجحَتْ دومًا أن تجعلني أنفجر بالضحك، وأن ترفع معنوياتي حين تقصّ عليّ مغامراتها. إنني واثق أن هذا يفيدني، ويثيرني في كل هذا الجمود.

ولم تزل تؤثر بي مرارًا وتكرارًا.

حين ركضَتْ ما يشبه ماراثون الألوان في بودابست وحين نجحتْ في الوصول إلى النهاية، أذهلتني. أخبرتني أمي أنها لم تكن واثقة من قدرتها على الجري مثل هذه المسافة، وأن إدغار رافقها فعلًا ليساعدها، ويدرِّبها، ويدعمها ويعيدها إن أصابتها وعكة. قلتُ في سرّي إنه كان

بوسعها أن تختار شخصًا آخر، وحين سمعتُ ضحكات شارلوت وجدَّتي الخافتة قبل يوم من سفر أمي وإدغار إلى هنغاريا، أدركتُ أن هنالك شيء ما يحدث. آلمني ذلك بشدة. جعلني أشعر أن أمي قررت أن تواصل حياتها، ومن دوني. لأنني أعتقد أن ماما في نهاية المطاف قضت وقتًا ممتعًا في بودابست. وإدغار حملها، وحماها، هذا ما قالته بصوت متهدِّج قليلًا يشوبه إعجابٌ تخالطه السذاجة. نعم أنا أغار، سبق وأخبرتكم بذلك.

بعد فترة وجيزة، دخلت أمي إلى غرفتي بصحبة إيزا. وعلى الفور سرَّني أن تأتي إيزا لرؤيتي، مع أن نفسي حدثتني أن رؤيتها لي على هذه الحال، لا بد أن تكون قاتلًا فظيعًا للحب. بالأمس، ذهبت أمي إلى سهرة توزيع جوائز الموسيقا «ميوزيك أواردز» بصحبة إيزا. وكانت مصممة على تشطيب إحدى الخانات في مفكرتي التي كانت تبدو لي صعبة للغاية. ونجحت في ذلك. إنها مجنونة فعلًا، أمي. ضحكتُ، وبكيتُ، ووجدته أمرًا رائعًا أن تؤدي أغنية ثنائية مع ميتر غيمس لأنني أعرف مدى كره أمي لهذا النوع من الموسيقا، لكن مرة أخرى أيضًا كدتُ أموت من الغيرة لأن إيزا رافقت أمي.

بالتأكيد، ما أريده لأمي هو أن تواصل حياتها، وأن تستأنف لقاءاتها بالناس، لكنني أمقت في الوقت ذاته هذه الفكرة لأن هذا يعني أن أصبح أقل أهمية. سرعان ما سأصبح جزءًا من المشهد، لكن مركز عالم أمي سيكون في مكان آخر، مع إدغار، مع إيزا، مع جدتي، مع شارلوت. حين تتحدث أمي إلى شارلوت، تخاطبها الآن برفع الكلفة، فأفهم أن ثمة حياة تجري خارج المشفى، حياة تتقابلان فيها، وتتبادلان الأحاديث. أشعر أنهما أصبحتا رفيقتين. إنه لأمر غريب أن تصبحا رفيقتين لأنني أشعر فعلًا من خلال الصوت أن شارلوت أصغر سنًا من أمي بكثير. أصبح كل شيء غريبًا ولم يعد هنالك شيء غريبٌ. حين أفكر في ذلك، أشعر أن أمي استعادت شبابها، هي أيضًا. ولعل هذا ما تغيَّر في صوتها.

فعلتْ أمي كل ما دونتُه في مفكرتي تقريبًا. وأوشكت أن تنتهي وهذا ما يثير خوفي الشديد. ماذا سيحدث بعد ذلك؟ أحاول ألّا أفكر في هذا لكنني أفكر فيه فعلًا طوال الوقت، لأن الأمر الثاني الذي لم تقله أمي ولكنني أدركته مع ذلك، هو أن لديها مشاريع جديدة. تريد أن تبدأ حياتها من جديد، وتفكر بعمل جديد أيضًا، أنا متأكد من ذلك وهذا يدفعني إلى الجنون لأنني أعرف أن العمل، عند أمي، يشغل حيزًا كبيرًا. ومع جميع هؤلاء الناس وعمل جديد، أين موقعي أنا؟ في الطابق الرابع من مستشفى روبير دوبريه. لم أعد في حياتها.

الأمر الأخير الذي لم تقله أمي، وهو أشد ما يؤلمني، هو أن الأمل في استيقاظي أخذ يضعف ويتلاشى بالتدريج. فهمتُ مؤخرًا أنهم أعطوها تاريخًا. لا أعرف متى، لكنني أشعر أنه قريب جدًا. هذا، أشعر به حين تطلب مني أن أستمر في المقاومة، وأنني سأنجح في ذلك: لم تعد لديها القوة ذاتها التي كانت منذ بضعة أيام، وتبدو أحيانًا مستسلمة. في تلك اللحظات، تعترينى الرغبة بالصراخ إنني مستيقظ منذ زمن طويل (كما تقول جدتي أوديت) لكن الجميع لا يبالون، وأن هؤلاء الأطباء الفاسدين لا يستطيعون إدراك ذلك، رغم شهادتهم الثانوية وسنوات دراستهم الجامعية المديدة وأجهزتهم الحديثة. قرفٌ، هذا هو هذا المشفى. المعذرة على السوقية ولكنني لم أعد أستطيع أن أتحمل، أنا أيضًا. وأمي، ماذا تعتقد؟ أنا أيضًا، أشعر أنه إذا لم يبدأ جسدي في إرسال إشارات، سأستسلم قريبًا. وإذا لم أستسلم، فهذا من أجلها، تحديدًا! من أجل كل ما فعلته لي، من أجل كل ما تفعله، من أجلها فقط. لأنني أنا بدأتُ أخضع وأسير مع التيار. أدركتُ أنني شيء جامد، مزعج، لا يفيد شيئًا، ولا حتى للزينة - أنتَ تتحدث عن الزينة! أعرف أنني مزروع بالأنابيب في أنحاء جسدي، وأنهم يحشونني بعصيدة معدَّة مسبقًا في معدتي مباشرة، وأنهم يضعون لي حفاضات مثل الرضّع أو العجائز. أتخيل

نفسي، وأراها فأشعر بالغثيان. لا بد أن قُبحي أصبح مخيفًا، وليس لديَّ صوت لإقناع لجنة التحكيم: هيا انصرف، مرفوض، اذهب في حال سبيلك، المرشّح التالي. تقول لي أمي إنني وسيم. لا أصدقها، ولكن هذا يسرّني مع ذلك. وجدتي تقول لي إنني أعجوبتها، وإن غرفتي في المنزل جاهزة، وإن هناك الكثير من الهدايا التي لا تنتظر سواي.

وأنا، بدأتُ أقول في سري إنني سأموت بالتأكيد. حين فكرتُ بهذا لأول مرة، كان الأمر قاسيًا جدًا جدًا جدًا. بكيتُ في داخلي، بكاءً شديدًا، ولوقت طويل. يستحيل أن أعرف مقدار الزمن، ولكنه وقت طويل. ومنذ ذلك الحين، أفكر في الأمر كل يوم، لهذا بدأتُ أعتاد الفكرة. لعل ذلك سيكون مؤلمًا جدًا لأمي وجدتي، في الصميم. تأتيان كل يوم لزيارتي في المستشفى، وهذه ليست حياة. لذا أقول في سرّي إنني لو متُ، فلا بأس سيحزنهما الأمر في لحظته. لكن بعدها سيمرّ هذا وسيتحسن الحال. يمرّ الأمر دومًا. كان لطيفًا هذا الصغير لويس، ولكن من الأفضل وضع حد لحالته، لأن رؤيته على هذه الحال، تدمّر عائلته ببطء. وأنا لا أريد تدمير أمي. لا أريد تدمير جدتي. فهما لا تستحقان ذلك. حريٌّ بي لأجلهما أن أستسلم وأموت، هذا ما أكرره في سرّي كل يوم.

ومن جهة أخرى لا يسعني ذلك. لا أعرف السبب، لكنني لا أستطيع أن أتقبَّل أن الأمر انتهى، ثمة شيء في قرارة نفسي يدفعني للقول إنني لم أزل قادرًا على الإستيقاظ. في الحقيقة ليس شيئًا ما هو ما يدفعني لقول ذلك، وإنما شخصٌ ما. ماما. أرغب أن أراها ثانية. أن أضمها بين ذراعيَّ. ولو لمرة واحدة فقط، إنه أمر يستحق عناء القتال في سبيله. أود أن أشكرها. أن أقول لها إنني أحبها. أن أخبرها إنها أفضل أم في العالم. مرة واحدة فقط. حسنًا إذا أتيح لي ذلك أكثر من مرة فهذا أفضل أيضًا، هاه... وبعدها يمكنني أن أموت، إذا كان هذا مقدَّرًا. أعرف أقول الشيء ونقيضه، لكن افهموني، ضعوا أنفسكم مكاني. ماذا كنتم ستفعلون،

أنتم؟ الاستسلام أم الاستمرار؟ انا لا أفعل شيئًا سوى الإصغاء. ما من خيار، هذا هو المتوفر فقط في المتجر.

حين أصغي إلى أمي، حتى بصوتها الجديد، يبدو لي أنها ظلت دومًا ترغب أن أستيقظ. لذلك يجب أن أحاول مرة أخرى.

20

اليوم 3

إرثها

طلبتُ رؤية الدكتور بوغران في آخر النهار. كان متجهمًا، قسماته متعبة، ونظرته شاردة. ظننتُ لأول وهلة أنه يحاول التهرّب مني، لكنني كنتُ هناك وأنتظر الأخبار.

منذ بضعة أيام بدأتُ أشعر أن أمرًا ما يحدث في لويس. مع ذلك ظلت تخطيطات الدماغ الكهربائية عشوائية، لكنني كنتُ أرى إشارات لا يبدو أن الآخرين يرونها. أو على أية حال لا تُفسَّر بالطريقة ذاتها. مضت حتى الآن أسابيع عديدة ولويس يختلج بانتظام بتشنجات خفيفة، وببعض الحركات. ردود فعل انعكاسية لا إرادية، ليس ثمة شيء واع، ولا شيء متسق، ولا شيء منطقي. كنتُ متفقة مع التشخيص، وكيف لا أكون كذلك؟ لطالما رغبتُ أن أضفي معنىً على هذه التشنجات العابرة ليدٍ، لخدٍ، لقدمٍ، وعلى هذه الحشرجات الخفيفة. لكنها كانت تحدث في أي لحظة، وحتى أحيانًا أثناء تحليل دماغه... وظلت التحاليل تُظهر الفوضى ذاتها. ظلت الفوضى النظرية موجودة دومًا، ولكنني لاحظتُ تغيرات منذ بضعة أيام. تغيرات حقيقية. لم تكن شدة التشنجات هي نفسها في بعض الأحيان، أنا واثقة من ذلك. لاسيما - لاسيما - أنني لاحظتُ أن الحركات ازدادت عددًا وطالت مدتها حين كنتُ أحدثه. كأنه يحاول التواصل. لم يكن أحد في هذا المشفى اللعين يصغي إليّ.

أو بالأحرى كان الجميع يصغون إليّ، الجميع يعرفون الوضع. العد التنازلي. الأمل الذي يعيد تلافيف الدماغ، الذي يجعلنا نتصور استيقاظًا غير موجود. لذلك حين كنتُ أتحدث عن لويس، كانت النظرات تتغير، فأقرأ في عيون محدِّثيَّ هذه الشفقة، وهذه الأفكار الخفية: تكاد تفقد عقلها إضافة إلى فقدان ابنها، لا يمكننا أن نلومها... قضي الأمر تقريبًا على كل حال.

لكنني كنتُ واثقة مما أراه، ومما أشعر به. غريزة الأمومة. لم أستوعب قط ما تعنيه هاتان الكلمتان فعلًا. ومن الآن فصاعدًا صارت تؤثّر فيّ بدقة وواقعية. غريزة الأمومة، هي رؤية ما لا يستطيع الآخرون رؤيته، هي الإحساس في أعماق النفس بتقلبات الآخر. كنتُ أحس بلويس. كنتُ أحس بلويس ولويس يكلمني.

لذلك أردتُ رؤية الدكتور بوغران. وطفقتُ أقول في سري إنه سيصغي إليّ، وسيحاول فعل شيء ما. أصغى إليّ. بانتباه. تعابير وجهه جامدة. نظرته مستقيمة كنظرة الملاحين، نظرة من يعرفون وعليهم واجب إعادة التائهين إلى بر الأمان. كانت شارلوت معي. تدخّلت لصالحي، متذرّعة أنه لا يوجد أحد سواي يمضي وقتًا مديدًا بجانب لويس. وأنه إحصائيًا، إذا حدث أمر ما، فإنني أنا الأوفر حظًا في معرفته. وأنه يجب أخذ كلامي وملاحظاتي بعين الاعتبار.

أخبرني ألكسندر بوغران أنه يجب أن أستعد للأسوأ. وأن القلق يتفاقم، لأن الحالة مستقرة على نحو يدعو إلى اليأس. وأن الوقائع الطبية موجودة، وصارمة. وحتى يظهر حسن نيته ولأنه كان حسّاسًا لحجج شارلوت، أراد فعلًا أن يزيد من وتيرة التخطيط الكهربائي للدماغ في الأيام المتبقية، لكنه لا يشاطرني ملاحظاتي، وحماستي. في *الأيام المتبقية*. كان ألكسندر بوغران قد وجّه إليّ للتو طعنة خنجر لعينة. استنتجتُ أنه لم يصبح أبًا بعد - وأكدَت لي شارلوت ذلك. كيف سيدير

هذه الحالات حين سيكون بمقدوره أن يسقط أحاسيسه الشخصية المعاشة على مصيبة الآخرين؟ كيف سيتصرف حين يتطابق وجه طفله مع وجه طفل شاحب في الرمق الأخير؟

أعادتني شارلوت إلى منزلي. لم أكن أرغب في رؤية إدغار ولا إيزادورا.

أعرف أن ثمة شيئًا سيكون مع إدغار، في يوم ما. مثل بديهة تسكن في أعماق أحشائي. فاللحظات التي قضيناها معًا عُززت لديَّ هذا الشعور. لكن قلبي اليوم ليس مفتوحًا على أحدٍ سوى ابني. سيترتب عليه أن يتحلى بالصبر. أكد لي أنه سيكون كذلك. أرغب في تصديقه. لا أريد على أي حال أن أطرح هذا النوع من الأسئلة على نفسي، ليس الآن. لذلك تركته يتصرف، وتركته يرحل. عند عودتنا من إقامتنا في بودابست، في سيارة الأجرة التي كانت تقلنا إلى المطار، تبادلنا قبلة. بالأحرى مداعبة طاهرة وعفيفة. ليكن الأمر على هذا النحو الآن، لا يسعني أن أمنحك شيئًا آخر، قلتُ له في همسة. فأجابني وهو يمسك يدي، وأنا لا أنتظر شيئًا آخر، أمامنا متسَع من الوقت، اهتمي بلويس، وافعلي ما عليكِ فعله. لا تتأسفي على شيء.

كنا على بعد ثلاثة أيام من القرار، وكنتُ أحتاج إلى وجود أمي بجانبي. وأن أضمها بين ذراعيّ بقوة. لم نغرم أنا وأمي قط بالعواطف الجارفة، لكنني أعتقد أننا خلال الأسابيع الأخيرة تداركنا ما ينوف على العشر سنين. لم أعد أستطيع النوم من دونها. وصار وجودي وحيدة في غرفتي يرعبني، فأحتاج إلى الشعور بجسدها الدافئ قربي، وأشعر أنها تحتاج إلى ذلك هي أيضًا. تردد أمي على مسامعي كل يوم ما لم تقله لي إلا ما ندَر وأنا طفلة: إنها تحبني. أعتقد أنني أنا وأمي في كل هذه القصة نعيش ثورة داخلية كاملة. لماذا ترتب علينا انتظار مثل هذه المأساة حتى ندرك أهمية أن تهتم إحدانا بالأخرى؟ لماذا نضيّع كل هذه السنين في

كره بعضنا بسبب أشياء تافهة لا تحصى، مع أنه لم ينكسر أي شيء في الواقع؟ أهدرنا زمنًا مديدًا، وضيّعنا فرصًا كثيرة، وتخبطنا في فوضى عاطفية.

كنتُ أحتاج أمي لأواجه التجربة التي يفرضها لويس عليّ في اليوم التالي. قلبتُ صفحة مفكرة الأعاجيب. كانت الصفحة ما قبل الأخيرة. بعد ذلك تتبقى صفحة واحدة، وبعدها النهاية. مسحتُ دموعي التي تسيل من مآقي عينيّ.

لم يكن هنالك غير سطر واحدٍ. خفتُ منه، هذا السطر. تساءلتُ متى سيظهر، لكنني كنتُ أعرف أنه سيكون حاضرًا. منطقيًا على نحو مؤلم.

– أن أعرف من هو أبي. أن أراه، ولو لمرة واحدة فقط.

عشتُ قصة دامت قرابة العامين مع والد لويس. كانت قصتنا عادية، أدركُ ذلك بعد فوات الأوان. شعرتُ آنذاك أنني أعيش حكاية خرافية. حلم يقظة. ولذلك كان السقوط أقسى.

قابلتُ ماتيو في شهر أيار، قبل خمسة عشر عامًا. كنتُ أجلس إلى طاولة على شرفة مقهى، في ساحة الجمهورية. كان الطقس حارًا جدًا، لذلك استبدلتْ الباريسيات في النهاية بكنزاتهن الصوفية ببروتيلات رقيقة ونظارات شمسية فاخرة، وأظهر السياح أجمل هالات عرَقهم. جلس ماتيو إلى طاولة مجاورة، يمسك في إحدى يديه دليل باريس *لونلي بلانيت*، وفي الأخرى كأس بيرة. ليس ثمة هالة، وكانت هذه نقطة هامة. لاحظتُ ذلك على الفور. كان ماتيو يشعّ، وكان هكذا دومًا، وعلى الأرجح سيظل هكذا على الدوام. طويل. وَخَطَ الشيب صدغيه. رياضي. يشبه جورج كلوني في فيلم *المحيط الحادي عشر*. نظارات شمسية فاخرة، وقميص أبيض أكمامه طويلة مرفوعة – مهمة جدًا الأكمام الطويلة للقميص، فهي بالنسبة لي علامة على الذوق الرفيع. حركاته بطيئة حتى أثناء إمساك بيرته، يداه ناعمتان، وهو ليس

من النوع المدعوك. مثقف. في زهوة الأربعينات. كان عمري بالضبط أربعة وعشرين عامًا. وكان يمكن أن يكون أبي. كان هذا على الأرجح موطن قوته، في نظري أنا من عشت دومًا من دون أب. ولم أعترف بهذا الأوديب المتواري إلّا لاحقًا. حينذاك كان هذا في اللاوعي، على ما أعتقد.

كنتُ أقرأ كتابًا مملًا في علم الإدارة، ونظري مشدود بشكل لا يُقاوم إلى الطاولة المجاورة. وبعد بضع لحظات، فهمتُ أنه فهم. ابتسم لي، لاحظتُ الغمازة التي انحفرت على خده الأيمن. لويس له اليوم الغمازة نفسها، في غاية الروعة والجمال. سألني هل يمكنني مساعدته، فهو وحيد في باريس، ويريد نصائح لتناول العشاء مساءً. كان يعيش في لندن، وهو عابر طريق من أجل عمله. لمدة أسبوعين كاملين. لذلك فضَّل قضاء عطلة نهاية الأسبوع في فرنسا بدل الذهاب والإياب. ولم يندم على بقائه. ضحكتُ، فقد أكد وعيناه تومضان ببريق ماكر أنه كان يتحدث عن الطقس الرائع مقارنة بمطر لندن، طبعًا. طبعًا.

كان ماتيو يدير معرضًا فنيًا في نوتينغ هيل. يتحدث الفرنسية بلكنة لذيذة، وبمزاج فكاهي ساخر. مغرِق في بريطانيته. كيف أمكن لرجل مثله أن يظل عازبًا؟ لم يجد أميرته، هذا كل ما في الأمر. لكنه لم يفقد الأمل. باريس فعلًا عاصمة الحب، أليس كذلك؟ كان ماتيو يريد الصعود إلى برج إيفل، ليلًا. ويراقب المدينة تحت قدميه. أخبرته أنه سيكون هنالك زحام شديد، وأنه لن يستطيع دخول المكان قبل ساعات انتظار طويلة. كان يعرف أكثر مني. استطاع ماتيو أن يعثر في فترة وجيزة على طاولة في مطعم راقٍ يقع فوق نصب رمز باريس، وهو ما أتاح لنا مضاعفة جمهور الفضوليين. امتياز باهظ للغاية، ولكنه فائق الرومانسية.

وقعتُ في غرام ماتيو من السهرة الأولى. كنتُ قد بدأتُ العمل لدى شركة هيجيموني منذ فترة وجيزة. أول عمل لي. ووهبتُ نفسي جسدًا

وروحًا لرب عملي، دون أن أدري أن الأمر سيظل على حاله بعد خمسة عشر عامًا. عشنا واحدة من العلاقات المديدة الملتهبة للغاية. ثلاثة وعشرون شهرًا بالضبط. كنا نلتقي كل خمسة عشر يومًا. عطلتا نهاية أسبوع كاملتان في الشهر، واحدة في باريس، والأخرى في لندن بشكل عام. كان ماتيو يأتي فعلًا إلى باريس بشكل منتظم، وكان يعرف كل زاوية فيها عن ظهر قلب. أدركتُ لاحقًا أن دليل باريس *لونلي* بلانيت على طاولته كان فخًا هائلًا للباريسيات. وأنني لم أكن الأولى التي تسقط في شباكه.

كان يأتي في باريس إلى منزلي، لكنه كان يفضل أحيانًا أن يستأجر غرفة في فندق فاخر، فنقضي عطلة نهاية الأسبوع بكاملها في السرير، وفي المسبح الخاص أو المطعم. وحين يكون في باريس، يكون معي. مسألة مبدأ، يا جميلتي. كان ماتيو يناديني جميلتي. لم أشعر قط بمثل هذا الجمال إلا في أحضانه. ولم يكن ثمة شيء أجمل من أميرته. كنتُ طفلته المدلّلة. كنا نعيش السعادة المبهرة خلف الأبواب المغلقة.

في لندن، رغبتُ أن أقابل أصدقاءه. كان يقول لي إنني أكفيه، وأنه لن يضجر مني، ويريدني بكاملي له، له وحده فقط. كان يواعدني مساء يوم الجمعة في المعرض، حين لا يعود يوجد فيه أحد. كان الحب مع ماتيو لهوفًا، ومباغتًا، وأحيانًا على الأرض مباشرة بين الأعمال الفنية، وحقيبة سفري مرمية أرضًا. كان الحب مع ماتيو شغوفًا، مصنوعًا من عضات، ومن تأوهات اللذة واحتفاليات ما بعد الجماع. كان الحب مع ماتيو يثملني، استسغت قدح الشمبانيا الذي كنا نشربه عاريين بعد نشوة الجماع، وأنا أستمتع بالزلزلة وسط الأنقاض المعاصرة باهظة الثمن. لم أشعر بذلك تجاه أحد قط. ولم يشعر بذلك تجاهي أحد قط. كان يفعل ما بوسعه ليحافظ على ما هو استثنائي. أحيانًا كنا نذهب إلى ما يسميه بيته الصغير، شقة صغيرة في نوتينغ هيل لا أهمية لها، على بعد مرمى حجر من المعرض. لكن في لندن كما في باريس، كان ماتيو يحب اصطحابي

إلى فنادق مذهلة، علب مجوهرات حقيقية لحبنا - هذا هو التعبير الدقيق الذي يستخدمه. والأهم من ذلك، كنتُ أتفاجأ أحيانًا بالعثور في صندوق رسائلي على دعوة مكتوبة بشكل متقَن ومناسب، مرفقة بتذاكر طائرة إلى برشلونة، دبلن، البندقية، لشبونة. السحر المهجور للرومانسية النقية، البسيطة، المؤثرة. من الرجل الكامل - حتى لا أقول الغني - الذي يغمر توأم روحه بالاهتمام. كنتُ أقول له بشكل منتظم إن هذا ضرب من الجنون. فيجيبني دومًا أن المال خُلِقَ لإسعاد الناس الذين نحبهم، وإلا ما الفائدة منه؟

أردتُ أن أصدّق أن الحياة مع ماتيو، هي تلك.

في الحقيقة، كانت كل شيء إلا الحياة.

في الشهر الثالث والعشرين من علاقتنا، أصبحتُ حاملًا. لم يكن هذا متوقَّعًا. ذهبتُ لمراجعة طبيبي وشرحت له أنني لستُ على ما يرام. أشعرُ أنني متعبة طوال الوقت، أتقيأ أحيانًا، يصيبني الوهن في منتصف النهار. هل دورتي الشهرية منتظمة؟ لم تكن دورتي الشهرية منتظمة، ولم تأتني الدورة منذ بعض الوقت في الحقيقة، لكن لا شيء يدعو للقلق، ولم أرَ علاقة لذلك بهذا الأمر. وحتى لم تخطر الفكرة على بالي. حين أظهر اختبار الحمل شريطين أزرقين، أخذتُ أبكي بدموع سخية. لم أكن أريد هذا الطفل، ليس الآن، وليس بهذا الشكل. لقد وضعتُ خطتي في الحياة، وكنتُ أنتظر الطفل في سن الثلاثين تقريبًا، وليس قبل ذلك. قبل هذه السن سيكون الأمر سابقًا لأوانه. كان لوظيفتي عند هيجيموني الأولوية، ولم يزل لدي الكثير من الأشياء لأعيشها مع ماتيو. لم يكن ماتيو يريد طفلًا، كان في غاية الصراحة بهذا الشأن. ورحت أقول في سري دومًا إنني سأتمكن من إقناعه في الوقت المناسب. بالتأكيد ليس الآن.

لكن العصفور الصغير راح يبسط جناحيه في أحشائي شيئًا فشيئًا وأخذ يحتل مكانه. في البداية سرًا. ثم ازداد حضوره. وألفيت نفسي

وسط الاجتماعات أتخيل الطفل الذي سيولد. لم أخبر ماتيو بشيء، ولم أره طوال شهر. أردتُ أن أتخذ قراري وحدي، وأردتُ أيضًا تحاشي أن يكتشف انتفاخ بطني. وبعد خمسة أسابيع، حسمتُ خياري. باطنيًا. سأحتفظ بالطفل. قد تكون فتاة. سأدعوها لويز. سيحبنا ماتيو بجنون. سأنتقل إلى لندن. وسنكون سعداء.

أعددتُ لغزًا تسهل قراءته بلغتين، لأزفَّ الخبر السار إلى ماتيو. هذا سيزعزعه طبعًا، لكنني كنتُ واثقة أنه سيجن من الفرح، حين تمرّ الصدمة. استقليتُ قطار اليوروستار وقصدتُ المعرض مباشرة، في منتصف النهار، يوم الخميس. كانت أول مرة أوافي فيها ماتيو من دون أن أخبره. هو من كان يحب دومًا أن يفاجئني، هذه المرة هو مَنْ سيُفَاجَأ!

لم يكن ماتيو في المعرض. فتحت لي امرأة في الأربعينات من العمر. أنيقة، مرتبة، ترتدي تايور شانيل. باردة. ابتسامتها مجامِلة، تروزني من رأسي حتى أخمص قدميّ بشيء من الازدراء لملابسي وحذائي ذات العلامات التجارية الرخيصة. طلبتُ رؤية ماتيو، لم يكن هناك. من يطلبه؟ تيلما، صديقة.

- أرى... أجابت محدثتي بالإنكليزية.

ماذا كانت ترى بالضبط؟

- ماتيو لديه صديقات كثيرات، كما تعرفين، إنه رجل مشغول جدًا...

لم تعجبني إطلاقًا تلميحات هذه المرأة عن ماتيو، وفضلًا عن ذلك من هي؟ على حد علمي كان يدير دومًا هذا المعرض الفني وحده، باعتباره رجلًا كبيرًا ناضجًا. مدّتْ لي يدها مصافحة وقدمتْ نفسها، بإنكليزية لا عيب فيها بقدر ما هي متعجرفة.

- تشرفتُ بمعرفتك، تيلما. أنا ديبورا، أسدي خدمة لزوجي في إدارة المعرض حين يغيب. غالبًا ما يكون ماتيو مسافرًا. يحب باريس حبًا جمًا. والباريسيات. لستُ غيورة. أؤكد لك. العقد الذي وقّعناه منذ

سنين عديدة يجيز لي أنا أيضًا أن أعيش حياتي كما يحلو لي. بالمقابل، عوّدني على أفضل من هذا. أنتِ لستِ جميلة حقًا. طاب يومك، يا آنسة.

لم أرَ ماتيو ثانية قط. ولم أتصل به ثانية قط.

لم يعرف قط أنني حامل. ولم يرَ لويس قط.

حاول أن يتصل بي مرارًا وتكرارًا في الأسابيع التي تلت لقائي بزوجته. لم أعبأ به. ألَحّ. فأرسلتُ ذات يوم رسالة قصيرة: «ديبورا جميلة جمالًا فائقًا. وأنت حقير كبير. لا تحاول الاتصال بي ثانية».

كنتُ حاملًا في الشهر الثالث.

بعد أكثر من ثلاثة عشر عامًا، فتحتُ حاسوبي وكتبتُ اسمه على محرك البحث. لم أفعل هذا من قبل، رغم كل الأدوات المتاحة لي منذ أن بصق الإله غوغل معلوماته لكل عابر سبيل. كنتُ أمنع نفسي عن ذلك. كان يجب إبقاء الكتاب مغلقًا. لم تتأخر نتائج بحثي. لم يزل ماتيو يدير المعرض نفسه، وفي العنوان ذاته. كم أصبح عمره الآن؟ سبعة وخمسون، أو ثمانية وخمسون عامًا. نقرتُ على علامة التبويب «صور» وانتفضتُ. كان لويس صورة عن ماتيو، وكان الشبه بينهما مدهشًا. وأمام عينيّ المحملقتين ذهولًا، بعض صور افتتاح معارض حديثة تقريبًا. ماتيو، يحمل كأس شمبانيا بيده، وابتسامة عريضة تعلو وجهه. ماتيو، مكتوف الذراعين، ببزة أنيقة وشعر أشيب، متخذًا وضعية أمام أعمال فنانٍ نيويوركي مغمور. ماتيو، وسيمٌ دومًا. كم امرأة غير تيلما وقعت في الفخ؟ تصفّحت بواسطة الماوس. ثم رأيتها. واثقة من نفسها، ومن سلطتها. رغم كل ما فعله ماتيو في حياته، كانت ما تزال موجودة. ديبورا تبتسم، وذراع ماتيو حول خصرها.

اعترتني فجأة رغبة في التقيّؤ.

كنتُ حاملًا منذ ثلاثة عشر عامًا. وكان عليّ أن أواجه غثياني.

80، طريق بورتبيلو. يمكنني الذهاب إلى هناك مغمضة العينين.

21

اليوم 2

تذكير

استقليتُ أحد قطارات أوروستار الأولى في الصباح. كانت محطة دو نور مزدحمة. ألفيتُ نفسي مع مجموعة من تلاميذ المرحلة الإعدادية المتجهين إلى آلبيون[1] الغدّارة. على الأرجح في عمر لويس. أبديتُ في البداية ردة فعل سيدة برجوازية محاصرة: توجهتُ نحو المراقب، وقد عقدتُ العزم أن أحاول تبديل العربة. ولم ألبث أن غيرتُ رأيي. جلستُ في مكاني. كنتُ في «مربّع» مع ثلاثة صبية في الصف الأول الإعدادي من مدرسة أناتول فرانسً في لاروش سور يونناقشتهم في كرة القدم وبطاقات البوكيمون، وأذهلهم أنني أستطيع الخوض في مثل هذا الحديث. عرضتُ عليهم المقطع المصوَّر للقائي المرتجل مع ميتر غيمس وحظيتُ باحترامهم الأبدي. طلبوا توقيعي. لقد لمستُ النجم، وبدوره توقيعي يحظى بقيمة لا تقدَّر بثمن. لم أشعر بمرور الوقت. نسيتُ نفسي وهذا ما أراحني.

حين وصلتُ إلى محطة سان بانكراس، استقليتُ سيارة أجرة إلى نوتينغ هيل. لم أعطِ السائق العنوان الدقيق. كنتُ بحاجة إلى بضع دقائق

---

(1) Albion: الاسم القديم لبريطانيا العظمى. وهو في الميتولوجيا اليونانية، اسم ابن بوسيدون وأخ أطلس. أما عبارة ألبيون الغدارة Perfide Albion فهو استخدام فرنسي على سبيل السخرية.

من المشي، وإلى منفد لتخفيف الضغط. لم أكن أريد النزول أمام معرض ماتيو. أردتُ أن أراقب من الخارج قبل الدخول. ما كنتُ لأحتمل هجومًا جديدًا من ديبورا. فالهجوم الأخير يرجع تاريخه إلى ما قبل ثلاثة عشر عامًا، لكن ألمه لم يزل ممضًّا.

وقفتُ على الرصيف المقابل. وضعتُ نظارة شمسية، وحرصتُ على الظهور بتسريحة وهيئة وملابس مختلفة جذريًا عن تلك التي يعرفها ماتيو. أردتُ أن أحتفظ حتى اللحظة الأخيرة بإمكانية اختيار الدخول إلى هناك أو التراجع. لم أكن أريد أن أجازف بإعطائه زمام المبادرة، وأن يراني قبل أن أقرّر.

كان هناك. وحده. منكبًّا على هاتفه الذكي. وجدته عجوزًا. كان أيضًا أكبر سنًا، مقارنة بالصور التي اكتشفتها ليلة أمس على غوغل. أخذتُ شهيقًا، وزفيرًا. ثلاث مرات. ثم مرة أخرى أيضًا. دفعتُ الباب، فرنَّ جرس قديم. رفع ماتيو عينيه نحوي. تغير لونه. عرفني في الحال. همس اسمي، وببساطة... ماذا تفعلين هنا؟ ثم ابتسم. رجعتُ خمسة عشر عامًا إلى الوراء. لا، لم يكن عجوزًا إلى هذه الدرجة. لم يزل جذابًا. أخفضتُ عينيّ، وتساءلتُ للحظة هل تَشَكَّلَ لويس فوق هذه الأرض الباردة. داهمتني موجة ذكريات. مريرة. جميلة. حاضرة بشكل رهيب.

اهتزّ هاتفي المحمول. تركته يهتز. ليس الآن. إنني مشغولة. يجب أن أخبر والد ابني أن له ابنًا عمره ثلاثة عشر عامًا تقريبًا. مراهق رائع يشبهه شبهًا شديدًا. في غيبوبة. على مرمى أقل من يومين من قرار دراماتيكي محتمل.

ترددتُ. سرى عرق بارد في ظهري، وتسارع تنفسي. أدركتُ فجأة سادية الموقف العبثية. أي نوع من النساء كنتُ آنذاك؟ هل يمكنني فعلًا أن أصبَّ كل هذه القصة من دون مصفاة، اليوم؟ رغم كل ما ألحقه بي ماتيو من أذى، هل يمكنني أن أرد له الصاع صاعين وأخبره بهذين

الخبرين، بعد ثلاثة عشر عامًا مديدًا؟ ماذا أعرف عن حياته اليوم؟ كيف سيتحمل هذا؟ لعله مريضٌ بالقلب، وربما أقتله وأنا أرمي بكل هذا في وجهه؟ عندها هل سيسعني أن أنظر في وجه ابني؟

استندتُ على مقبض الباب الزجاجي. كان لويس يريد رؤية أبيه، لمرة واحدة فقط. وأنا رأيته لتوّي، لمرة واحدة فقط. أنجزتُ مهمتي. شعرتُ بالبرد، شعرتُ بالحر، أحسستُ بالوهن في ركبتيَّ لكنهما ظلتا متينتين. لم أنبس ببنت شفة. تخطيتُ العتبة بخطوات متقهقرة. تقدم ماتيو بضع خطوات. تراجعتُ، أكثر. وصلت قدماي إلى رصيف طريق بورتوبلو. ركضتُ. سفع رذاذ مطر خفيف وجهي ونظارتي الشمسية التي لم أنزعها. ناداني ماتيو مرات عدة في الشارع، وحاول اللحاق بي، لكنني كنتُ أعرف أنه لن يستطيع ترك المعرض من دون مراقبة، وأنه سيتراجع بسرعة.

اهتزّ هاتفي المحمول، مرة أخرى. ليس الآن، أنا مشغولة بالهروب من حياتي، مرة أخرى.

ركبتُ في النهاية حافلة وتركتها تحملني. كانت دموعي تسيل على وجنتيّ، والمطر يغمر زجاج هذه الحافلة ذات الطابقين الخالية بشكل غريب.

تركتُ هاتفي المحمول يهتز، ويهتز مرة أخرى.

وكلما اهتز، ازددتُ معرفة.

لم يحاول أحد أن يتصل بي بمثل هذا الإلحاح منذ أمد طويل. ليس هنالك سوى احتمال واحد، وسبب واحد ليجعل شخصًا يصمّم بهذه الطريقة على محاولة الوصول إليّ.

استمعتُ إلى آخر رسالة صوتية. كانت أمي. طلبت مني ألا أستمع إلى الرسائل السابقة، وأن أوافيها إلى المستشفى على جناح السرعة. كان صوتها متهدّجًا. وبكت. الرسائل السابقة. يوجد أربع رسائل سابقة.

ثلاث من أمي، وواحدة من رقم أعرفه حق المعرفة. قسم الإنعاش في مستشفى روبير دوبريه.

اتبعتُ تعاليم أمي. أغلقتُ هاتفي، ووضعته جانبًا.

أخرجتُ من حقيبتي مفكرة لويس. داعبتها. ضممتها إلى قلبي المحطَّم. قلبتُ صفحاتها واحدة واحدة، ببطء. حتى الصفحة الأخيرة. قرأتُ ما كان ابني يطلب مني القيام به. انهمر المطر مدرارًا. لم أستطع كبح الكلمات التي تشكلت لوحدها في ذهني. الصفحة الأخيرة. الرغبات الأخيرة.

نهضتُ. تركتُ هاتفي لامرأة شابة، جالسة بقربي. شكرتني، متشكّكةً. ثم نزلتُ.

22

اليوم 1

التجنّب

لم أتصل بأمي. ولم أتصل بالمشفى.

ما دام الخبر لم يسقط كالصاعقة، ولم يعلَن رسميًا بشكل مخيف، فهذا يعني أن لويس على قيد الحياة. قررتُ أن أفعل ما أعرف أنني أجيد فعله: أن أتجنَّب.

أدركُ بعد اليوم بوضوح مأساوي أنني كنتُ دومًا ملكة التجنب والتلافي. حين يصبح موقفٌ ما حرجًا، أميل بشكل طبيعي إلى الهروب. هذه ردة فعلي العفوية. طريقتي في حماية نفسي من الزوابع والعواصف والأعاصير. وكلما اشتدت الريح، ازدادت ضرورة الانسحاب. أحتاج إلى ملجأ مؤقت، وأن أُفَوِّتَ الرياح، وأحتويها، وأستعد لمواجهتها. لا يمكنني أن أبحر في الطقس العاصف. يجب أن تنخفض ذروة الموجة العاتية درجة. شعرتُ دومًا بالذعر من ترك الآخرين يقرأون مشاعري، خاصة حين لا أعود أسيطر عليها. لذلك أتجنب وأتفادى. تجنّبتُ ماتيو منذ ثلاثة عشر عامًا، برسالة هاتفية قصيرة بسيطة. وتجنبتُ ماتيو منذ بضع ساعات، حتى لا أستسلم للغرق. تجنبتُ أمي، كل هذه السنين. تجنبتُ حياتي، وأحلامي الخاصة وأنا أعيش أحلام لويس.

في آخر رمق من نهاية عد تنازلي، تجنبتُ موت ابني وأنا أختلق مستقبلًا.

التجنب أجمل من الحقيقة بكثير.

أردتُ أن أحتفل بهذه اللحظات الأخيرة من التجاهل السامي، وأن أمنح نفسي ليلة أملٍ جميلة ونقية. أردتُ مكانًا جديدًا واستثنائيًا. قرأتُ أنه يوجد فندق في ناطحة سحاب جديدة رائدة في لندن، **ذا شارد**. اتسمت المراحل العظيمة من حياتي دومًا بإطلالات خلّابة. برج إيفل في لقائي مع ماتيو. فندق طوكيو المذهل، للبدء بمفكرة أعاجيب ابني. برج على شكل شوكة عظيمة سيكون رائعًا لإنهاء الأمر. حجزتُ غرفة ملكية. ووضعتُ لندن تحت قدميَّ.

طلبتُ زجاجة نبيذ فرنسي، نبيذ بروفانس. هناك حيث بدأت قصة عائلتي. جلستُ في مكتب جناحي العجيب، وعكفتُ على مهمتي العجيبة. كانت التعليمات الأخيرة التي خربشها لويس على مفكرة أعاجيبه بسيطة الصياغة وكذلك مؤلمة وتنفيذها معقَّد. خاصة في هذه اللحظة من حياتي. خاصة في هذه اللحظة من حياته. استغرق ذلك مني الليل بطوله.

تجنَّبتُ موت ابني وأنا أتملى الأضواء. بسطتُ حياتي المستقبلية على ورق أبيض في قمة فندق لندني فخم، وأدرجتُ لويس فيها. بعنف وجنون. للمرة الأخيرة.

تذكرتُ أشياء جميلة. اختلقتُ مسَرات للمستقبل. اندفعتُ نحو المجهول بلا حماية، ضحكتُ، وبكيتُ. تساءلتُ أي امرأة أرغب أن أكون. وما أريد أن أصبح عليه، أنا، تيلما. وأي أثر أريد ان أتركه على هذا الكوكب. أصغيتُ إلى نفسي. تساءلتُ عما من شأنه أن يسعدني. يجعلني سعيدة فعلًا. تناسيتُ كل ما وجَّه خياراتي حتى الآن. تناسيتُ ما يمكن للمجتمع أن ينتظره مني. تناسيتُ ما قد ينتظره الآخرون مني. تصورتُ ذلك. وكتبته. رحتُ أعرّي نفسي، وأواجه نفسي وحدي. لأول مرة في حياتي. في تلك الليلة حررتُ مفكرة أعاجيبي أنا. على الشكل

الذي فرضه لويس: شكل رسالة. ألقيتُ نفسي نحو مستقبل حالم. قد لا يوجد أبدًا. وربما يكون موجودًا. كانت تلك الليلة ذات كثافة نادرة.

في الصباح الباكر، رفعتُ رأسي. واستجمعتُ أفكاري.

أتجنَّب، لكنني أعود دومًا. حين أستردّ ما يكفي من القوة والشجاعة، أنتصبُ، أواجه، أعضّ، وأقاتل.

أخذتُ حمامًا سريعًا، ارتديتُ ملابس ليلة أمس، واستقليتُ سيارة أجرة إلى محطة سان بانكراس. حان الوقت لأتحدّى العاصفة.

قبل أن أستقل القطار، اشتريتُ آلة تصوير فورية من متجر وي اتش سميث - كاميرا تصوير انتشرت منذ عشرين عامًا، وصارت اليوم قديمة جدًا. أخرجتُ من محفظتي صورةً أحتفظ بها دومًا معي. في هذه الصورة ذات الألوان الباهتة، كان عمر لويس عامين، وجهه مغطى بالشوكولا ويقهقه ضاحكًا. إنها صورة ابني المفضَّلة لدي. رفعتُ الكاميرا نحو السماء، وضعتُ صورة لويس على خدي، ابتسمتُ والتقطتُ صورة سِلفي.

أول صورة من سلسلة ثلاثة آلاف وستمئة وخمسين صورة. فكرة سديدة لأبدأ آخر يوم، يا بني.

مقتطف من مفكرة الأعاجيب

بعد 10 سنوات...

- كتابة رسالة إلى شخص سأصيره بعد عشرة أعوام، وأنا أتخيل ماذا ستشبه حياتي... وفتحها وقراءتها بعد عشرة أعوام بالضبط - على سبيل التسلية!!

- التقاط صورة لي كل يوم، ثم صناعة فيلم - ممنتج عن تطوّري: عشرة أعوام في دقيقة!!

23

ذاك اليوم

اتجهتُ مباشرة إلى مشفى روبير دوبريه، دون أن أخبر أحدًا بقدومي. من محطة دو نور، يمكنني أن أكون هناك في غضون عشرين دقيقة.

خلال مسافة الطريق، احتضنتُ بقوة وبالتناوب المغلف الذي يحتوي كتاباتي في الليل ومفكرة أعاجيب لويس. شعرتُ بهبّات ساخنة. كنتُ في حالة إجهاد لا يمكن وصفها.

كنتُ قد مررتُ بمراحل من التفاؤل في تلك الليلة اللندنية. وماذا لو أسأتُ تفسير كلمات أمي، ونبرتها الخطيرة وصوتها المتهدج؟ هل كانت تستطيع أن تبكي من الفرح؟ أجل بالتأكيد، كانت تستطيع. لكن في هذه الحالة، لماذا لم تقل في رسالتها فقط إن لويس استيقظ؟ حين يكون لدى المرء خبر سارّ يزفّه، فإنه لا يماطل. يترك رسالة واضحة لا لبس فيها.

أجل لكنها تركت ثلاث رسائل أخرى سابقة، لم أستمع لها.

أجل لكن المشفى اتصل أيضًا، وأمي أمرتني ألا أستمع إلى الرسائل.

أجل لكن، أجل لكن... الأمل. هذا الأمل اللعين. أملٌ لا يترك فريسته أبدًا. كنتُ ضحيته الراضية منذ أسابيع مديدة، مديدة للغاية.

دلفتُ إلى الممر المعتم في الطابق الرابع من المشفى. حيّتني الممرضات الحاضرات، فقد عرفنني. أسرعتُ الخطى. الآن وقد أصبحتُ هنا يجب أن أرى ابني في الحال. أمسكتني إحداهن، ووقفت أمامي وقالت لي ببساطة:

– انتظري لحظة قبل أن تدخلي من فضلك. هل تحدثتِ إلى الدكتور بوغران هاتفيًا؟

كانت تسدّ عليَّ المدخل إلى عتبة الرواق. حدّقتُ بها، محتارة. أخبرتها أنني لم أتحدث إلى الدكتور بوغران، وأنني بطبيعة الحال سأدخل غرفة لويس، فورًا. وصلت شارلوت راكضةً وأمسكت بذراعي.

– تيلما، انتظري. يجب أن أتحدث إليكِ أولًا.

شعرتُ بالهلع يجتاحني. يجب أن أعرف. الآن. حررتُ ذراعي وهرعتُ نحو غرفة لويس.

فتحتُ الباب.

اندفعتُ نحو السرير.

وعندها، رأيتُ.

24

عيناه

رأيتُ عينيه.

كانتا مفتوحتين.

أخذتُ أبكي.

ارتميتُ عليه. احتضنته، ضممته، وقبّلته.

في البداية لم يبدِ أي ردة فعل.

ثم رفع يده اليمنى نحوي، وحاول أن ينطق شيئًا ما.

أخذتُ أضحك ضحكًا مجنونًا، ضحكًا عصبيًا يميز من ينهارون. من يفقدون السيطرة على أعصابهم فجأة. من يتخلون عن متاريسهم. اغرورقت عيناي بالدموع ولم أعد أراه تقريبًا. أعتقد أن الشعور الذي داهمني في هذه اللحظة كان بقوة الشعور الذي داهمني عند ولادته. لا، بل أقوى. كنتُ أوشك أن أشهد ولادة ثانية لطفلي. عيناه مفتوحتان، يحرك يده وذراعه، ويحاول الكلام. كان حيًا. كان لويس حيًا. لقد نجح. ونجحتُ أنا أيضًا. ونجحنا. سيكون بوسعنا أن نستمر معًا. أن نكون سعداء معًا. ودومًا.

كان أجمل يوم في حياتي، على ما أعتقد. قد يبدو سخفًا أن أقول شيئًا كهذا، ولكن يا له من حقيقي. كم كان يومًا جميلًا. كم كان جميلًا. كم كنتُ فخورة بلويس. حاول لويس أن يتكلم لكنني لم أفهم. سيأتي هذا لاحقًا. أمامنا العمر بطوله من أجل هذا. كلّمته، أنا أيضًا. إن كان ثمة درس تعلمته، فهو أنه يجب التعبير عما نشعر به. دومًا.

- حبيبي. يا لسعادتي. أنا موجودة. أصغي إليك. أحبك. إنك رائع. ما أجملك، يا لويسي...

ابتعدتُ بخفة لأتأمله.

انتظرتُ قليلًا فتجمَّد وجهه.

عندها، رأيتُ.

عينيه.

تراجعتُ خطوة.

ثمة رعب في عينيه.

حاول ابني الكلام من جديد.

وهذه المرة فهمتُ. فهمتُ ما كان يحاول قوله.

فهمتُ اليأس في عينيه السوداوين.

فهمتُ كلمات شارلوت، لهفتها للتحدث إليّ *قبل* أن أدخل هذه الغرفة.

بني، حبيبي، مليكي.

كان لويس قد نطق للتو بصعوبة بالغة كلمتين صغيرتين اخترقتا قلبي:

- من... أنتِ؟

مكتبة
t.me/soramnqraa

25

أحياء

استدرتُ. اقتربَت أمي واحتضنتني. كانت تبكي. وتردّد... وتكرّر أن لويس حي.

– إنه حي. لقد نجحتِ. إن عاد إلى الحياة فهذا بفضلك، تأكدي من ذلك. سيتذكر. لم تدَعي لنا مجالًا لنشرح لكِ الأمر من قبل، رأسكِ عنيد كالبغل. الكلاب لا تنجب قططًا... أنا أيضًا ركضتُ في الغرفة مساء البارحة وتعرّضتُ لتأنيب شديد من كل المشفى. لا بد من التأنّي واللطف، لكنه سيتذكر.

لم أعد أفهم شيئًا. لماذا تركتْ لي رسالة تطلب مني فيها ألّا أستمع إلى الرسائل السابقة؟

– لأنه كان يجب أن ترجعي يا هريرتي، مضى زمن مديد والجميع يحاولون الوصول إليك ليزفّوا الخبر... في لحظة معينة يجب أن نضع حدًا، ونوقف التحايل ونتصرف. ومن جهة أخرى كيف كان لي أن أعرف أنكِ ستتبعين نصيحة واحدة من نصائحي، أنتِ من لا تتصرفين دومًا ألّا من رأسك؟ آسفة أنا تخبّطتُ أيضًا...

نظرتُ إليها وابتسمتُ. لم يكن هنالك سوى أمي من تستخدم فعل تخبط في لحظة كهذه. رفعتُ رأسي وواجهتُ نظرة شارلوت. سألتها هل ما قالته أمي منذ قليل صحيحٌ، هل سيتذكر لويس؟

– الثقة تسود حسبما أرى... ردت ماما، الأمر الذي أضحكنا لفترة مديدة.

عرفتْ أمي دومًا كيف تقلل من شأن أخطر المواقف، هذه موهبة حقيقية لديها. لطالما تمنيتُ أن أحظى بالموهبة ذاتها.

تحدثت شارلوت بهدوء. احتضنتني هي أيضًا. كانت تفوح برائحة زكية. طرحتُ السؤال الذي يحرق شفتيّ: هل سيتذكرني لويس... أنا؟

أجابتني أنني يجب أن أرى الدكتور بوغران، وأنه سيشرح لي كل شيء. وأنه لا يمكن أن نعرف هل سيتذكر لويس، وإذا تذكر فلا ندري ما سيتذكر، ومن. يختلف تطور الحالة بعد الغيبوبة اختلافًا كبيرًا من شخص لآخر. وأن ما نعيشه الآن يعتبر استثنائيًا. قبل أن يفتح عينيه، لم يعطِ لويس أي علامة سريرية ملموسة على الاستيقاظ. حدث ذلك فجأة. والآن بعد بضع ساعات، أحرز تقدمًا مذهلًا. سنستغرق وقتًا قبل أن نعرف بدقة أي وظائف جسدية ستعود إلى حالتها الأصلية. للطب حدود، ومن العسير جدًا التكهن. لكن يجب أن نتمسك بالأمل. كانت أمي محقّة في تفاؤلها. كان واضحًا أن دماغه يعمل. وأنه يحاول الكلام. وأنه يحرك أعضاءه. كانت هذه خطوات جبارة.

أكدت لي شارلوت أيضًا أنه يمكنني أن أفخر بما فعلته لأجله. يضاف إلى ذلك أن عددًا من أهالي الأطفال نزلاء المشفى بدأوا يقلدونني. قلتُ لها إنه يجب ألّا تبالغ، لكنها كانت جادة. حتى من دون مفكرة أعاجيب، راح بعض الأهالي يسألون أبناءهم عن أهم أحلامهم، ويحققونها. غالبًا ما يكون للأطفال أحلام سهلة، ويمكن تحقيقها بلا تعقيدات. الفرح الذي أثارته الأسئلة والإنجازات الجديدة انتشر في أنحاء المشفى. بالتأكيد قد لا تنتهي كل هذه المغامرات نهاية سعيدة، لكنها تشكل داعمًا قويًا للروح المعنوية. إنها تحقن جرعات من السعادة والأمل والحياة في كائنات مكرَّسة لمكافحة هذه الأمراض البشعة.

– لقد قدمتِ لهم فائدة عظيمة، يا تيلما، تابعت شارلوت. أصبحتِ مَثَلًا بالنسبة لهم.

– أنا؟ مثَل؟ هذه فعلًا أول مرة...

– لا تقللي من قيمتك يا ابنتي، تدخلت أمي. انظري إلى الأمور نظرة إيجابية، أيتها النكدية! فعلتِ شيئًا استثنائيًا لصغيرك، وصرت ملهمة لأهالي الآخرين، تقبلي الأمر دون منغّصات. استمتعي وتذوَّقي هذه المرحلة العظيمة التي جعلتِ لويس يتخطاها لتوّك. أعرف، من قبل لم تكوني تحسنين التصرف، ولا أن تأخذي وقتك، ولا أن تستمتعي. لكن ذلك كان سابقًا. إنه حي أيتها النقاقة. نحن جميعًا أحياء، ونحن معًا.

كانت أمي محقّة. كدأبها دومًا. كانت كلماتها تتصادى مع كلمات أخرى. كلماتٍ دَوَّنْتُها على الورق في الليلة السابقة.

لقد أصابت كبد الحقيقة.

تابعتُ استعراضي غرفة الأعاجيب التي لن أنساها أبدًا. هذه الغرفة المسرّعة للعواطف. هذه الغرفة التي تباعًا حطمتني وبلبلتني وزعزعتني وأثارتني وهدأتني وأعلت من شأني وغيّرتني. هذه الغرفة التي سيظل كل سنتيمتر مربع فيها مطبوعًا على شبكية عيني.

جالت عيناي الجدران، واستقرت على صورة لي بسروال قصير وحذاء بمسامير، محاطة بإيزا وإدغار. كنتُ أعرف أنه يجب عليهما ألّا يبتعدا، وأنهما سيكونان هنا قريبًا. كل هذه الحفاوة من حولي، وكل هؤلاء الأشخاص الذين كنتُ مهمةً لهم، كل ذلك كان شيئًا جديدًا. تعلمتُ من مسار هذه القصة قوة الوسط المحيط، ومَنْ نسمّيهم الأقارب ومن نبتعد عنهم أغلب الأحيان وبسرعة كبيرة. هل يشعرون هم أيضًا بما أشعر به في هذه اللحظة بالذات؟ بهذه السعادة الغريبة والصغيرة التي تطل برأسها حذرة وسط هذه الغرفة اللاشخصية والباردة؟

أخذتُ أبكي من جديد.

فرَحًا ونشوةً إزاء هذا المجهول الذي ينفتح أمامي. فرحًا على الأخص. كان لويس حيًا. كان كذلك.

اقتربتُ منه. داعبتُ خدّه، وهمستُ له ألّا يخاف. وأنني أمه. وأنني سأظل أمه دومًا، مهما حدث. وأنني أحبه. وأننا نحبه. وأنه من الطبيعي ألا يتذكرنا اليوم. وأنني لا ألومه على ذلك. وأنني لن ألومه أبدًا. وأنني كنتُ في قمة السعادة.

إن الغد سيكون مغامرة أخرى. إن كل يوم سيحمل نصيبه من المفاجآت، والاكتشافات. إن ذلك سيكون لنا جميعًا فرصة جديدة، انطلاقة جديدة، إمكانية لتجديد أنفسنا، وبناء شيء أمتن أيضًا.

إن عليه أن يواصل كفاحه. إن الطريق سيكون طويلًا، لكن بوسعه الاعتماد عليّ. الاعتماد علينا جميعًا. وسأكون موجودة لأدعمه ليل نهار. في مواجهة الريح والأمواج العاتية.

إنه سيكون هناك ضحك. حب. دموع. صرخات. كرة قدم. كاريوكي. سهرات صاخبة، ونصف ماراثونات وسباقات تتابع.

فرح، أيضًا. وسعادة، دومًا.

إنه سيتذكر.

إنه إذا لم يتذكر الماضي، فلا بأس سنخلق ذكريات جديدة، هذا كل شيء.

خلتُ أنني سمعتُ أمي.

سمعتُ أمًا. كانت أنا.

- أحبكَ، يا لويس.

نظرَ إليّ.

أظنه ابتسمَ لي.

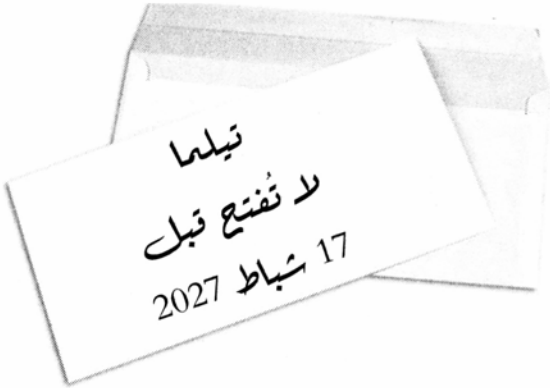

عزيزتي تيلما،

حين تقرأين هذه الرسالة، سيكون عمركِ أكبر بعشر سنوات مما هو عليه اليوم. إنك تقاربين الخمسين. لا تزالين على قيد الحياة، رغم كل تجاوزاتك، أهنئكِ، فهذا لم يكن مضمونًا...

الطقس جميل هذا الصباح. سماءٌ شتوية كما تحبّين. أصبح شتاء 2017 مجرد حلم. حين تتحدثين عن تلك المرحلة العصيبة، ستستطيعان أنتِ ولويس أن تضحكا منها. لم تنسياها، بالتأكيد. الذكريات سليمة. حية. صقلها الزمن، ومحت عقولكم الألم بالتدريج، وخَفَّتْ حدة الملامح، واستولى الجمال على المكان. يشاهد لويس غالبًا الأفلام التي صورتها مع أمك في تلك الفترة. يضحك دومًا حين يراكما تغنّيان لجوني هوليداي في طوكيو. وخاصة - خاصة - حين تختلط هذه الصور الآن بصور أخرى: الصور التي التقطتِها بعد ذلك. حين

عشتما مرة أخرى مغامرات مفكرة لويس المبهجة، معًا. كم كان ذلك قويًا.

الطقس جميل هذا الصباح. استيقظتِ لتوك وتراقبين الأشجار من النافذة. لأن ثمة أشجارًا، هناك حيث تعيشين، في بروفانس. إنها عارية لكن الربيع يقترب بخطى حثيثة، وهنا لا يكون الطقس باردًا فعلًا أبدًا. حديقة المنزل شاسعة، وأنتِ وإدغار لم تقلّما بعد كل الأغصان. أمامكما متسع من الوقت. أمامكما كل الوقت. ها هو إدغار واقف، ترينه في البعيد. إدغار يحب أن ينهض باكرًا، أبكر منكِ بوقت مديد. هذه هي الفترة التي يفضّلها من النهار. يستقر هناك في الأسفل قرب البحيرة، وحده، ويرسم. تحبين مراقبته يرسم، يلوّن، ينحت. أحيانًا تجلسين ليرسمك. يتمتع إدغار بمواهب كثيرة.

الطقس جميل هذا الصباح. تنزلين الدرج وتصلين إلى القاعة الكبيرة. ماما موجودة هنا الآن، منهمكة في إعداد الفطور. تبتسم لكِ، وتسألكِ هل نمتِ نومًا هانئًا، وتناديكِ هريرتها الدافئة، كدأبها دومًا. تبتسمين لها، تقبلينها، وتحتضنيها بين ذراعيك. إنه طقسكم الصباحي. أصبحتما الثنائي أم وابنة الأشد فعالية في العالم. من كان يصدّق ذلك؟ تقولين لها إنك ستساعدينها، وإنه سيكون هناك أناس كثر هذا الصباح، وإنه يجب تجنب الخمول. تجيبكِ ضاحكة إنها لم تنتظركِ حتى تبدأ العمل. تشمّرين عن ساعديك وتبدأين في إعداد الطاولة الخشبية الطويلة الصلبة.

الطقس جميل هذا الصباح. تلقيتِ البارحة رسالة إلكترونية من لويس، سيصل في غضون بضع ساعات. يتابع لويس دراسة الطب. حفَزته إقامته في المشفى على هذه الدراسة. وجد طريقه. عبر مسار غير تقليدي بطبيعة الحال. كنتِ تفضّلين أن يقابل مستشار إرشاد على قضاء أسابيع في الغيبوبة. لكن ها هي النتيجة: قرر لويس أن يصبح

طبيب أطفال. حاليًا يجري لويس تدريبًا في مشفى غريت أورموند ستريت للأطفال، في لندن. يعيش عند ماتيو، لبضعة أشهر. ما دام الاثنان قد التقيا، أصبح هذا الأمر بديهيًا. لقد لامكِ ماتيو لأنكِ أخفيتِ عنه وجود لويس. ثم طغت موجة السعادة العاتية التي أثارها هذا الابن غير المتوقع.

الطقس جميل هذا الصباح. البارحة، انضم لويس إلى إيزادورا في منزلهم، في باريس. سيصلان معًا، في القطار ذاته. حين يحضران، يظن جميع الناس أنهما ولداكما، أنهما أخ وأخته. وجميع الناس لا يخطئون. إنهما ولداكما. لذلك حين يقبلان أحدهما الآخر، يخيم صمت مطبق على الجمع، وأنتم تنفجرون ضاحكين وتشرحون الوضع. لستم أسرة كباقي الأسر. لم تكونوا كذلك قط ولن تكونوا أبدًا. لحسن الحظ. لم تزل إيزادورا تلعب كرة القدم مع لويس من حين لآخر، لكنها تابعت منذ تسعة أعوام طريق استديوات الرقص. تزاول اليوم المهنة التي تمنَّتها لها أمها وجدتها. تسلك طريقًا رسمه لها أسلافها. إيزا ولويس متألقان، ورؤيتهما تسر الناظرين في كل آن. إنكِ فخورة للغاية بالرجل والمرأة اللذين أصبحاهما الآن.

الطقس جميل هذا الصباح. في غضون نصف ساعة، ستكتظ القاعة بنحو عشرين شخصًا. ها قد انقضت ثمانية أعوم، وبالمال الذي كسبته من معركتك القضائية مع هيجيموني، اشتريتِ هذا المنزل الريفي الكبير الذي أحببتماه أنتِ وإدغار من أول نظرة. هذا العقار الفسيح الذي أصلحتماه وحوَّلتماه إلى مكان مذهل. هناك حيث قررتِ أن تنفذي المشروع الذي ولد في رأسكِ حين كان لويس في الغيبوبة. هناك حيث أقمتِ منذ سبعة أعوام خلت، مع لويس، مع إدغار، مع إيزا، ومع أمكِ. هناك حيث أقامت شارلوت، بعد ذلك بعام. وانضمت إلى المشروع، هي أيضًا.

الطقس جميل هذا الصباح. تتذكرين يوم عرضتِ فكرتكِ على مجموعتكِ الصغيرة كلها. أبدوا استعدادهم على الفور. أولوكِ ثقتهم على الفور. وثقوا بسيدة الأعمال التي كنتِها. وثقوا بالأم التي كنتها. ووثقوا بحدسكِ. تبعك بعض المستثمرين. هم أيضًا آمنوا بكِ.

الطقس جميل هذا الصباح. ارتفعت الشمس، والمائدة جاهزة. بدأت طلائع ضيوفكم تنزل من غرَفها. هناك الصغير ماتيس، ينزل محاطًا بوالديه. وصلوا ليلة أمس. ماتيس ليس له شعر، في الوقت الحاضر. سينمو شعره بسرعة كبيرة. وحتى ذلك الحين، يفضل أن يتنكّر. تحيينه على طريقة المنتقمين، وتدخلين لعبته، لعبة البطل الخارق، فيضحك وتملأ ابتسامته بداية نهارك. وهناك أيضًا أليس، موجودة مع أمها منذ أسبوع. تبدو أفضل حالًا فعلًا. تضرب الأرض بقدميها بسبب نفاد صبرها لأنها في غضون ساعة، ستنضمّ إلى إدغار عند جذع شجرة الزيتون الكبيرة في جلسة نحت. تعبد إدغار. والجميع يعبدونه. وسواء تعلق الأمر بتعلّم الرسم أو إنجاز بعض التمارين الرياضية، فإن إدغار هو محط إجماع. ومن جهة أخرى هناك طفلكِ المدلل، صغيركِ فرانسيسكو. فرانسيسكو موجود معكم منذ ثلاثة أسابيع تقريبًا. والداه يتناوبان على الحضور، لأنهما مطلَّقان. هذا الأسبوع أبوه سيكون معه. فرانسيسكو مهرِّج، يضيء كل حجرة يوجد فيها. يشكل مع أمكِ ثنائيًا لا يُقاوَم. في غضون ساعة، ستقوم أوديت وفرانسيسكو بأعمال البستنة، ثم الطبخ. مضى عيد تقدمة يسوع إلى الهيكل، لكنهما خططا لتحضير بعض فطائر الحلويات، وقد وعدته أمك أنه يمكنه أن يخبزها بنفسه. فرانسيسكو متحمس للغاية.

الطقس جميل هذا الصباح. امتلأ المنزل الريفي. امتلأت حياتك. أنتِ هنا معظم الوقت، فيما صار يشكل الآن بيئتك ومكانك الطبيعي.

تسافرين أحيانًا لأن بعض المجموعات ورجال الأعمال يدعونك، في فرنسا وفي الخارج. يريدون أن يعرفوا كيف صممتِ، وبنيتِ كل هذا. حين تتغيبين، تتسلم شارلوت مقاليد الأمور. كشفت شارلوت أنها إدارية بارعة، إضافة إلى مواهبها المفيدة للغاية هنا دومًا كممرضة.

الطقس جميل هذا الصباح. تنزلين مشيًا الدرب الترابي القصير لتستلمي البريد. على صندوق الرسائل مكتوب اسم فردوسك الصغير: «غرفة الأعاجيب».

الطقس جميل هذا الصباح. تصعدين ببطء، تستغلين الوقت في استنشاق هواء الريف البروفانسي، تغمضين عينيكِ لأن الشمس تبهرك، وتطفو الذكريات. هكذا هي الحال كل صباح. حين ترين هذه الكلمات المكتوبة بأحرف بنفسجية - لون اختاره لويس - تتذكرين المكان الذي بدأ منه كل شيء. غرفة الأعاجيب، الغرفة 405 من مشفى روبير دوبريه، التي أعطتكِ فكرة هذه الدار. هناك أدركتِ أهمية العائلة والمشاريع المشتركة، لأجل كل هؤلاء الأطفال وأقاربهم. تعلمتِ أن الطريق إلى الحياة كان طويلًا على هؤلاء الأطفال. وأن من شأن المشفى أن يُبعد بدل أن يُقرّب، في حين أن العيش على الأشياء الجميلة قد يكون بسيطًا. لذلك قررتِ أن تفتحي هذه الدار الخاصة بالنقاهة. دار يرتادها أطفال خرجوا لتوّهم من المشفى - أو لديهم إذن لبضعة أيام - يلتقون مع أهاليهم، وعائلاتهم. دار كل شيء فيها مصمَّم ليشعروا أنهم في بيتهم. وفيها أنتِ تشعرين بالراحة. وتشعرين أنكِ في مكانك المناسب. مفيدة. أخيرًا.

الطقس جميل هذا الصباح. تنظرين إلى ساعتك. إنها الساعة ذاتها التي تحطمت يوم حادث لويس. هي أيضًا أُصْلِحَتْ. هي أيضًا نجتْ. تشير إلى الساعة 9,40. تحثين الخطى، لأن قطار ابنكِ سيصل قريبًا. ستحتضنيه قريبًا. ستقولين له إنكِ تحبينه، كما هو الحال دومًا. أرسل

لكِ لويس البارحة رسالة قصيرة ليحدد لكِ موعد القطار. التزامن مقلق لكنه يجعلكِ تبتسمين. سيصل لويس في قطار الساعة 10,32.

الطقس جميل هذا الصباح، يا تيلما. استفيدي من حياتك. استفيدي من ذويكِ وأصدقائك. أمامك كل الوقت. خذيه.

تيلما،

لندن،

17 شباط 2017.

مكتبة
t.me/soramnqraa

هذه الرواية ستجعلك تعيد النظر في ما تعيشه، وتظن أنه أفضل خيار متاح لك للعيش.

تيلما أم عزباء، كثيرة المشاغل.. في أحد الأيام يتعرّض ابنها الحبيب لويس لحادث سير فتنقلب حياتهما بطريقة درامية.. يدخل لويس في غيبوبة طويلة وتعيش أمه حالة من الضياع والشعور بأنها خذلت ابنها. وينتابها شعور أن عليها أن تفعل شيئًا لتساعد ابنها على أن يرجع من الغيبوبة... تعثر في غرفته على قائمة أمنيات كتبها وكان يرغب في تحقيقها خلال حياته.

تقرّر تيلما أنها تستطيع التقّرب من ابنها بأن تحقق أحلامه، فتقرّر خوض مغامرة عيش تلك الأمنيات بدلًا عنه، لتحكي له وقائعها، على أمل أن يساعده ذلك على المقاومة والاستمرار في الحياة.

هكذا تعيش تيلما مغامرة حياتها الكبرى.. يدفعها إلى ذلك حبها لابنها ورغبتها الشديدة في تحقيق أحلامه.. وبمساعدة ممرضة لويس في المستشفى تعرض تيلما لابنها في غرفته فيديوات سجَّلتها من مغامراتها لتحقيق أمنيات ابنها.

***

هذه القصة ستجعلك تعيد التفكير في أولوياتك.

Sunday Post

رواية عن الأمل.. سباقٌ مجنونٌ ضد الزمن.

Saga

***

عن المؤلف:

جوليان ساندريل من مواليد 1980 في جنوب فرنسا، متزوج ولديه طفلان. كانت هذه روايته الأولى، وتصدّرت قوائم الأكثر مبيعًا، وتُرجمت إلى لغات عديدة. وستتحول إلى فيلم قريبًا.

روايته الثانية صدرت عام 2020.

telegram @soramnqraa

ISBN 978-614-472-188-9

منشورات الرمل

توزيع حصري: دار التنوير